الأمانة العامّة
للعتبة الحسينيّة المقدسّة

مهرجان تراتيل سجادية التاسع

مقاربات الإسلاموفيليا في خطاب الصحيفة السجادية
و أثرها في تعزيز القُوة الناعمة في الدرس الكلامي

أ. د عمر عيس عمران

كلية العلوم الاسلامية – الجامعة العراقية

دار الوارث للطباعة والنشر

عنوان الكتاب : مقاربات الإسلاموفيليا في خطاب الصحيفة السجادية وأثرها في تعزيز القُوة الناعمة في الدرس الكلامي

اعـــــــــداد : أ. د عمر عيس عمران

النـــــــــاشر : الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة – مهرجان تراتيل سجادية التاسع

المطبعـــــــــة : دار الوارث للطباعة والنشر

الطباعـــــــــة : الاولى

سنة النشـــــــر : ٢٠٢٣م – ١٤٤٥هـ

عدد الصفحات : ٢٠٠

محفوظة جميع الحقوق

دار الوارث للطباعة والنشر
DARALWARITH Printing & Publishing

العراق - كربلاء المقدسة
المكتب الرئيسي، سيف سعد خلف المخازن الغذائية
٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٤ - ٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما عرّفنا من نفسه، وألهمنا من شكرِه، وفتح لنا أبوابَ العلم بربوبيّته، ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيدِه.

وصلِّ اللهمّ عليه خير بريّته، وسيّد رسلِه محمّد، وعلى آلِه خزائن علمه، وحفَظَةِ سرّه.

وبعدُ...

فإنّ من السُّنن الاجتماعيّة، والخواصّ الإنسانيّة التي تلازم البشريّة هي الاختلاف في العقائد والأفكار، والتصرّفات، والاختلاف في وجهات النّظَر، والتعارُض في المصالح بين بني البشر، وهذا أمرٌ طبيعيّ كاختلافِهم في الجِنس، واللون، واللُغة.

وهذا الاختلاف بيّنهُ الخالق جلّ وعلا في سورة هود الآية (١١٨-١١٩)؛ إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ...﴾ وهذا الاختلافُ مدعاةٌ للتّعارُف، والتّعاون، والتبادل المعرفيّ، والفكريّ بين أبناء البشر؛ إذ جاء في قولِه تعالى سورة الحُجرات آية (١٣): ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟...﴾ لذا فجميع الأنبياء، والرسُل، والأوصياء ومن تبِعَهم بإحسانٍ كانوا يضعون القوانين، والضّوابط، والتّكامل في منظومةِ الحياة بين بني البَشر، وردم الفَجوات، وحلّ النِّزاعات، وتأسيس قاعدة شرعيّة، وعُرفيّة لضبط الإيقاع في مختلف أمور الحياة.

فكانتْ (رسالةُ الحقوق) للإمام السجّاد عليه السلام، و(الصحيفة السجّاديّة)، و(المناجاة الخمسة عشر)، وهذا النَّتاج الكبيرُ، والواسعُ، والشّاملُ للإمام زين العابدين عليّ بن الحُسين بن عليّ بن أبي طالبٍ(عليهم السّلام).

وكان من الواجب أن تتكفّل بهذا النّتاج جهةٌ رصينةٌ ذاتُ سُمعةٍ عالميّة معتدّ بها لتسليط الضّوءَ على هذه الأعمال، وترجمتها إلى اللُغات المختلفة، ونشرها لتعمّ الفائدة على أبناء الإنسانيّة.

فتصدّتِ الأمانةُ العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة لهذا المشروع المترامي الأطراف في العلم والمعرفة؛ ولتُعلنَ عن إقامة مهرجان تراتيل سجّاديّة منذ عام (٢٠١٤م) إلى يومنا هذا، وقد تكفّلنا بهِ سُعداءَ فرحينَ طلبًا للشّفاعة، وقبول الأعمال، وكانت من ضمن فقرات هذا المهرجان هو التّشجيع على الكتابة عن الإمام السجّاد عليه السلام ، وإرثه العلميّ، والعقائديّ، والإنسانيّ.

الحمد لله ربّ العالمين من خلال هذا التوجّه، وبعد هذه السّنوات تمكّنَّا من طباعة أكثر من(٧٠ مؤلّفًا).

وهذا العام تراتيل سجادية بنُسخته التّاسعة، الذي سيُقام في العتبة الحسينيّة المقدّسة ، في ذكرى استشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام في شهر آب ٢٠٢٣م الموافق ٢٥ محرّم الحرام ١٤٤٥هـ ، نضعُ بين أيديكم هذا المؤلّفَ الجديدَ بنُسختِه ليضافَ إلى مكتبة الإمام السجّاد عليه السلام .

ومن الله التوفيق ...

السيد جمال الدين الشهرستاني

رئيس اللجنة التحضيرية لمهرجان تراتيل سجادية

الفهرس

الفهرس ٤

المقدمة ..... **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**

الفصل الأول الإطار المفاهيمي ١٠

المبحث الأول تحديد المصطلحات وحصر المفاهيم ١١

المبحث الثاني سيرة الإمام السجاد بين الواقع والمستلزمات ١٥

المبحث الثالث فلسفة الاسلاموفيليا في البعد القرآني ٢٦

المطلب الأول: العقل والخصوصية القرآنية والمساحة المفاهيمية الفلسفية والكلامية. ٢٦

المطلب الثاني: أهمية العقل في بناء التصورات. ٣٠

المبحث الرابع منطق التعقل القرآني المنهج والملامح ٤٢

المطلب الأول: منطق التعقل القرآني منهج حياة. ٤٢

المطلب الثاني: ملامح التعقل القرآني في السيرة والتأريخ. ٤٥

الفصل الثاني الإمام السجاد والتأصيل العلمي لمصطلح الإسلاموفيليا في باب الالهيات ٥٢

المبحث الأول الدرس الكلامي والخلاف العقدي ٥٣

المبحث الثاني وجوب المعرفة الالهية ٦٢

المبحث الثالث مسالك الاستدلال على وجود الله تعالى ٧٢

المبحث الرابع أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ٩١

المطلب الأول: الأسماء الحسنى والصفات العلى والبحوث ذات الصلة. ٩١

المطلب الثاني: المخالفة للحوادث. ١٠٠

المبحث الخامس رؤية الله ١٠٨

المبحث السادس الصفات الجمالية ١١٣

الفصل الثالث معالم الاسلاموفيليا في تقرير مباحث النبوات والمعاد في الدرس الكلامي ١٢٦

المبحث الأول بعثة الأنبياء وحسنها ١٢٧

المبحث الثاني صفات الرسل والانبياء ١٣٣

المبحث الثالث المعجزة ١٣٩

المبحث الرابع المعاد ١٤٩

الخاتمة ١٧٩

التوصيات ١٨١

المصادر والمراجع ١٨٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مدخل تأسيسي

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسَّلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمين، النبيِّ الأكرمِ، الخاتمِ الأمينِ سيِّدِنَا محمدٍ، وعلى أهلِ بيتهِ الطيّبينَ الطَّاهرين وأصحابه الأبرار المنتجبين ومن سار على هديهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الحشر والدين، وبعدُ:

فلا يخفى أنَّ السَّاحة الإنسانية بعامَّةٍ، والإسلاميَّة منها بخاصَّةٍ باتت محكومةً بمطارحاتٍ وجملةِ تساؤلاتٍ تضغطُ مُلِحَّةً على مُخيِّلةِ العقلِ الفردي والجمعي في المجتمع من أجل تحصيل الإجابات الوافية والشافية لسؤالات عصر الحداثة وما بعدها؛ حيث استهداف المقدّس بالنقد والتفكيك والنقض والتشويه والأنسنة والزعزعة له من صدور المؤمنين...إلخ.

معارك مؤلمة حامية الوطيس قام بتأجيج نيرانِهَا ثُلَّةٌ من الكُتَّابِ المُنْتسبينَ لأمَّةِ العرب والإسلام عُرِفُوا بـ"التنويرين، والعقلانيين الجدد، والعصرانيين" مِمَّن أولعوا بسؤالات من قبيل سؤال التسامح، والحرية، والعنف، والحداثة، والمواطنة، والاستبداد، والنهضة، ونحوها من التساؤلات التي حاولوا من خلال إثارتها والإجابة عنها إجابات موتورة موهمة للقارئ أن ينقلوه من خندق الإيمان؛ ليكون صريع هواجس وتأملات تقربه شيئا فشيئا نحو الوقوع في شرك التغريب عن واقعه وواقع وطنه وهموم أمته؛ فيكون أداة طيّعة لقوى الاستكبار العالمي، أو يكون "الأقدام السوداء"[1] في بلدان المسلمين.

---

(1) تسمية تطلق على المستوطنين الأوروبيين الذين سكنوا أو ولدوا في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر (١٨٣٠-١٩٦٢) وقد كان هؤلاء بطانة للمحتل على الرغم من كونهم مولودين في الجزائر ويعاملون معاملة ابن البلد لا يفرقون عنه بشيء .

إنَّ مَنْ يتأمَّل عالمَنا المعاصر وواقعنا الحاضر يرى دونما عناء ما يعجُّ به من المخاوف والقتل والجوع، إذ تعرضت الأمة الإسلامية لعملية استلاب حضاري وفكري ممنهج عبر قرون طويلة هدفت إلى التشكيك في الثوابت والمسلّمات، والميز بينها وبين المتغيرات، وزرع حالة من الانفصام بين الواقع والمقدسات، ومن ثم الهروب من هذا الواقع بالانسلاخ عن العقيدة والمبادئ والقيم وصولًا إلى مسخ الهوية والتنكر للعادات والتقاليد وشن الحملة الشعواء عليها تحت عنوانات التجديد والتطوير والتحديث التي لم يوفق المنادون بها إلى توظيف مخرجاتها على أرض الواقع إلَّا بافتعال الاصطدام مع مخرجات الشرع والنظم القيمية الإسلامية، ممَّا دفع إلى خلق بيئة معادية مضادة لها ولكلِّ عنوانات التجديد والتحديث والتطوير.

لقد أسهم ذلك الاصطدام في خلق النوع المضاد لشعارات التحديث البراقة والتمدن الحضاري المزعوم من قبل الغرب وأذنابهم في المجتمعات المسلمة ممَّا مهَّدَ الطريق نحو بروز أفكار الكراهية واتجاهات التطرف الفكري في الساحة الإسلامية، التي نجح الاستكبار العالمي في توظيفها توظيفا فاعلا لاستباحة الديار وانتهاك الحرمات وتهجير الكفاءات وتمزيق نسيج المجتمعات وتشتيت العوائل ونزوح المدن والأفراد وزرع الفتن بين الدول المسلمة إلى غير ذلك ممَّا يطولُ المقامُ بسردِهِ وذكرِهِ من نتائج التوصيفات الخاطئة والإجابات المجتزأة غير الصحيحة.

ولم يقتصر الأمر على رسم الصورة القاتمة لأبناء البلدان الإسلامية المستعر فيها أوار الحروب والاقتتال بسبب العناوين الثانوية في ظل غياب الكليات والمفاهيم الماهوية حول إدارة الدولة ونظام الحكم وصلاحية الافراد في التعاطي مع النظم الموجودة فيها؛ بل تعداه إلى عكس صورة غير واقعية

للإسلام في الغرب، صورة تتضاد فيها جميع الحقائق التأريخية؛ ليخلقوا حالة من الرهاب والفزع لدى المتلقي الغربي من كل ما له علاقة بالإسلام ونظمه وقيمه ومعارفه، وعرفت هذه الحالة بـ "الإسلاموفوبيا".

من هنا أردنا - من خلال هذا الكتاب- بيان زيف محتوى هذا المصطلح الوافد ومضمونه جملة وتفصيلا، ايمانا مِنَّا بأنَّ المصطلحات لا يمكن تفريغها من محتواها ولا إلغاؤها من المفكرة العامة للشعوب الا بإيجاد البديل، وهذا ما حاولناه إذاعته وإبرازه مع "الإسلاموفيليا" الذي يمكن أن يعد مصطلحا بديلا عن "الإسلاموفوبيا"، وجدير بأن يأخذ مكانه الحقيق به في الفكر الغربي، ويتصدر المشهد الإسلامي في تعاطيه مع القضايا والأفكار والرؤى والاتجاهات الجديدة من خلال عمل دؤوب نؤصِّل من خلاله للمصطلح، ونؤسس لمضامينه في الإسلام، ونوجد الجنبة القريبة من المصطلح في الفكر الديني الإسلامي.

ولا شك أنَّ عنواناً كبيرًا مثل الإمام السَّجاد (عليه السلام) يمثل مضمونا فريدا ومحتوى رائعا تركبت في خواصه وعوارضه الذاتية كل مقومات النهضة الحضارية والرقي المدني والتحديث والتطوير الفردي والجمعي، وبصورة انسجمت فيها العزة الاسلامية مع السماحة الدينية مع التجلي الاخلاقي في روائع الصور التي تشكلت من أبعاد الأدعية في الصحيفة السجادية.

لقد كان خطاب الصحيفة السجادية نقطة تحول بارزة في التغيير على مختلف الصعد الفكرية والاجتماعية والسياسية وغيرها، وكان من الأهمية بمكان ضرورة استثمار الأدعية السجادية في الخطاب الفكري الاسلامي بعامة والدرس الكلامي بخاصة في المراحل الزمنية اللاحقة لعصر الإمام؛ لكن ما حصل أن الفكر الإسلامي والدرس الكلامي نتيجة أسباب وظروف -لا مجال لذكرها- غرقا في تجريدات لا تمت للواقع بصلة، وأسهمت هذه التجريدات

في تعميق هوة الخلاف الفكري والكلامي بصورة طغى فيها السياسي على الفكري، والمذهبي على الديني وسط غياب تام للقوة الناعمة في التغيير التي أسس لها الرسول المكرم نبينا الأعظم صلوات الله تعالى عليه وآله والتي يعد الإمام السجاد (عليه السلام) الامتداد العملي لتلك الرؤية التي اصطبغت بكل كيانه الإنساني وفكرته الوجودية نحو الكون والحياة.

لقد تمكن الإمام السجاد (عليه السلام) من رفد الأمة الإسلامية بعناصر ديمومتها وقوتها ونهضتها من خلال كلمات مستمدة معانيها من نور الوحي القرآني والنبوي؛ ليكون بحق القراءة الواقعية الشمولية الواعية لمضامين المصدرين الرئيسين في الفكر الاسلامي مُشكِّلًا البعد المقاصدي لهما مع توظيف المتغيرات للوقوف على الثوابت من خلال التوفيق بين الماضي والحاضر، والروح والجسد في الانطلاق نحو البناء المستقبلي المنشود للفرد والمجتمع في الاسلام.

أخيرا فإن أهم غاية تم رصدها من انجاز هذا البحث هو تفعيل القوة الناعمة في صناعة التغيير، والعودة بالمسلم إلى المنابع الصافية النقية حيث القراءة الشمولية الواقعية لنصوص الوحيين من خلال إمام من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) منابع الفضل والعلم والجود والجهاد.

ويقينا أن استلهام التجارب المفيدة للأئمة الأعلام وفي مقدمتهم الأئمة من آل بيت النبوة والعترة الطاهرة عليهم السلام له أكبر الأثر في بيان مقاصدية الإسلام في أحكامه الشمولية لكلِّ مناحي الحياة في القديم والحديث. وما أرجوه وآمله أن أكون وفقت في عرض مقاصد هذا البحث على تَعتْبُهِ ولـمِّ صاحبه، وقد يدرك الرجل بنيته ما لا يدركه بعمله. ونيتي كانت معقودة على فتح هذا الباب أعني الحديث عن الإسلاموفيليا في الإسلام من خلال تراث أهل البيت عليهم السلام وبخاصة عند الإمام السجاد عليهم السلام، ولا

شك أنه مدخل مهم في حوار الحضارات يقوم على رؤية معرفية امتاز بها الإمام السجاد عليه السلام حين بحث المباحث التي لمّا تزل مثار تنازع وتدابر بين المسلمين فضلا عن غيرهم.

أقول: بحثها بأسلوب عزز فيه روح التسامح والترغيب بحقيقة الدين وجوهره بعيدًا عن إرهاصات التدافع والتباغض في الدرس الكلامي.

إذ كانت أدعية الإمام السجاد عليه السلام ومناجاته في الصحيفة السجادية تشتمل على أعمق الدلالات الفلسفية والمعرفية التي تخاطب العقل الإنساني وتدفعه نحو التفكير المعمق في وجوده والهدف منه وفي مصيره وما يؤول إليه أمره بصورة ارتسمت فيها كل معالم العبقرية وملامح الانتصار على الذات من أجل الإنسان وحريته فيما يعتنقه ويقوله.

الفصل الأول

الإطار المفاهيمي

المبحث الأول

تحديد المصطلحات وحصر المفاهيم

في كتاب "الثقافة والهوية، نحو معاينة نقدية للتعدد الثقافي "يثير محمد علي تسخيري حقيقة مهمة، وهي: "أنَّ المفاهيمَ الكُلِّيَّةَ تبقى ذهنيَّةً؛ فإذا أُريدَ لها أنْ تَدخلَ عالمَ الوجودِ تشّخَصتْ بخُدُودِهَا، وتعيَّنتْ بمُميزاتِها الوُجودية، ولا يُمكنُ أنْ نتحقّقَ مِنْ كَونِ هذا الذي وُجِدَ هو مصداقٌ لذلكَ المفهومِ إلَّا إذا كنَّا نَعرِفُ أبْعادَ المفهومِ نفْسِهِ"[1].

ومِنْ المُهمِّ بمكانٍ لمَنْ يَرومُ بحثَ موضوعٍ ما مِنْ تحديدِ المُصْطلحاتِ وحصرِ المفاهيمِ بوصفها جزءًا مِنْ عمليّة التأصيل التي لنْ تتمَّ ابتداءً إلَّا بعدَ دراسةِ المُصْطلحِ دِراسةً تأثيليّةً[2].

لذا يعدُّ المصطلحُ قضيَّةً مُهمَّةً حسْمًا لمادةِ النزاع والاختلاف الذي قد ينجم نتيجةَ عدمِ تحديدِ المصطلح، أو نتيجة التحديد الخاطئ المجانب للغة، أو اتفاق المصطلحين وتواضعهم على المعنى، ولهذا كثيرًا ما تنحلُّ عُرى الاختلافِ والتنازع بمجردِ الوقوفِ على مرادِ القائل في المسألة، وكثيرًا ما يكونُ الجميع متفقًا على المعنى، ولعلَّه من هنا اشتهرت جملة "لا مُشاحَّةَ في

---

[1] يُنظر: الثقافة والهوية، نحو معاينة نقدية للتعدد الثقافي، محمد علي تسخيري: ص١٩.

[2] الدراسات التأثيلية هي التي تُعْنى بدراسة الأصول الاشتقاقية وتفرعاتها. يُنظر: قاموس اللسانيات، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، د. ط، د. ت: ص٢١؛ "نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان النورسي"، د. فريد الأنصاري: ص١٤.

الاصطلاح"، أوْ "لا مُشاحَّةَ في الألفاظ بعدَ معرفة المعاني"[١]، أو "لا مُشاحَّة في الأسامي"[٢].

من هنا يمكن القول: إن انتشار مفردة "الاسلاموفوبيا" التي هي بالأصل مفردة غير عربية وظفها مطلقوها للحديث عن حالة "الرُهاب من الإسلام" وبخاصة في العالم الغربي الذي تتردد في جنباته هذه المفردة بقوة لتحذر من "الغزو" الثقافي الجديد- بزعمهم- الذي يُهدّد الأصول الثقافية "المسيحية/ اليهودية" لهذا الغرب الذي يعده بعض العنصريين "نقياً"، ولم تُغنه المكونات المتنوعة. وامتطت صهوة الإسلاموفوبيا أحزاب اليمين المتطرف وبعض المجموعات المرتبطة بالكنيسة التقليدية التي تنفي تطرّفها، كما بعض مثقفي اليسار "العلمانوي" الذي اختار الانحراف باتجاه شعبويةٍ جاذبةٍ للأصوات الانتخابية على المدى القصير، لكنها تُغرِقُ مُتبنيّها في وحولٍ لزجة من مسار تفكيك أية آمال في الاندماج والغنى القائم على التنوّ.[٣].

ويعود أول استعمال لمفهوم الإسلاموفوبيا إلى الحقبة الاستعمارية من قبل علماء اجتماع فرنسيين حيث استخدم هذا المفهوم لوصف رفض جزء من

---

[١] يُنظر: المستصفى، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ: ص٢٣.

[٢] التقِييدُ والإيضَاح لقولهم لا مُشاحّة في الاصطلاح، لأبي عبد الرحمن محمد الثاني بن عمر بن موسى، قام بنشره: أبو مهند النجدي، د. ط، د. ت: ص٤؛ يُنظر: كتابنا الفائز بمسابقة شبكة الألوكة: حياتنا توسط واعتدال، ٢٠١٧، (التأصيل العلمي لمصطلح الوسطية وأثره في وأد الغلو والتطرف: دراسة من منظور عقدي) على الرابط الاتي:
https: //www.alukah.net/publications_competitions/0/120326/

[٣] بين "الاسلاموفيليا" و"الاسلاموفوبيا"، مقال للكاتب: سلام الكواكبي، 10، 55 مساء، الأحد: ٢٠٢٣/٣/١٢م، بحث منشور على شبكة الانترنيت على الرابط الاتي: https: //www.alaraby.co..

الإداريين الفرنسيين للعمل في المجتمعات المسلمة التي كانوا يتولون إدارتها في زمن الاحتلال لتنفيذ المهام الإدارية والسياسية المكلفين بها.

وقد تجذر هذا المفهوم في المجتمعات الغربية مع وقوع أحداث (١١ سبتمبر ٢٠٠١م) في الولايات المتحدة حيث سعى اليمين المتطرف إلى الاستفادة من المناخ الدولي المترتب على هذه الأحداث في تكريس الخوف من الإسلام والمسلمين، وهي التي وفرت لليمين المتطرف خطابا مسموعا عوضه عن الضعف الذي يعترض خطابه السياسي.

وتعني "الإسلاموفوبيا" التحامل والكراهية والخوف من الإسلام أو من المسلمين، ودخل هذا المصطلح في اللغة الانجليزية عام (١٩٩٧م) حينما استخدمته مجموعة من البريطانيين إزاء مشاعر الكراهية والخوف والحكم المسبق الموجه ضد الإسلام، أو المسلمين[١].

إذن فمصطلح "الاسلاموفوبيا" أو الخوف من الاسلام هو أحد المصطلحات المتداولة في الفضاء المعرفي المدني بعلاقة الإسلام بالغرب مجسدا تنامي المشاعر السلبية للمجتمعات الغربية، وقد أشار البريطاني" رونيميد تروست" إلى مؤشرات الموقف الإسلاموفوبي في الآتي:

١. الإسلام كتلة وحدانية معزولة، جامدة، وغير مستجيبة للتغيير.

٢. الإسلام غريب، وليس لديه قيم وأهداف مشتركة مع الثقافات الأخرى، فهو لا يتأثر بها، ولا يؤثر فيها.

---

[١] الاسلاموفوبيا رؤية الاخر الإسلامي من منظور غربي، خلف محمد عبد السلام بيومي، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة قناة السويس، كلية الاداب والعلوم الانسانية، العدد ٢٥، ٢٠١٨م: ص١٣٠، ١٣١.

٣. الإسلام أدنى من الغرب، وحشي، غير عقلاني، بدائي، ومتحيز ضد النساء.

٤. الإسلام دين يتسم بالعنف والعدوانية، وتهديدي، ويدعم الإرهاب، وفعال في حرب الثقافات.

٥. الإسلام هو إيديولوجية تستعمل لأهداف سياسية وعسكرية[١].

ممَّا تقدَّم نخلص إلى أن الإسلاموفوبيا تمثل أقبح ما أنتجته الماكنة الإعلامية الغربية في تعاطيها مع الشرق المسلم، وفي المقابل، تُعد الإسلاموفيليا، وهي مفردةٌ قليلة التداول عربياً، الوجه الآخر لعملة الإسلاموفوبيا الرديئة، وتعني محبة الشيء والتماهي معه، وقد تصل، في الاستعمالات السوسيولوجية، إلى الوله بالشيء دونما محاكمة عقلية، ولا موقف نقدي. وبالطبع، من غير المقصود بهذا الموقف شديد الإيجابية موضوع العقيدة بحد ذاتها، بل المقصود ممارساتها ومظاهرها وممارسوها.

نشير هنا إلى أن مصطلح (philia) الملحق بأي كلمة يعطي مدلول الألفة والمحبة وعلى هذا فالإسلاموفيليا محبة الإسلام والألفة به وبتعاليمه ونظمه، وهو ما يجب اشاعته اليوم، وهو ما نريد أن نتلمس معالمه في الإسلام وفي شخصية الإمام السجاد، وبخاصة في أدعيته وأقواله في الصحيفة السجادية التي حفلت بالكثير من الصور الزاخرة بالمعاني التي تدلل على السماحة والألفة والمحبة للآخر مع عدم انصهار فيه أو تمييع حقائق الدين.

---

[١] الخوف من الإسلام، مجلة المعرفة، وزارة التربية والتعليم، السعودية: www. http//Marefa.org-lindex.php

المبحث الثاني

سيرة الإمام السجاد بين الواقع والمستلزمات

- **اسمه ونسبه:**

يقال إن توضيح الواضحات من المفضحات، ومن المعايب التي ينزه الإنسان عنها؛ فالواضح ضد الخامل، لوضوح حاله وظهور فضله، ولا أوضح حالا ولا أكثر ظهورا في الفضل من حديثنا عن الإمام زين العابدين السجاد (عليه السلام)؛ لكن انطلاقا من المنهجية العلمية التي تفرض التقدمة بتعريف الشخصية التي يدور حولها محتوى البحث ومضمونه أسرد هنا تعريفا بالإمام السجاد (عليه السلام) ايمانا منا أن بعض الناس إذا لم يكن ذا عين صحيحة؛ فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر، فضلا عن أن الأرواح تخف بذكر سيرة الأئمة من آل البيت (عليهم السلام) وتبتهج بذلك وتطير فرحا:

ثقلت زجاجات اتتنا فرغا حتى إذا امتلأت بصرف الراح

خفت وكادت أن تطير من الهوى إن الجسوم تخف بالأرواح[1].

---

[1] القائل هو الشيخ عبد الكريم شرارة، ابن الشيخ موسى ولد في النجف سنة ١٢٩٧ وتوفي في بنت جبيل سنة ١٣٣٢. وقد تركه والده في النجف عند قدومه إلى جبل عامل وعمره يومئذ عشرة أشهر وقدم بعد وفاة والده إلى جبل عامل وعمره ١٢ سنة فدرس أولا في مدرسة السيد علي محمود الأمين في شقرا ثم انتقل إلى مدرسة السيد نجيب فضل الله في عيناتا ثم توجه إلى النجف سنة ١٣١٩ فلبث يدرس على اعلامها إلى سنة ١٣٢٩ حيث عاد إلى بلاده؛ فقدت كتبه وآثاره العلمية وآثار والده عندما أحرقت بنت جبيل سنة ١٩٢٠م فاحترقت في جملة ما حرق وبقي من آثاره بعض تعليقات علمية على قطعة من شرح والده على الشرائع تدل على بعد نظره وقوته العلمية وبعض الصفحات من شرح له

هو الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وجدته فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبضعته، وأبوه الإمام الحسين (عليه السلام) أحد سيدي شباب أهل الجنة، أمه اسمها (شهربانو) أو (شهربانويه) أو (شاه زنان) بنت يزدجر آخر ملوك فارس[1].

- **ولادته ونشأته:**

ولد الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) في السنة الثامنة والثلاثين للهجرة النبوية الشريفة في شهر شعبان، واختلف المؤرخون في يوم ولادته ومكانها، فبعضهم حكى أنَّه ولد في الكوفة[2]، فيما قال آخرون إن ولادته كانت في يثرب[3].

"عاش حوالي سبعاً وخمسين عاماً، قضى بضع سنين منها في كنف جدّه علي بن أبي طالب (عليه السلام)؛ ثم نشأ في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين (عليه السلام) سبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واستقى علومه من هذه المصادر الطاهرة"[4].

على منظومة والده في أصول الفقه. أعيان الشيعة، محسن عبد الكريم الأمين العاملي (ت: ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الامين، مطبعة الانصاف، بيروت، د. ط، ١٩٥٩م: ٨/ ٤٣.

(١) يُنظر: اعلام الهداية، الامام علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام)، لجنة تأليف، المعاونية الثقافية في المجمع العالمي لأهل البيت(عليه السلام)، لبنان، د. ط، ١٤٣٠هـ: ٦/ ١٩ - ٤٨.

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي(ت: ١٠٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت: ١/ ١٠٤.

(٣) الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (عليهم السلام)، علي بن محمد بن أحمد المالكي، الشهير بابن الصباغ (ت: ٨٥٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ: ص١٨٧.

(٤) قال الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام في سبب تلقيبه بالسجاد أن أبا علي بن الحسين ما ذكر الله عز وجل نعمة عليه إلا سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عز وجل فيها

- **كنيته (عليه السلام)**

للإمام السجاد "ع" أربع كنى: أبو الحسين، أبو الحسن، أبو محمد، أبو عبد الله.

- **ألقابه (عليه السلام)**

اللقب هو ما أشعر بمدح أو ذم، وللإمام السجاد "ع" ألقاب كثيرة تشعر بالثناء عليه ومدحه؛ كيف لا وهي نابعة من خصاله وصفاته الزاكية، وما اتسم به من محاسن الصفات ومكارم الاخلاق، وعظيم الامتثال والطاعة والخضوع والعبادة لله، وهذه بعضها:

زين العابدين، سيد العابدين، ذو الثفنات[1]، السجاد[2]، الزكي، الأمين، ابن الخيرتين[3].

سجود إلا سجد، ولا دفع الله عز وجل عنه سوءا يخشاه أو كيد كائد إلا سجد ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده، فسمي السجاد لذلك". ينظر: الامام علي بن الحسين (عليه السلام) دراسة تحليلية، مختار الاسدي (معاصر)، مركز الرسالة، د. ط، د. ت: ١/ ١٢.

[1] الثفنة من البعير ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغلظ كالركبتين. ولعلّ وجه إطلاق (ذو الثفنات) على السجّاد عليه السلام كثرة سجوده بحيث صار مواضع سجوده ذا ثفنة، وكان يقطعها في السنة مرتين، في كل مرة خمس ثفنات، فسمي ذا الثفنات لذلك. يُنظر: بحار الانوار، العلامة المجلسي: ٣٦/ ٢٦٠.

[2] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، د. ط، ١٤٠٣هـ: ٨٣/ ٢٠١.

(٣) لُقِّبَ بابن الخيرتين؛ لأنّ أباه هو الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام)، وأمّه من بنات ملك الفرس كسرى، أُسرت في إحدى الحروب، وعُرض عليها الزواج

- **إمامته (عليه السلام).**

اتفقت الشيعة على أن رسول الله ﷺ نصَّ على علي بن الحسين، وأن أباه وجدَه نصَّا عليه كما نصَّ عليه الرسول عليه السلام، وبذلك كان إماماً للمؤمنين[1].

وقد أقاموا الحجج والبراهين وجمعوا النصوص الدالة على إمامته (عليه السلام) في الكتب[2]؛ ثمَ إن خصال الفضل الموجب للتقدم ووجوهه، في عصْر التَّابعين، هي: العلم بالدين، والإنفاق في سبيل الله، والزهد في الدنيا، وقد اجتمعت كلّها في شخص الإمام السجاد (عليه السلام)[3].

فاختارت الإمام الحسين (عليهما السلام) ؛ فتزوجها تكريماً لها. يُنظر: تذكرة الخواص، لسبط بن الجوزي: ص٢٩١؛ عبادة الامام زين العابدين وشرح الصحيفة السجادية، باقر شريف القرشي (ت: ٢٠١٢م)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، دار المعروف، مؤسسة الامام الحسن (عليه السلام)، النجف الاشرف، د. ط، ١٤٣٥هـ: ص٢٠- ٢٤.

[1] يُنظر: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ ابراهيم الانصاري، دار المفيد، قم، د. ط، ١٤٣١هـ: ص٤١.

[2] يُنظر: الكافي، لأبي جعفر بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، نشر دار الكتب الاسلامية، مطبعة الحيدري، ط٣، ١٣٨٨هـ: ١/ ١-٢٤٢.

[3] يُنظر: الإفصاح في الإمامة، للشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المفيد(ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار المفيد، قم، د. ط، ١٤٣١هـ: ص ٢٣١.

قال الذهبي من أكابر علماء الرجال عند أهل السنة والجماعة في ترجمة الإمام السجاد (عليه السلام): " وكان له جلالة عجيبة، وحقّ له ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى: لشرفه، وسؤدده، وعلمه، وتألّهه، وكمال عقله"[1].

وقال المناوي الشافعي: "زين العابدين، إمام، سند، اشتهرت أياديه ومكارمه، وطارت بالجوّ في الوجود حمائمه، كان عظيم القدر، رحب الساحة والصدر، رأساً لجسد الرئاسة، مؤمّلا للإيالة والسياسة"[2].

وينسب للجاحظ المعتزلي قوله: "أمّا علي بن الحسين بن علي: فلم أر الخارجي في أمره إلا كالشيعي، ولم أرَ الشيعي إلا كالمعتزلي، ولم أرَ المعتزلي إلا كالعامي، ولم أرَ العامي إلا كالخاصيّ، ولم أجد أحَدَاً يتمارى في تفضيله، ويشكّ في تقديمه"[3].

ثم إنّ الإمام السجاد (عليه السلام) قد دعا إلى إمامة نفسه في كثير من أقواله وتصريحاته منها احتجاجه مع عمه محمد بن الحنفية أنَّه قال له: (إن أبي يا عم

---

[1] سير أعلام النبلاء، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد الذهبي (٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة محققين، بأشراف: الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ: ٤/ ٣٩٨.

[2] الكواكب الدرّية في تراجم السادة الصوفية(ت: ١٠٣١هـ)، محمد عبد الرؤوف المناوي، وورسة تجليد الأنوار، مصر، د. ط، ١٣٥٧هـ: ٢/ ١٣٩.

[3] عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب، جمال الدين احمد بن علي بن مهنا بن عنبة الداوودي الحسني (ت: ٨٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسن آل طالقاني، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ط٢، ١٣٨٠هـ: ص١٩٣، ١٩٤. عن (رسالة) الجاحظ في فضل بني هاشم.

صلوات الله عليه أوصى إليَّ قبل أن يتوجه إلى العراق، وعهد إليَّ في ذلك قبل أن يُستشهد بساعة) [١].

إن أعظم ما كان يؤذي نفوس سلالة النبوة واهل بيت الطهارة والرسالة ومحبيهم ما ذكره مؤرخو التاريخ في يوم عاشوراء بعد استشهاد الامام الحسين (عليه السلام)؛ فقد ذكر المؤرخون: (فو الله لقد كنت أرى المرأة من نسائه وبناته وأهله تنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيذهب به منها، ثم انتهينا إلى علي بن الحسين عليهما السلام، وهو منبسط على فراش، وهو شديد المرض ومع شمر جماعة من الرجالة فقالوا له: ألا نقتل هذا العليل؟ فقلت: سبحان الله أيقتل الصبيان؟ إنما هذا صبي وأنه لما به؟ فلم أزل حتى دفعتهم عنه، وجاء عمر بن سعد؛ فصاح النساء في وجهه وبكين، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النسوة، ولا تتعرضوا لهذا الغلام المريض، وسألته النسوة ليسترجع ما أخذ منهن ليتسترن به، فقال: من أخذ من متاعهن شيئا فليرده عليهن فو الله مارد أحد منهم شيئا)[٢].

يقول سعيد بن المسيَّب من أئمة أهل السنة ومقدميهم: "لم يكن في أهل البيت مثله"[٣]. وقال أيضاً: "ما رأيت رجلاً أورع من علي بن الحسين"[١].

---

[١] الكافي، الكليني، باب ما يضل به بين دعوى المحق والمبطل في أمر الامامة، حديث رقم (٥): ٣٤٨/١.

[٢] الارشاد في معرفه حجج الله على العباد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(ت: ٤١٣ هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت: ٢/ ١١٢؛ تاريخ الامم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٤، ١٤٠٤هـ: ٤/ ٣٤٧.

[٣] البداية والنهاية، ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤ هـ)، طبعة مؤسسة التاريخ العربي، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ: ١/ ١٢٢.

وقال محمّد بن مسلم الزهري: " لم أدرك من أهل البيت أفضل من علي بن حسين، ... وكان أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة"[٢].

و "علّق الإمام أحمد بن حنبل على سندٍ فيه الإمام علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عن الرسول الأكرم (صلوات الله عليهم أجمعين) قائلاً: لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرئ من جنته" [٣].

وقال سفيان بن عينية: "ما رأينا قط قرشياً أفضل منه" [٤].

وقال الإمام الشافعي: هو أفقه أهل المدينة [٥].

وقال الإمام مالك: "سمي زين العابدين لكثرة عبادته"[٦].

---

[١] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ، حوادث وفيات (٨١ ـ ١٠٠هـ) : ص ٤٣٤.

[٢] مختصر تاريخ دمشق، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت: ٧١١هـ)، تحقيق: أحمد راتب حموش ومحمد ناجي العمر، دار الفكر، دمشق، د. ط، ١٤٠٩هـ: ١٧/ ٢٣٤.

[٣] الصواعق المحرقة على اهل الرفض والضلال والزندقة، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي إبن حجر الهيتمي(ت: ٩٧٤هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ١٤١٧هـ: ٢/ ٥٩٥.

[٤] الكواكب الدرّية، المناوي: ص١٣٩.

[٥] يُنظر: رسائل الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ(ت: ٨٦٨هـ)، جمع ونشر حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية، مصر، د. ط، ١٣٥٢هـ: ص١٠٦.

[٦] تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن

وقال نافع بن جبير: "إنك سيد الناس وأفضلهم"[١].

وقال عمر بن عبد العزيز: "سراج الدنيا، وجمال الإسلام، زين العابدين"[٢].

وقال طاووس اليماني: "دخلت الحجر في الليل فإذا علي بن الحسين (عليهما السّلام) قد دخل يصلي ما شاء الله تعالى، ثم سجد سجدة فأطال فيها، فقلت: رجل صالح من بيت النبوة لأصغين إليه فسمعه يقول: عبدك بفنائك، مسكينك بفنائك سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك. قال طاووس: فو الله ما طلبت ودعوت فيهن في كرب إلا فرج عني" [٣].

- **استشهاده(عليه السلام):**

استمرت إمامته (عليه السلام) (٣٤) سنة، عاصر فيها مُلك يزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وعبدالملك بن مروان، وتوفي مسموماً - حسب أكثر الروايات التاريخية - في عهد الوليد بن عبدالملك بن مروان [٤]، "وذلك في

عساكر (٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م: ٤١/ ٣٧٨.

[١] كشف الغمة في معرفة الأئمة، المحقق أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت: ٦٩٢هـ)، دار الاضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م: ٢/ ٢٩١.

[٢] أعيان الشيعة، محسن عبد الكريم الأمين: ١/ ٦٢٩.

[٣] الفصول المهمة، ابن صباغ المالكي: ص٢٠١.

[٤] يُنظر: الاتحاف بحب الأشراف، شيخ الازهر عبدالله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي(ت: ١١٧١هـ)، تحقيق: سامي الغريري، دار الكتاب الاسلامي، د. ط، ١٤٢٣هـ: ص٢٧٧.

النصف الأول من شهر محرم الحرام سنة خمس وتسعين للهجرة، وقيل قبل ذلك أو بعده بقليل"[1].

- **التعريف بالصحيفة السجادية.**

وهي صحيفة مباركة مشتملة على مأثور الأدعية الربانية أملاها سيدُ الساجِدِين عَلِيّ بْن الْحُسَين(عليه السلام) والتي تفيض علما ورقيًّا، وتحلق بالمرء في سماء الروح والمعنى، وتعطر مشامه بعبق الارتباط الروحي مع مسحة من العلم الإلهي والنور المحمدي.

تمثل الصحيفة السجادية في تنوع موضوعاتها وتكامل افكارها خطة شاملة لصياغة صورة الانسان القرآني وحركته في الحياة من أجل بناء المجتمع العادل الذي يرتكز على الحرية والاخاء والمساواة وإقامة دولة العدل الإلهي[2].

"كان الامام علي بن الحسين(عليه السلام) يحرص على ان يضع الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم تجاه مسؤولياتهم وما يجب عليهم لله وللناس ولكن بأسلوب يختلف عن أساليب الوعاظ والمرشدين والقصاصين، لقد استعمل أسلوب الحوار مع الله ومناجاته واستعطافه وتمجيده في أدعية عرفت بالصحيفة السجادية"[3].

---

[1] الامام علي بن الحسين (عليه السلام) دراسة تحليلية، مختار الاسدي: ٢/ ١٢.

[2] افاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية، السيد محمد حسين فضل الله (ت: ٢٠١٠م)، دار الملاك، بيروت، د. ط، ١٤٢٠هـ: ١/ ١٩.

[3] سلوا زين العابدين عن حقوق العالمين، هشام ال قطيط (معاصر)، منشورات الفجر، بيروت، د. ط، ١٤٣٢هـ: ص٢٧٢.

"لقد فتحت الصحيفة السجادية افاقا جديدة للوعي الديني، لم يكن المسلمون يعرفونه من ذي قبل، فقد دعت الى التبتل وصفاء الروح، وطهارة النفس، والتجرد من الأنانية... كما دعت إلى الاتصال بالله تعالى خالق الكون وواهب الحياة الذي هو مصدر الفيض والخير لجميع الكائنات"[١].

"إن أدعية أهل البيت عليهم السلام ذات مضامين معرفية أعمق من المضامين الموجودة في أحاديثهم الشريفة؛ لأن الأئمة عليهم السلام كانوا يكلمون الناس على قدر عقولهم، فهذا ما يمنعهم من بيان الكثير من الحقائق عندما لا يجدون في مخاطبهم القدرة على الاستيعاب والفهم والادراك لما يقولوه، ولكنهم عليهم السلام في الدعاء لا يواجهون هذا المانع، ولا يجدون ما يدعوهم إلى التضييق في ابداء المعارف والحقائق"[٢].

"جاءت(الصحيفة) في أُسلوبها ومراميها في أعلى أساليب الأدب العربي، وفي أسمى مرامي الدين الحنيف، وأدق أسرار التوحيد والنبوّة... فهي تعليم للدين والاخلاق في أسلوب الدعاء، أو دعاء في أُسلوب تعليم للدين والاخلاق، وهي بحقّ بعد القرآن، ونهج البلاغة من أعلى أساليب البيان العربي، وأرقى المناهل الفلسفية في الالهيات"[٣].

الخلاصة إن الصحيفة السجادية "هي من ذخائر التراث الإسلامي، ومن مناجم المباحث البلاغية والأخلاقية والتربوية والأدبية في الإسلام ونظراً

---

[١] عبادة الإمام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص١٨٤، ١٨٥.

[٢] معارف الصحيفة السجادية، الدكتور الشيخ علاء الحسون (معاصر)، مركز الهادي (عليه السلام)، د. ط، ١٤٣٦هـ، ص١٣.

[٣] عقائد الإمامية، الشيخ محمّد رضا المظفر(ت: ١٩٦٤هـ)، إعداد: مركز الأبحاث العقائدية: ص١١٩.

لأهميتها فقد سماها كبار رجال الفكر والعلم، بزبور آل محمد وإنجيل أهل البيت وأخت القرآن" [1].

[1] معالم العلماء، لابن شهر آشوب المازندراني (ت: ١١٩٢هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، د. ط، ١٣٨٠هـ: ص٢٦٨ - ٢٨٠؛ الذريعة في تصانيف الشيعة، الشيخ محمد محسن أغا بزرك الطهراني(ت: ١٣٨٩ هـ)، مطبعة الغري، النجف، د. ط، ١٣٥٥هـ: ١٥/ ١٨؛ المسائل العقدية في الصحيفة السجادية - دراسة استقرائية وصفية رسالة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية / جامعة بغداد من قبل الطالب حازم عباس نعمان، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في العقيدة والفكر الإسلامي، بإشراف أ. م. د. مروان عطا مجيد، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م : ص١٦ وما بعدها.

المبحث الثالث

فلسفة الإسلاموفيليا في البعد القرآني

المطلب الأول: العقل والخصوصية القرآنية والمساحة المفاهيمية الفلسفية والكلامية.

تُعد العقائد الدينية بوصلة للأفراد في مدى الالتزام بالدين من عدمه وهذا الالتزام ان قاد الافراد الى التطرف والتعصب في الدين والغاء الاخر وتبديعه وتكفيره ثم مصادرة حقه في الرأي وانتهاء وصوله الى مصادرة حقه في الحياة فحينها.

يقول السيد محمد تقي المدرسي: "إن العقائد ليست مادة دراسية بقدر ما هي تذكرة إلهية هدفها إيقاظ العقل من سباته وجلاء الروح بعد تراكم الرين عليها وبث الخشوع في القلب بعد قسوته، ومعلم العقيدة لا بد أن يزكي نفسه لكي يتحول إلى قدوة في تصرفاته، ويكون في نبرات حديثه وقسمات وجهه تذكرة بالله وترهيب من عذابه وترغيب في عظيم ثوابه"[1].

ويقول الشيخ عز الدين القسام: "لقد تعلّمت العقيدة عشرين عامًا ودرّستها وعلّمتها للناس عشرين عامًا؛ فلمّا أذّن المؤذن للجهاد وذهبنا لملاقاة العدو إذا بي أولي دبري هاربًا مع صوت الرصاص والمدافع، وحزنت لنفسي كثيرًا كيف أنا العالِم الكبير أهرب مع أول مواجهة ويفتّ في عضدي كل ما أؤمن به وربيّت عليه الناس من عقيدة وثبات لله، حتى أخذت أُصلّي طوال الليل أسال الله الإخلاص والثبات واعتذرت إلى الله مما فعلت ثم يممت وجهي ناحية العدو وقاتلتهم وحدي فترة حتى ولوّا هاربين من أمامي... فعلمت وقتها

[1] في كتابه الفكر الاسلامي: ص٥

أن مـا بينـي وبـين الله هـو إيمـاني وتقـواي ولـيس كتبـي ودروسـي وعلمـي الشرعي"[1].

وللعقل في القرآن الكريم خصوصية مصطلحية تغاير معناه في مساحته المفاهيمية الفلسفية والكلامية؛ إذ ورد في القرآن على صورة وظيفة فاعلية، لا جوهرا، أو جسما، أو غير ذلك ممَّا هو شائعٌ عند المدارس الفلسفية والكلامية، أو في غيرها من المدارس الفقهية والتفسيرية التي تأثرت إلى حدٍّ ما بوجهة النظر الكلامية والفلسفية؛ فأوصلوا تعريفاته ومحدداته إلى خمسين تعريفا، أو يزيد، ومن ثمّ اختلفوا في محلِّه: هل هو في الدماغ، أو في القلب؟، وما ذلك إلا لأنَّهم حاكموه ابتداء على أنَّه جوهر، وذات، وجسم، بينما هو وظيفة يقوم بها القلب يمكن أن نصطلح على تسميتها بالتصور، والدليل على أنه وظيفة عدم وروده قرآنيا اسمًا ومصدرًا؛ بل فعلا مضارعا إلا في حالة واحدة ورد فيها ماضيا (عقلوه)، ممَّا يدلل على أنه مصطلح يرمز إلى مفهوم خاص، وعرف محدد قرآنيّاً[2].

إذن التصور هو ثمرة التعقل الذي هو وظيفة من وظائف القلب، أو عمل من أعماله، وللقلب وظائف وأعمال رصدها المتقدمون من العلماء، ومنها: الحب والبغض، والتصديق والتكذيب، والايمان والكفر، والعلم والجهل، والصلاح والفساد، والرياء والحسد، والمودة وعدمها، والموالاة والمعاداة، ومن وظائفه أيضا التعقل، وهنا نكتة الباب؛ فالقلب يمارس التعقل الذي ينتج

---

[1] من مقولات الشيخ المشهورة والمنتشرة على نطاق واسع ولم يتسن لي الوقوف على مرجع يشير لها.

[2] يُنظر: بحثنا الموسوم بـ (مِنطقةُ العقل ومَنطِقُهُ في المنظور القرآني ودوره في تأسيس الاجتماع الانساني) بحث منشور مجلة كلية العلوم الاسلامية/ الجامعة العراقية، العدد ٢٨، المجلد ٣، ٢٠٢١م.

بناء التصورات كما سيأتي، والقلب لا يقتصر على وظيفة التعقل بل له وظائف أخرى كما تقدم، ويمكن القول أنَّ العقل هو رئيس وظائف القلب، ولخطورة شأنه وأهميته أصبح نظيراً للقلب، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

وهذه الآية فيها دلالة واضحة صريحة على أنَّ منطقة العقل هي القلب، وإنَّ أية محاولة لفهم منطق هذا العقل يجب ألا تكون بمنأى عن فهم طبيعة القلب ووظائفه المتكثرة!.

وبناء على مخرجات التعقل تتم ثنائية الثواب والعقاب؛ فالعقل من المنظور القرآني يطلق على الأعمال التي يستوجبها العلم من الإيمان بالله تعالى، وتصديق كتبه، ورسله، والتزام أمره ونهيه، وضده لا يسمَّى عقلاً، أو عاقلاً، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [2].

فنفى أهل النار عن أنفسهم صفة العقل؛ لعدم طاعتهم، وهو الثمرة والغاية من العقل[3]، ومن لا يستعمل حواسه في عملية التعقل عن الله ورسوله، والتفكر في أمر الآخرة فانه لا يعد عاقلا؛ بل هو يكون كحال الأنعام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا

---

[1] سورة الحج، الآية، ٤٦.

[2] سورة الملك: ١٠.

[3] يُنظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، بيروت، دار المعرفة، د. ط، د. ت: ١/ ٨٦.

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].

وقد قيل: إن العاقل من عقل عن الله أمره ونهيه، حتى قال أصحاب الشافعي ﷺ فيمن أوصى بثلث ماله لأعقل الناس: أنه يكون مصروفا في الزهاد لأنهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالأمل[2].

وهذا هو منطق العقل قرآنيّاً، وهو ما يجب التأسيس عليه وله في دراساتنا الإنسانية والمعرفية والإسلامية، ومن ثَمَّ توعية الفرد والمجتمع به حتى يعرفوا قيمة العمل الذي هو ثمرة للتعقل وهو وظيفة القلب الرئيسة.

---

[1] سورة الأعراف: ١٧٩.

[2] أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت :٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، د. ط، ١٩٨٦م: ص ١٩.

المطلب الثاني: أهمية العقل في بناء التصورات.

من المهم بمكان الميز بين أمرين كما تقدم:

الأول: القلب، وهو مكان التعقل ومِنطقتُهُ.

والثاني: التصور، وهو وظيفة التعقل ومَنطقُهُ.

فـالأول: هـو المنطقـة التـي أسـس لهـا الإمـام السـجاد عليـه السـلام، وهـو ضـرورة تحقيـق مقامـات القلـب التـي سـنأتي علـى ذكرهـا، وهـي المنطقـة التـي بمكنـة المـدارس الإسـلامية التواجـد فيهـا والاحتكـام لهـا وتحقيـق الوحـدة الإسـلامية فيها، والاشتراك في الدفاع عن بيضة الدين وحقائقه الجلية.

وأمـا الثـاني: فهـي منطقـة بنـاء التصـورات، وهـي التـي لحظهـا المتكلمـون والفلاسـفة علـى اخـتلاف مدارسـهم فـي تنويـع الخطـاب وممارسـة الاخـتلاف والتضـاد لاحقـا؛ فـالمتكلمون والفلاسـفة أهملـوا مِنطقـة مقامـات القلـب وهـي (التعقـل) التـي هـي أسـاس الوحـدة بـين المسـلمين، وركنـوا إلـى مَنطقـهِ، وهو(التصـور) وهـو محـل الاخـتلاف ومظنتـه، ولا شـك أن لكـلٍّ خصـائص متمـايزة، أبرزهـا الثبـات فـي الأول، والتغيـر فـي الثـاني، ولتوضـيح أكثـر يحسـن بنـا اسـتدعاء الفكـرة التـي أثارهـا الشـيخ محمد متـولي الشـعراوي فـي تفسـيره مـع تغييـر فـي الالفـاظ وبعـض المضـامين؛ إذ يفتـرض: أننـا فـي حجـرة مغلقـة، ثـم سـمعنا البـاب يطـرق مـن الخـارج، وبهـذا سـنتعقل حينهـا أن هنـاك طارقـاً بالبـاب، ولـن يختلـف اثنـان علـى ذلـك مطلقـا؛ فـإذا مـا أردنـا أن نتصـور الطـارق المحجـوب عنـا بالبـاب اختلفنـا، فمـن قائـل أنـه الـوزير، ومـن قائـل أنـه وكيلـه، ومـن قائـل أنـه

مدير الجامعة... ومن قائل أنه طويل ومن قائل أنه قصير... أنه سمين أنه نحيف، انه جميل أنه قبيح... إلى آخره[١].

إذ هناك منطقة اتفاق وهي في مثالنا التعقل بوجود طارق، ومنطقة الاختلاف والتنازع هي تصور الطارق المحجوب عنا بالباب.

وهنا نشير إلى التساؤل المهم، وهو: ما الذي ينبئ عن التصور؟ ومن الذي يرفع الاختلاف من بيننا؟ الجواب هو صاحب الشأن نفسه، يقول اسمي كذا، ومطلوبي كذا، وحينها يحسم الأمر؛ فالخلل الذي يقع فيه كثيرون أنهم ينتقلون من منطقة التعقل التي هي محل الوفاق إلى منطق التصور للأشياء، وهي منطقة الخلاف والتنازع.

وهذا ما لحظه الإمام السجاد (عليه السلام) في أدعيته فهو لم يكن يؤسس سوى إلى الاحتكام للقلب وتفعيل وظائفه المتكثرة، وأنه في مكنتنا تحقيق التعايش الإنساني من خلال وظيفة واحدة من وظائف القلب وأعماله، والتي تكتسب أهميَّة كبيرة ومكانة مهمة في اصلاح الإنسان، وهي:

أولاً: القلب محلُّ معرفة الله تعالى؛ فالقلب هو العالم بالله، وهو المتقرب إلى الله؛ فمعرفة القلب وحقيقته وأوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين[٢].

ثانياً: القلب محل نظر الله تعالى، قال (ﷺ) "إنَّ الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأشار بأصابعه إلى صدره"[١]؛ فمن

---

[١] يُنظر: تفسير الشعراوي، الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، د. ط، د. ت: ١١٦٩٢/١٩.

[٢] احياء علوم الدين، للغزالي: ٣ / ٨-٩.

هـذا الحـديث تعـرف أنَّ الله عـز وجـل لا ينظـر إلـى صـورة العبـد، ولا إلـى جسمه؛ بل ينظر إلى قلبه.

ثالثـاً: القلـب مصـدر تلقـي الـوحي والالهـام، مصـداقه قولـه تعـالى: ﴿قُـلْ مَـنْ كَـانَ عَـدُوًّا لِجِبْرِيـلَ فَإِنَّـهُ نَزَّلَـهُ عَلَـى قَلْبِـكَ بِـإِذْنِ اللَّهِ مُصَـدِّقًا لِمَـا بَـيْنَ يَدَيْـهِ وَهُـدًى وَبُشْـرَى لِلْمُـؤْمِنِينَ﴾[٢] فالقلـب هـو مكـان التلقـي وهـو محـل التعقـل مـن الفهـم والحفظ والادراك.

رابعـاً: القلـب مركـز الصـلاح والفسـاد، وهـو سـببها كمـا فـي قولـه (ﷺ) "ألا إنَّ فـي الجسـد مضـغة إذا صـلحت صـلح الجسـد كلُّـه، وإذا فسـدت فسـد الجسـد كلُّـه ألا وهي القلب"[٣].

خامسـاً: القلـب مسـتقر الإيمـان، مصـداقه قولـه تعـالى: ﴿قَالَـتِ الْأَعْـرَابُ آمَنَّـا قُـلْ لَـمْ تُؤْمِنُـوا وَلَكِـنْ قُولُـوا أَسْـلَمْنَا وَلَمَّـا يَـدْخُلِ الْإِيمَـانُ فِـي قُلُـوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُـوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤].

مـن هـذا نخلـص بـأنَّ القـرآن أرشـد القلـب والعقـل إلـى وظيفـة كـلٍّ منهمـا، وحذر من اعتداء أحدهما على مساحة الآخر:

---

[١] صـحيح مسـلم بشـرح النـووي، كتـاب البـر، بـاب تحـريم ظلـم المسـلم: ١٦/ ١٢١؛ سـنن ابـن ماجه، كتاب الزهد، باب القناعة: ٢/ ١٣٨٨، بلفظ مقارب.

[٢] سورة البقرة: آية، ٩٧

[٣] صـحيح البخـاري: كتـاب الإيمـان، بـاب مـن استبرأ لدينـه، مـن حـديث النعمـان بـن بشـير حـديث رقـم (٥٢): ١ / ٢٨؛ صـحيح مسـلم: كتـاب المسـاقاة، بـاب أخـذ الحـلال وتـرك الشـبهات، مـن حـديث النعمـان بـن بشـير، حـديث رقـم (٢٩٩٦): ٣ / ١٢١٩؛ صـحيح الجـامع، حـديث رقـم (٣١٩٣) .

[٤] سورة الحجرات، آية: ١٤.

- فالقلب مركز الفهم، والفقه في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1].
- وهو وسيلة التعقّل والإدراك في قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2].
- ويجعله أهلاً لتحمّل مسؤولية الفعل المنسوب إليه في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [3].
- ويجعله مركزًا لتشرّب معاني الاعتقاد من الإيمان، أو الكفر في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [4].
- ويجعله موطن المشاعر والأحاسيس في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[5].

نخلص مما تقدم أن تحقيق مقامات القلب لا ينبغي أن يختلف عليها اثنان من المسلمين على اختلاف وتنوع اتجاهاتهم واجتهاداتهم، وهي التي دعا إليها الإسلام، ونوه بذكرها عمليا الإمام السجاد (عليه السلام)؛ في تحقيق الأخوة

---

[1] سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

[2] سورة الحج، الآية: ٤٦.

[3] سورة البقرة، من الآية: ٢٨٣.

[4] سورة النحل، الآية: ١٠٦.

[5] سورة الانفال، الآية: ٦٣.

الإيمانية لكل من نطق بالشهادتين على اختلاف تصوراتهم لها، وتحقيق الحب له، والمناصرة له، ورد العدوان عنه إن كان مظلوما، ورده عن عدوانه إن كان ظالما، تحت مبدأ أنصر اخاك ظالما أو مظلوما.

أما في منطقة بناء التصورات التي هي مظنة الاختلاف فهنا ينبغي ملاحظة أمرين:

الأول: ضرورة تحقيق مقامات القلب من الحب والنصرة وغيرها للمخالف في التصورات إن كان مسلما، وتحقيق مقامات القلب من الكره والبغض لمن كان مخالفا لنا في التصورات إن كان غير مسلم.

الثاني: إن تحقيق مقام القلب من الكره والبغض للمخالف إن كان غير مسلم لا يستلزم العدوان عليه لفظيا أو جسديا؛ بل على العكس يجب تحقيق الدعوة الإسلامية في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. وذلك لأن التصور الذي هو ثمرة التعقل القلبي ارتبط بمفهوم العالمية لهذا الدين، ومن هنا كان تحقيق التعايش أمراً ميسوراً فيما لو قبل الآخر ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١)﴾[1].

أطلقت الآية لفظ الأخوة بين النبي هود (عليه السلام) وبين قومه الكافرين مع اختلاف التصورات، وهذا من المعاملة الحسنة والدعوة بالحكمة، وحين أصر قوم هود على الرفض ومصادرة حقِّه في الدعوة والإصلاح انصرف عنهم بهدوء نافيا عنهم أساسيات التعقل الصحيح، وهي أنهم مع كونهم مختلفين

[1] سورة هود، الآية: ٥٠، ٥١.

ويبغض أحدهم ما عليه الآخر من فكر ومعتقد كان يجب أن يتحلوا بأصول العقلانية في التعايش في الأقل، وهو الأمر الذي افتقده أيضا قوم هود (عليه السلام).

تقدم أن مقامات القلب من الحب والبغض والتأليف والمودة إلى غير ذلك لا يهتم بها منطق العقل لأن وظيفته تكمن في بناء التصورات وحتى يستقيم هذا البناء لا بد أن يكون صارما ودقيقا في اختيار معايير البناء، وعليه فإن الآخر مخطئ ومع ذلك يجب احترامه والعدل معه والبر له، قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[3].

هذه الآيات في قبال الآيات الآتية:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾[4].

---

[1] سورة الممتحنة، الآية ٨.

[2] سورة الانعام، الآية: ١٠٨.

[3] سورة المائدة، الآية: ٨.

[4] سورة الممتحنة، الآية: ١.

وقال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[1].

وقال: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2].

وقال (ﷺ): (اسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا)[3].

إذن مما تقدم التأسيس له في هذا البحث سنقف أنه لا يوجد تعارض بين هذه النصوص، فالنصوص الأولى تتحدث عن منطقة، بينما النصوص الثانية تتحدث عن منطقة أخرى فلنا أن نبر غير المسلم بكلِّ أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر؛ فمتى أدّى إلى أحد هذين امتنع، وصار من قبل ما نهي عنه في الآية وغيرها، ويتضح ذلك بالمثل؛ فإخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا، والقيام لهم حينئذ، ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها هذا كله حرام، وكذلك إذا تلاقينا معهم في الطريق، وأخلينا لهم، واسعها، ورحبها، والسهل منها، وتركنا أنفسنا في خسيسها، وحزنها، وضيقها كما جرت العادة أن يفعل ذلك المرء مع الرئيس، والولد مع الوالد، والحقير مع الشريف؛ فإن هذا ممنوع لما فيه من تعظيم شعائر الكفر، وتحقير شعائر الله تعالى، وشعائر دينه، واحتقار أهله، ومن ذلك تمكينهم من الولايات والتصرف في الأمور الموجبة لقهر من هي عليه، أو ظهور العلو وسلطان المطالبة؛ فذلك كله ممنوع، وإن كان في غاية الرفق

---

[1] سورة الممتحنة، الآية ٨.

[2] سورة الممتحنة، الآية ٨.

[3] أخرجه ابن سعد: ٢١٤/٨؛ وأخرجه أيضًا: البخاري في التاريخ الكبير: ٣٠٩/٥. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خانبداية، د. ط، د. ت.

والأنـاة أيضـاً؛ لأن الرفـق والأنـاة فـي هـذا البـاب نـوع مـن الرئاسـة، والسـيادة، وعلـو المنزلـة فـي المكـارم؛ فهـي درجـة رفيعـة أوصـلناهم إليهـا، وعظمنـاهم بسـببها، ورفعنـا قـدرهم بإيثارهـا وذلـك كلـه منهـي عنـه. وكـذلك لا يكـون المسـلم عنـدهم خادمـا، ولا أجيـرا يـؤمر عليـه، وينهـى، ولا يكـون أحـد مـنهم وكـيلا فـي المحاكمـات علـى المسـلمين عنـد ولاة الأمـور؛ فـإن ذلـك أيضـا إثبـات لسـلطانهم على ذلك المسلم [1].

---

[1] هـذه المحـددات التـي ذكرهـا القرافـي رحمـه الله تعـالى وغيرهـا ممـا ورد فـي فـروع الفقـه الاسـلامي للتعامـل مـع غيـر المسـلم فـي الـديار الاسـلامية، والتـي ينسـبها بعضـهم ويسـميها بالشـروط العمريـة، ومنهـا: يحـرم ابتـداؤهم بالسـلام، أو سـائر انـواع التحيـة، كمـا يمنعـون مـن اظهـار اعيـادهم، ويجـب الباسـهم الغيـار وشـد الزنـار، كمـا أمـروا بجـز النواصـي، ومنعـوا مـن ارسـال شـعورهم كمـا تصـنع الأشـراف مـن المسـلمين، كمـا يمنعـون مـن ركـوب الخيـل، ولا يتقلـدون السـيوف، ولا يحملـون السـلاح، ويلجئـون إلـى أضـيق الطـرق، ولا يصـدرون فـي المجـالس، ويمنعـون مـن إحـداث بنـاء بعلـو بنـاء جيـرانهم مـن المسـلمين، ويحـرم تكنيـتهم بالأسماء المعظمـة، إلـى غيـر ذلـك مـن الأحكـام التـي ربمـا يقـف منهـا المسـلم المعاصـر موقـف الانـدهاش والاسـتغراب، وقـد يضـخم خصـوم الإسـلام مـن هـذه المحـددات؛ فيوظفونهـا فـي تشـويه صـورة هـذا الـدين، وجعلـه دينـا ينـافي حقـوق الإنسـان ومواثيـق الـنظم الديمقراطيـة والمدنيات الحديثة، ونحب هنا توضيح بعض الأمور:

الأمـر الأول: أن بحثنـا يعـالج القضـية مـن منظـور قرآنـي لا فقهـي مـذهبي؛ فالصـور فـي الاتجـاه المـذهبي كثيـرة جـدا، وهـي تكـاد تختلـف، أو تتفـق بـين مـذهب وآخـر، ولا بـد مـن استقراء جيد لنتاجـات الفقهـاء فـي ذلـك قبـل اعطـاء أي حكـم. ومـن المهـم تحريـر الجـواب عـن ذلـك علـى وفـق أسـس فكريـة ومـنهج علمـي فـي بحـث مستقل يـورد كـل الصـور؛ فيجمـع بـين المؤتلفات ويمايز بين المختلفات.

الأمـر الثـاني: إن هـذه المحـددات ليسـت أمـرا دينيـا واجـب التعبـد بـه فـي كـل زمـان ومكـان كمـا فهم بعض الفقهاء الذين يستدل لأقوالهم وتحريراتهم ولا يستدل بها، وفرق بين الأمرين.

وأما ما أمر به من برهم ومن غير مودة باطنية؛ فالرفق بضعيفهم، وسدُّ خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم، والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفا منَّا بهم لا خوفا وتعظيما والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم، ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم، وعيالهم وأعراضهم، وجميع حقوقهم، ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم، وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله، ومن العدو أن يفعله مع عدوه؛ فإن ذلك من مكارم الأخلاق؛ فجميع ما نفعله معهم من ذلك

الأمر الثالث: أن هذه الأحكام في جانب مهم منها مرتبط بسياسة الدولة العليا، وبحسب ما تراه صالحا للمجتمع، ولا شك أن هذه السياسة ليست ثابتة، ولا على نسق واحد، فأحكام الحرب تختلف عن أحكام السلم، وأحكام القوة غير أحكام الضعف، وأحكام النصر تختلف عن أحكام الهزيمة.

الأمر الرابع: هذه الأحكام فيما لو كان هناك عقد يعرف بعقد أهل الذمة الذي يتم بموجبه اثبات حقوق واجبات بين المتعاقدين، بين الدولة المسلمة ورعاياها من أهل الكتاب؛ فإذا لم يتحقق ذلك العقد، ولم تتحقق صورته الشرعية، فالدولة ورعاياها لما احتكموا له، ورأوه صالحا لتحقيق الاجتماع الانساني.

الأمر الخامس: إن هذه الصور ونحوها من ثمرات الاسترقاق كان أمرا طبيعيا بين الأمم المتحاربة آنذاك، وجزء مما هو متعارف عليه، وكانت هذه الأحكام عند المسلمين من باب المقابلة لما كان يقع على المسلمين في حوزة المشركين الذين كانوا يسومونهم أشد صور الاذلال والاسترقاق بأقبح صوره ومعالمه، وعلى هذا فليس يعقل أن تتم اهانة المسلمين واسترقاقهم واذلالهم ومن ثم السكوت على ذلك، وهو سبب رئيس لزيادة العدوان عليهم والجراءة على دمائهم وأموالهم وأعراضهم. يُنظر: الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ)، عالم الكتب، د. ط، د. ت: ١٥/٣.

ينبغي أن يكون من هذا القبيل، لا على وجه العزة والجلالة منا، ولا على وجه التعظيم لهم، وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم، وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا وتكذيب نبينا ﷺ، وأنهم لو قدروا علينا؛ لاستأصلوا شأفتنا، واستولوا على دمائنا، وأموالنا، وأنهم من أشد العصاة لربنا، ومالكنا عز وجل، ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امتثالا لأمر ربنا عز وجل، وأمر نبينا ﷺ، لا محبة فيهم، ولا تعظيما لهم، ولا نظهر آثار تلك الأمور التي نستحضرها في قلوبنا من صفاتهم الذميمة؛ لأن عقد العهد يمنعنا من ذلك؛ فنستحضرها حتى يمنعنا من الودِّ الباطن لهم، والمحرم علينا خاصة، ... وبالجملة فبرهم والإحسان إليهم مأمور به، وودهم وتوليهم منهي عنه؛ فهما قاعدتان إحداهما محرمة والأخرى مأمور بها، وقد أوضحت لك الفرق بينهما بالبيان والمثل؛ فتأمل ذلك[1].

أقول: بهذا التقرير المفصل والواضح يتضح الفرق بين البر والموالاة، في كون البر هو فعل الخير للغير دون النظر إلى دينه، ويكون مع المسلم وغير المسلم، والبر يتعلق أكثر ما يتعلق بالأفعال الظاهرة، كزيارة وإهداء وإقراض؛ أما المودة - وكذلك الموالاة- فهي أمر قلبي محض يقتضي المحبة والنصرة والرضا والإقرار بما يأتي به الآخر، قال ابن عاشور: "المودة من أحوال القلب فلا تتصور معها التقية"[2].

فالقلب عليه أن يكره الشرك والكفر والمعاصي ولا يحب المتلبس بها ولا يصادقه أو يواده، بل عليه أن يحقق مقامات القلب كلها من المودة والحبِّ

---

[1] الفروق، للقرافي: ١٤/٣.

[2] التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٤ هـ: ٢٨/ ٥٨.

والـبغض لله تعـالى لكـل فعـل وتصـرف مخـالف لـدين الله تعـالى، يقـول تعـالى: ﴿يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِـذُوا الْيَهُـودَ وَالنَّصَـارَى أَوْلِيَـاءَ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْـضٍ وَمَـنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [١].

ويقـول تعـالى: ﴿لَا تَجِـدُ قَوْمًـا يُؤْمِنُـونَ بِـاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ يُـوَادُّونَ مَـنْ حَـادَّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَلَـوْ كَـانُوا آبَـاءَهُمْ أَوْ أَبْنَـاءَهُمْ أَوْ إِخْـوَانَهُمْ أَوْ عَشِـيرَتَهُمْ أُولَئِـكَ كَتَـبَ فِـي قُلُـوبِهِمُ الْإِيمَـانَ وَأَيَّـدَهُمْ بِـرُوحٍ مِنْـهُ وَيُـدْخِلُهُمْ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا رَضِـيَ اللَّهُ عَـنْهُمْ وَرَضُـوا عَنْـهُ أُولَئِـكَ حِـزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِـزْبَ اللَّهِ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

وننبـه هنـا أنـه لا يحسـن أن يكتفـي المسـلم فـي التعامـل مـع اخوتـه المسـلمين بمقـام العقـل وفاعليـة التعقـل واغفـال مقـام القلـب وصـوره المتكثـرة مـن الحـب والـبغض والمـوادة؛ بـل المقامـان مطلوبـان فـي حقـه، وعليـه تحقيقهمـا معـا، قـال تعـالى: ﴿وَاعْتَصِـمُوا بِحَبْـلِ اللَّهِ جَمِيعًـا وَلَا تَفَرَّقُـوا وَاذْكُـرُوا نِعْمَـةَ اللَّهِ عَلَـيْكُمْ إِذْ كُنْـتُمْ أَعْـدَاءً فَـأَلَّفَ بَـيْنَ قُلُـوبِكُمْ فَأَصْـبَحْتُمْ بِنِعْمَتِـهِ إِخْوَانًـا وَكُنْـتُمْ عَلَـى شَـفَا حُفْـرَةٍ مِـنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٣].

فحثـت الآيـة علـى عـدم التفـرق، وهـو مقـام التعقـل ووظيفتـه علـى الجـوارح والأبـدان، ثـم قـال وألـف بـين قلـوبكم؛ ليحقـق مقامـات القلـب مـن التـأليف والمـوادة، ويلحـظ هنـا أنـه لـم يقـل "وعقـولكم"، للدلالـة علـى أن مقـام التعقـل مفـروغ منـه فـي ضـرورة احتـرام الآخـر، وعـدم ظلمـه، أو الاعتـداء عليـه فـي أي شـكل مـن أشـكال العدوان وصوره، وهذه كلها جمعت في قوله: "ولا تفرقوا".

---

[١] سورة المائدة، الآية: ٥١.

[٢] سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

[٣] سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

يبقى أن نشير هنا إلى أنَّه لمَّا كانت مقامات القلب غير ظاهرة للاستيثاق منها؛ فقد لفت الباري نظرنا إلى أهميتها؛ فقال تعالى: فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، حتى لا نقع في محاذير التعارض والتصادم في قراءة النصوص والحوادث والصور التي تأتي متضمنة لمعاني عدم الإيمان، كما في قول الرسول (ﷺ): "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[1]، وهذا ما أرشدت إليه السيرة وشواهد التاريخ.

[1] متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه حديث رقم (١٣): ١/ ١٤؛ ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، حديث رقم (٤٥): ١/ ٦٧.

المبحث الرابع

منطق التعقل القرآني المنهج والملامح

المطلب الأول: منطق التعقل القرآني منهج حياة.

يقرر منطق التعقل القرآني ثوابت الدّين الإسلامي المبدئية؛ إذ أرسى دعائم السلام في الأرض من خلال دعوة أتباعه إلى تثبيت الاتصال فيما بينهم وتقوية الصلات الرابطة مع غيرهم على وفق قواعد دينية راسخة، منها عقيدة الإيمان بالله تعالى وضرورة لزومها، وعقيدة لا إكراه في الدين وضرورة تطبيقها، وقد أشار الإسلام إلى قاعدة جليلة في التعامُل مع المخالف، قوامها معاملته بالحسنى والبّر، وأساس هذه العلاقة وضابطها هو قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾[1] فهذا نص قانوني رباني صريح في التسامح والإخاء والاجتماع الإنساني، في حالات السلم والحرب، وقد وضع الإسلام أسس تلك العلاقة الرابطة والضوابط التي من شأنها حماية الآخر غير المسلم، وُحرمة الاعتداء عليه، أو على ماله، أو بيته، أو وطنه، وربطها بغايات نبيلة، منها الدفاع عن عقيدة الأمة، وأمن المجتمع، وردّ عدوان المعتدين، يقول تعالى: ﴿اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[2]، وإذا قلبنا صفحات التاريخ سنجد خير دعاة الأرض

---

[1] سورة الممتحنة، الآية: ٨، ٩.

[2] سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

قد واجهوا من أقوامهم شتى أنواع العذاب، فهذا نوح (عليه السلام) يقول لقومه بكل ودٍّ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦)﴾[1] فما كان من قومه إلَّا أن قالوا: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[2]، ومع تكذيبهم له لم يترك جانب الرفق واللين بل كان حريصاً كل الحرص على هدايتهم وإنقاذهم من النار باستخدام ألفاظ التحبب والتودد لهم لعلهم يرشدون.

وهذا يوسف (عليه السلام) كان شفيقاً بإخوته، سمحاً معهم، مع ما ناله منهم من اضطهاد واقصاء وصنوف الأذى؛ إذ قال لهم بعد أن اعترفوا بذنبهم: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[3]، وإذا جئنا لخير الخلق على الاطلاق نبينا المصطفى (صلى الله عليه وسلم)؛ فسنجد أنَّه عانى الأمرين من قومه تكذيبا وطردا واعتداء؛ فنجده دامي القدمين، كسير الفؤاد، تطارده شرذمة من السفهاء والعبيد، يرجمونه بالحجارة، حتى ألجأوه إلى حائط، يناجي ربه؛ فإذا بربه تبارك وتعالى من فوق سبع سماوات يرسل له أمين وحيه، وخير ملائكته، جبريل(عليه السلام)، ومعه مَلَكُ الجبال يسألانه أن يطبق عليهم الأخشبين؛ فيجيب (صلى الله عليه وسلم): "بل أرجو أن يخرج الله عزَّ وجلَّ من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً"[2].

---

[1] سورة هود، الآية ٢٥-٢٦.

[2] سورة هود، الآية ٢٧.

[3] سورة يوسف، الآية ٩٢.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم (١٧٩٥): ٣ /١٤٢٠.

وسنحاول التعرض لبعض الصور التطبيقية عن منطقة العقل ومنطقه في السيرة والتاريخ الاسلامي حتى يعرف القارئ أننا بإزاء منهج قرآني علمي رصين وواضح في التعامل مع الآخر وبشكل يفوق ما موجود اليوم في أدبيات حقوق الإنسان والنظم الغربية التي تتشدق بالحضارة والمدنية.

المطلب الثاني: ملامح التعقل القرآني في السيرة والتأريخ.

سنحاول هنا أن نذكر نماذج من شواهد تأريخية عن تغلغل المنطق القرآني في عقول وقلوب المسلمين؛ وجهود المعلم الأول نبي الله تعالى سيدنا محمد ﷺ في التأسيس للاجتماع الانساني والتعايش المجتمعي والتسامح الفكري من خلال الصور الاتية:

الصورة الاولى: تعاطس اليهود.

من الصور الخالدة التي حفظها لنا التأريخ صورة اليهود حين كانوا يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاء أنْ يقول لهم: يرحمكم الله، فلم يحرمهم من الدعوة لهم بالهداية والصلاح؛ فكان يقول: ((يهديكم الله ويصلح بالكم))[1]، ويتضح لنا من هذا الحديث: أنَّ النبي (ﷺ) كان يجالس الناس جميعا على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم، ولا يضيق ذرعا بمخالفتهم له في العقيدة، حتى أنّه يدعو لهم تأليفاً لهم وترغيباً، وكان شعاره (ﷺ): ((إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً))[2] حين يطلب منه الدعاء على غير المسلمين.

وينظر هنا أنَّ النبي (ﷺ) مايز بين مقامي القلب والعقل؛ فهو في مقام القلب لم يدعُ لهم بالرحمة التي هي تعبير آخر عن المودّة والحبّ اللتين هما اختصاص القلب الذي يجب أن يكون واقفاً عند حدود الشارع ومحدِّداته، وأمَّا مجالسته للنّاس على اختلاف أديانهم والاستماع لهم والدعوة لهم بالصلاح والهداية تأليفا وترغيبا؛ فهذا كله من اختصاصات مقام العقل.

---

[1] رواه الترمذي في سننه، ابواب الأدب، بَابُ مَا جَاءَ كَيْفَ يُشَمَّتُ الْعَاطِسُ، حديث رقم (٢٧٣٩): ٣٩٧/٤، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم (٢٥٩٩): ٢٠٠٦/٤.

الصورة الثانية: الاستيصاء بغير المسلمين خيرا.

ثبت عن نبي الله (ﷺ) في مواطن كثيرة تأكيده على حرمة الدم، ولو كان كافرا اذا لم يكن محاربا للدعوة والدعاة المسلمين؛ فعَنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): ((إِذَا افْتَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا» قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَالرَّحِمُ أَنَّ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ مِنْهُمْ)) [1]. وهذا حديث صريح في أنَّ الإستيصاء بالآخر، ولو كان على غير ملة الإسلام أمر مطلوب ومُرغب فيه شرعا، والحديث يشير إلى التذكير بكل من له ذمة ورحم بالإحسان والاستيصاء به؛ بل ثبت أنَّ النبي (ﷺ) أمر بقتل رجل من المسلمين؛ لكونه قتل رجلاً من غير المسلمين، كما يروى الإمام الشافعي بسنده عن عبد الرحمن البيلماني أنَّ رَجُلاً مِنَ المسْلِمين قَتَل رَجُلاً مِنْ أهْلِ الذِّمة؛ فَرُفِعَ ذلِكَ إلى رسولَ اللَّهِ (ﷺ) فقَال: ((أنا أحَقُّ مَن أوفَى بِذِمَّتِهِ، ثُمَّ أمَرَ بِه فَقُتِلَ))[2].

وهذه صورتان من صور التفريق بين مقامي العقل والقلب، وبين منطقة العقل ومنطقه؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام أقام الحدَّ على المسلم لقتله غير مسلم، وما ذلك الا اقامة لمقام العقل ومنطقه في حرمة الدماء المعصومة بالإسلام أو بالذمة.

الصورة الثالثة: تعزيز قيم الرفق واللين مع أهل الديانات الأخرى.

---

[1] رواه الحاكم في مستدركه، باب ذكر إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، حديث رقم (٤٠٣٢): ٦٠٣/٢، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م.

[2] رواه الإمام الشافعي في مسنده، كتاب الديات والقصاص، حديث رقم (٣٥٠): ٣٤٣/١.

مـن الصـور المشـرفة فـي السـيرة النبويـة التـي تؤكـد منطـق العقـل فـي تعاملـه مـع غيـر المسلم هـو تلـك المعاملـة الحسـنة التـي جسـدها رسـول الله (ﷺ) مـع مخالفيـه وخصـوم الـدين بـالرفق واللـين، وتجـاوزه عـنهم ومقابلـة إسـاءتهم بالإحسـان إلـيهم والبـر بهـم؛ فعـن السـيدةَ عَائِشَـةَ، رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهَـا زَوْجَ النَّبِـيِّ (ﷺ) قَالَـتْ: دَخَـلَ رَهْـطٌ مِـنَ اليَهُـودِ عَلَـى رَسُـولِ اللَّهِ (ﷺ)؛ فَقَـالُوا: السَّـامُ عَلَـيْكُمْ، قَالَـتْ عَائِشَـةُ: فَفَهِمْتُهَـا فَقُلْـتُ: وَعَلَـيْكُمُ السَّـامُ وَاللَّعْنَـةُ، قَالَـتْ: فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ (ﷺ): ((مَهْـلا يَـا عَائِشَـةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِـبُّ الرِّفْـقَ فِـي الأَمْـرِ كُلِّـهِ))؛ فَقُلْـتُ: يَـا رَسُـولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): ((قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ))[1].

ومـا عملـه النبـي (ﷺ) مـع أهـل مكـة عنـد فتحهـا دليـل واضـح وبرهـان سـاطع علـى منطـق العقلانيـة ومقـام العقـل فـي التعامـل مـع الخصـوم والمخـالفين؛ فمـع أنـه (ﷺ) حـورب بـدون وجـه حـق واضـطهد، وطـرد هـو وأتباعـه، وأوذي فـي الـنفس والمـال وفقـد الأحبـاب والزوجـة والعـم والنصـير؛ إلا أنـه حـين تمكـن مـن اعدائـه وخصـومه ومضـطهديه، ممـن يقـول منطـق القلـب فـيهم أنهـم كفـار ومشـركون ولا يصـح مـوالاتهم، ولا مـودتهم فإنـه حقـق مقـام العقـل فـي التعامـل معهـم؛ فلـم تمتـد يـده إلـيهم بسـوء ولـم تأخـذ مـنهم بثـأر، إنهـا العقلانيـة التـي كانـت صـبغة الاسـلام فـي تأريخـه الوضـاء وروحـه الخالـدة التـي لا تنتصـر للـنفس والـذات بقـدر مـا تحقـق مقـام القلـب ومنطـق العقـل، مقامـان لـم يفقـه فلسـفتهما مشـركو الجاهليـة وكثيـر مـن مسـلمي اليـوم، لقـد اجتمعـت قـريش حـين فـتح مكـة حـول رسـول الله (ﷺ) فـي ذهـول واستسـلام، وفـي داخـل كـل نفـس صـراع مـن الخـوف والرجـاء حتـى هتـف فـيهم النبـي (ﷺ): مـا تظنـون أنـي فاعـلٌ بكـم؟ قـالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: اذهبوا فأنتم الطلقاء[2].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم (٦٠٢٤): ٨ /١٢.

[2] القصـة ذكرهـا البيهقـي فـي السـنن الكبـرى، بـاب فـتح مكـة حرسـها الله تعـالى، حـديث رقـم

بهذا المنطق العقلاني وبتلك الروح الخالدة التي سرت في جسد الاسلام، استطاع المسلمون أن يحكموا امبراطورية عظيمة من حدود الصين شرقا وحتى حدود فرنسا وأوربا غربا، حضارة نشأ في رحمها مختلف الإثنيات والأعراق والأديان والمذاهب، عاشوا جميعًا في سماحة هذا الدين العظيم وتعاليمه ونظمه الخالدة، ولم تسجل في حقب تأريخه كافة إلَّا النزر اليسير من الممارسات السلبية التي لا تؤثر على الصورة العامة المرسومة عن ذلك التاريخ الوضيء.

الصورة الرابعة: تبادل الهدايا وتعامله بالبيع والشراء.

تعايشه (ﷺ) مع غير المسلمين بتبادل الهدايا معهم، وتعامله معهم في البيع والشراء، والأخذ والعطاء، والاقتراض منهم، وجميع المعاملات التي يحققها الإجتماع الإنساني دليل مضاف إلى ما تقدم ويعزز ويؤكد ما أسلفنا الحديث عنه من ضرورة التماهي مع مقام العقل ووظيفة التعقل مع الآخر غير المسلم وبما يحقق التعايش المجتمعي، إذ تنقل لنا السيدة عائشة رضي الله عنها، ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، وَارْتَهَنَ مِنْهُ دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ))[1]. وهنا نكتة ربما قد تخفى نود الإشارة لها وهي أنَّ النبي (ﷺ) كان باستطاعته أنْ يقترض من أصحابه ثمن الطعام، وكلهم يتلهف أنْ يقرض رسول الله (ﷺ)، لكن فعله هذا كان تعليماً للأمة وتثبيتاً عملياً لما يدعو إليه من سلام ووئام، وتدليلاً على أنَّ الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم.

(١٨٢٧٥): ١٩٩/٩. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم (٢٢٥٢): ٣ /٨٦.

وأما تبادله (ﷺ) الهدايا مع غير المسلمين؛ فنجده يقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم بعد فتح خيبر؛ إذ أهدت له شاة مسمومة؛ فقبلها[1] ويروي أبو عبيد بسنده عن عكرمة أنَّ النبي (ﷺ): ((أهدى إلى أبي سفيان تمر عجوة وهو بمكة مع عمرو بن أمية، وكتب إليه يستهديه أدماً، فأهداها إليه أبو سفيان))[2]، وكذلك قبوله هدية المقوقس صاحب الإسكندرية، وكان عظيم القبط[3].

وبناء على قبول هدية المقوقس قرر الفقهاء قبول الهدايا من جميع أصناف الكفار حتى أهل الحرب منهم، كما نص على ذلك ابن قدامة في المغني وغيره[4].

الصورة الخامسة: مخالطته عليه الصلاة والسلام لغير المسلمين.

ومخالطته (ﷺ) لغير المسلمين وإجابته دعوتهم، وأكل طعامهم، واستقبال وفودهم، وقيامه إلى جنائزهم، واتخاذه خادماً يخدمه من غير المسلمين كلها وسائل تثبت أنَّ التعايش معهم ممكن ولا يمنع منه الإسلام.

---

(١) القصة رواها البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، بَابُ قَبُولِ الهَدِيَّةِ مِنَ المُشْرِكِينَ، حديث رقم (٢٦١٧): ٣ /١٦٣.

(٢) كتاب الأموال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت، حديث رقم (٦٣٣): ٣٢٨/١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) يُنظر: المغني لابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠ هـ)، على مختصر: أبي القاسم عمر بن حسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي (ت: ٣٣٤ هـ)، تحقيق: طه الزيني - ومحمود عبد الوهاب فايد - وعبد القادر عطا - ومحمود غانم غيث، مكتبة القاهرة، ط١، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م: ٩ /٣٢٧.

يـروي البخـاري عَـنْ أَنَـسٍ (ﷺ)، قَـالَ: كَـانَ غُـلاَمٌ يَهُـودِيٌّ يَخْـدُمُ النَّبِـيَّ (ﷺ)، فَمَـرِضَ، فَأَتَـاهُ النَّبِـيُّ (ﷺ) يَعُـودُهُ، فَقَعَـدَ عِنْـدَ رَأْسِـهِ، فَقَـالَ لَـهُ: «أَسْـلِمْ»، فَنَظَـرَ إِلَـى أَبِيـهِ وَهُـوَ عِنْـدَهُ فَقَـالَ لَـهُ: أَطِـعْ أَبَـا القَاسِمِ (ﷺ) فَأَسْـلَمَ، فَخَـرَجَ النَّبِـيُّ (ﷺ) وَهُوَ يَقُولُ: ((الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّار)) [1].

فاتخـاذه (ﷺ) هـذا الخـادم مـن غيـر المسـلمين بحـد ذاتـه يعـد إقـراراً عمليـاً علـى التعـايش معهـم، فالخـادم عـادة يطلـع علـى الأمـور الخاصـة للمخـدوم، فيلـزم الشـخص أنْ يختـار الخـادم الثقـة الأمـين الـذي يحفـظ لـه أسـراره، فمـا السـر فـي اختيـار النبـي (ﷺ) يهوديـا يخدمـه، وعشـرات الصـحابة يتشـرفون بخدمتـه؟ ألـيس هـذا توجيهـا للأمـة إلـى جـواز التعـايش والتعامـل معهـم إذا مـا كانـت الثقـة متبادلـة بين الطرفين؟.

وفـي مشـهد آخـر تـأتي جنـازة يهـودي فيقـوم لهـا النبـي (ﷺ) احتراماً لهـا كمـا يـروي البخـاري بسـنده عـن عبـد الـرحمن بـن أبـي ليلـى قَـالَ: كَـانَ سَـهْلُ بْـنُ حُنَيْـفٍ، وَقَـيْسُ بْـنُ سَـعْدٍ قَاعِـدَيْنِ بِالقَادِسِـيَّةِ، فَمَـرُّوا عَلَيْهِمَـا بِجَنَـازَةٍ، فَقَامَـا، فَقِيـلَ لَهُمَـا: إِنَّهَـا مِـنْ أَهْـلِ الأَرْضِ أَيْ مِـنْ أَهْـلِ الذِّمَّـةِ، فَقَـالاَ: إِنَّ النَّبِـيَّ (ﷺ) مَـرَّتْ بِـهِ جِنَـازَةٌ فَقَـامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: ((أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟!)) [2].

نخلـص إلـى أن الحـديث عـن صـور تطبيقيـة لمضـامين وظيفـة التعقـل القرآنـي أكثـر مـن أن تحصـر؛ لكـن اكتفينـا بهـذه الصـور الرئيسـة عـن النبـي (ﷺ)،

---

[1] أخرجـه البخـاري فـي صـحيحه، حـديث رقـم (١٢٥٦): ٢ /٩٤. الجـامع المسـند الصـحيح المختصـر مـن أمـور رسـول الله ﷺ وسـننه وأيامـه (صـحيح البخـاري)، محمد بـن إسـماعيل أبـو عبـد الله البخـاري الجعفـي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيـق: محمد زهيـر بـن ناصـر الناصـر، دار طـوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم (١٣١٢): ٢ /٨٥.

ولا بـأس أن نشـير لتفاعـل المسـلمين وتـوظيفهم لمقـام العقـل ووظيفـة التعقـل فـي قبول الآخر واحترامه وعدم ازدرائه والانتقاص منه.

الفصل الثاني

الإمام السجاد والتأصيل العلمي لمصطلح الإسلاموفيليا في باب الالهيات

المبحث الأول

الدرس الكلامي والخلاف العقدي

يُعدُّ الدرس الكلامي من أكثر المظان العلمية انفتاحا على الأقوال والآراء والأفكار مهما بدت مختلفة ومتضادة، وهو أكثر المباحث إثارة للاختلاف والتنازع والتدابر بين المدارس الإسلامية وألصقها بمفاهيم التفرق والشقاق والاختلاف ومن ثم التفسيق والتبديع والتكفير وصولًا إلى استباحة الأموال والاعراض والدماء ممَّا نشهد اليوم بعض آثاره عيانا؛ لذا حرصنا هنا على تجلية موقف الإمام السجَّاد؛ لنقف على معالم الإسلاموفيليا في تعاطيه مع أكثر المشكلات حسَّاسيةً، وهي المسائل الكلامية والمباحث العقدية.

إنَّ مشكلة الدرس الكلامي كانت وما زالت في محدداته المعرفية التي تحاول اثبات العقيدة الدينية والرد على الخصوم في حين كان بالإمكان الاكتفاء بالإيضاح والتبيين وبيان الطرق الأنجع في ايصال المادة الكلامية أو العقدية من دون أن تقحم النقود والردود في تلك المصنفات التي بات القارئ لها يغرق في سجالات المصنفين وحرصهم على الدفاع عن المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها أكثر من حرصه على العنوان الكلي الذي ينتمي له، وهو الإسلام الذي بات المتكلم شيئا فشيئا يبتعد عن روحانيته في تقرير المسألة العقدية وتحليل مضامينها الأخلاقية ومصاديقها في الفرد والمجتمع بينما كان يغرق في وحل تفسيق المدارس بعضها لبعض وتكفير بعضهم لبعض حتى خلت أو كادت المصنفات الكلامية من أي بعد روحي.

وبهذا بقيت الساحة الاسلامية مفتوحة للعلمانيين يصولون ويجولون في تفكيك بنية المقدس عند المسلمين مختفين وراء مزاعم واهية من مقولات التحديث والتطوير والمدنية بينما أصحاب الفكر الكلامي كانوا وما زالوا

نـائمين وقـابعين خلـف مقـولات عفـى عليهـا الـزمن وسـرعان مـا صـاروا مـادة فكاهيـة للفكـر العلمـاني والحـداثي وطريقـا للتنـدر بهـم والطعـن فـيهم وفـي مـا يحملونه من نظم الدين ومعالمه.

يقـول فـؤاد زكريـا[١] فـي بيـان مفهـوم التطـرف: "اعتقـد الآن أننـا وصـلنا إلـى بلـورة لهـذا البعـد، وأننـا متفقـون علـى أن هـذا التيـار الـديني القـديم قـد أخـذ فـي السنوات الأخيرة شكلاً سياسياً واضحاً ومنظماً"[٢].

ويقصـد بالتيـار الـديني القـديم هـو التيـار الاسـلامي الـذي يرمـز لـه بالتيـار الاسلامي الديني.

واعتبـر محمد سـعيد العشـماوي[٣] فـي كتابـه (الاسـلام السياسـي) ان تسـيس الـدين وتطبيـق الشـريعة مـن التطـرف وأن الإسـلام ديـن عبـادة لا دخـل لـه فـي السياسـة والـنظم ومعظـم ردوده فـي هـذا الكتـاب علـى مـا اسـماه تيـار تسـيس الـدين. بالعنف والتطرف [٤].

---

[١] د. فـؤاد زكريـا: مـن أقطـاب العلمانيـة مهـتم بنقـد الصـحوة الإسـلامية المعاصـرة مـن كتبـه الحقيقيـة والـوهم فـي الحركـة الإسـلامية المعاصـرة يعمـل أسـتاذاً فـي جامعـة الكويـت ومستشاراً لسلسلة عالم المعرفة التي تصدر في الكويت.

[٢] يُنظر: الإرهاب، د. فرج فودة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د. ط، ١٩٩٢م: ص٤٨.

[٣] هـو محمد سـعيد العشـماوي رئـيس محكمـة الجنايـات ومحكمـة أمـن الدولـة العليـا بمصـر، تـدرج فـي العديـد مـن المناصـب القضـائية، وحاضـر فـي العديـد مـن الجامعـات الأمريكيـة، وهـو مـن أشد المناوئين لتطبيق الشريعة الإسلامية، يُنظر: غلاف كتابه (الاسلام السياسي).

[٤] الغلـو فـي الـدين فـي حيـاة المسـلمين المعاصـرة دراسـة علميـة حـول مظـاهر الغلـو ومفـاهيم التطـرف والأصـولية، عبـد الـرحمن بـن معـلا اللويحـق، مؤسسـة الرسـالة، بيـروت – لبنـان، ط١، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م: ص١٦٤.

ويقول فرج فوده[1]: "أن الاتجاه نحو تديين السياسة كان موجوداً في برنامج الوفد الذي قدم في سبتمبر ١٩٥٣م الى حكومة الثورة حيث ضم بندا ينص على منع أو تحريم الخمور وإلغاء القمار وما إلى ذلك كمحاولة لتديين الفكر السياسي واستقطاب المشاعر الدينية من خلال توجهات سياسية"[2]. فعلى هذا فإن الدولة التي تحرم هذه الأشياء تعدُّ متطرفة لإدخالها الدين في السياسة.

أما الدعوة الى تطبيق الشريعة في كل مناحي الحياة فهو المعلم الثاني الدال على التطرف في مفهومهم يقول أحد المشاركين في الندوة: "إن أصحاب هذا التيار كانوا وما زالوا يخلطون بين الدعوة الى الاسلام كدين وعقيدة وأخلاق، وبين الدعوة الى تطبيق الشريعة الإسلامية كمجموعة من النصوص التي تنظم المعاملات الاجتماعية بين الناس". ولذلك يرى: "إن من المهام الرئيسة الملقاة على عاتق العقلانيين في مصر والعالم العربي الدعوة إلى الفصل بين الإسلام وبين الشريعة الإسلامية"[3].

وعدوا التمسك بأمر من أمور الشرع وتطبيق أمر من أوامره على أنه تطرف، يقول فؤاد زكريا: "إن امتلاء الساحة بالكتب التي تحرم التصوير و الموسيقى وتخوف الناس من عذاب القبر ليس سبباً لتطرف هؤلاء الشباب، بل

---

[1] هو فرج علي فودة، كاتب مصري، حاصل على دكتوراه في الفلسفة الزراعية من جامعه عين شمس عام ١٩٨١م له كتب عدة معظمها في نقد الصحوة الإسلامية المعاصرة، ومحاربة تطبيق الشريعة الإسلامية. يُنظر: الإرهاب، فرج فودة: ص١٢٧.

[2] يُنظر: مجله فكر، ندوة التطرف: ص٦٧.

[3] المصدر نفسه ص١٦٥.

أنـه نتيجـة لـه، وهـو ذاتـه جـزء لا يتجـزأ مـن ظـاهرة التطـرف التـي نسـعى الـى تقليلها"[١].

وبالجملـة فـإن العلمـانيين يـرون أي خـروج عـن الخـط الغربـي الوافـد علـى المجتمعـات الإسـلامية. الـذي أصـبح مألوفـاً ومعتـاداً غلـواً وتطرفـاً يقـول سـعد الـدين إبـراهيم[٢] فـي تعريـف التطـرف الفكـري والمـذهبي أنـه: "فـي ابسـط تعريفاتـه خـروج عـن القواعـد والأطـر الفكريـة والدسـتورية والقانونيـة التـي يرتضـيها المجتمع والتي يسمح في ظلها بالخلاف والحوار"[٣].

ويقـول عـن التطـرف الـديني أنـه: "بمعنـى الخـروج عـن المعتـاد أو المتعارف عليه في العقيدة والشعور والسلوك لدى أغلبية الناس"[٤].

وهـذه الأفكـار عنـد البـاحثين العـرب لـم تكـن وليـدة بيئـتهم أو مـن بنـات أفكـارهم؛ بـل هـي اقتبـاس مـن الفكـر الغربـي الـذي أسـس لمصـطلح (الأصـولية) واطلاقه على المسلمين وتحديداً في الحقبة ما بعد عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

حيـث يؤكـد بعـض الكتـاب أن وصـم المسـلمين بالإرهـاب والتطـرف المقابـل فـي الاسـتعمال لمصـطلح (الأصـولية) اسـتعمل أول مـا اسـتعمل فـي إسـرائيل عنـدما بـدأ المسـلمون يعـوون ذاتيـتهم ويعـودون للإسـلام مصـدراً للعـزة وطريقـاً للنصـر وهـذا مـا تؤكـده الدراسـات الكثيـرة التـي اعـدت لهـذا الغـرض،

---

[١] يُنظر: جريدة الأهرام، العدد ١٩٨٨/٦/١٢.

[٢] سـعد الـدين إبـراهيم، ولـد بالمنصـورة عـام ١٩٣٨م تعلـم بالجامعـات المصـرية وحصـل علـى الـدكتوراه مـن جامعـة بأمريكـا فـي الاجتمـاع السياسـي عـام ١٩٦٨م . يُنظـر: غـلاف كتابـه مصـر تراجـع نفسـها، سـعد الـدين إبـراهيم، مركـز الحضـارة العربيـة للإعـلام والنشـر والدراسات، ط١، ١٩٩٨م.

[٣] مصر تراجع نفسها، سعد الدين إبراهيم: ص١٥.

[٤] مصر تراجع نفسها، سعد الدين إبراهيم: ص١٥.

والمؤتمرات التي عقدت على مستويات مختلفة، ومن أمثلة ذلك ما كتبه الباحث الألماني (باول شمتز) في كتابه: (الاسلام قوة الغد العالمية)؛ إذ يقول: "أن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوربا وهتاف يجوب آفاقها يدعو الى التجميع والتساند الأوربي؛ لمواجهة هذا العملاق –الإسلامي- الذي بدأ يصحو وينفض النوم من عينيه. هل يسمعه أحد؟ ألا من مجيب؟"[1].

وكذلك شاعت هذه المصطلحات كثيراً في كتابات المستشرقين ولاسيما الأمريكان منهم؛ فهذه هيئة الإذاعة البريطانية تذيع في برنامج (عالم الظهيرة) ما يأتي:

"إن الجهد الرئيسي للمخابرات الأمريكية الذي كان منصباً لمراقبة إمبراطورية الشر-يعني الاتحاد السوفيتي- سيتجه أساسا لمراقبة الجماعات الأصولية في العالم الإسلامي، ووضع العراقيل والعقبات أمامها"[2].

وفي غمرة الإعلانات والتصريحات التي اجتاحت الإعلام الغربي جاء الحديث المكشوف لأمير من أمراء العرب أدلى به لصحيفة (نيويورك تايمز) قال فيه: "أنه ينبغي أجراء محادثات بين المعتدلين العرب والإسرائيليين؛ لأنَّ الخطر الحقيقي للإسلام يكمن في تنامي الأصوليين"[3].

---

[1] ملاحظات إسلامية حول نعوت التطرف والأصولية، إبراهيم النعمة: ص٣٥، نقلا عن: الاسلام قوة الغد العالمية، باول شمتز، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، د. ط، ١٩٨٣م: ص٢٤.

[2] المصدر نفسه: ص٣٦.

[3] ملاحظات إسلامية حول نعوت التطرف والأصولية، إبراهيم النعمة: ص٣٦.

وقال: "ان العدد الحقيقي هو تصاعد الاصوليين والتطرف حيث المتخوفون اليهود من جهة والمد الإسلامي الذي يؤثر على السياسات الممتدة عبر افغانستان ولبنان وشمال إفريقيا"[١].

وهكذا شاع وذاع هذا المصطلح مصطلح الأصولية، فلا تكاد تستمع الى أي إذاعة كانت من (واشنطن) و (لندن) و (مونت كارلو) وغيرها الا وذكر الاصوليين يتردد في الاذاعات بكثرة كاثرة.

وقد سبق الذكر أن الغربيين يطلقون مصطلح (الأصولية) على الاتجاهات الدينية المتشددة في مسائل العقيدة والأخلاق والمؤمنة بالعصمة الحرفية للكتاب المقدس، سواء العهد القديم أم العهد الجديد، بيد أن الغربيين اليوم يطلقون هذا المصطلح على المسلمين ممن يريدون تحكيم شرع الله في كل شأن من شؤون الحياة.

ومن أمثلة التطرف الديني في نظر العالم الغربي، ما ذكره (أرهدير دكميجان)[٢] الامريكي في كتابه (الأصوليون في العالم العربي)، وقد صدر الكتاب عام ١٩٨٥م وفي أول فصل من هذا الكتاب يتحدث المؤلف عما اسماه (التطرف الإسلامي).فيستعرض من الأحداث التي هزت العالم ونفذت بأيادٍ إسلامية ومنها:

١. العمليات الاستشهادية ضد إسرائيل وقوات الأطلسي في لبنان.
٢. أحداث البحرين والتفجيرات في الكويت.

---

[١] ملاحظات إسلامية حول نعوت التطرف والأصولية، إبراهيم النعمة: ص٣٦.

[٢] نصراني ارمني سوري الأصل أمريكي الجنسية، ولد في حلب بسوريا عام ١٩٣٣م أستاذ العلوم السياسية بجامعة نيويورك، محاضر في شؤون الشرق الأوسط في معهد الخدمات الخارجية بوزارة الخارجية الأمريكية، وهو من المهتمين بالصحوة الإسلامية المعاصرة، يُنظر الأصولية في العالم العربي: ص١٥٠٥.

٣. مظاهرات تونس والجزائر والمغرب....وغير ذلك[١].

وقد استعرض ما اسماه في كتابه هذا (أفكار متطرفة) منها: الاسلام دين ودولة! ومنها: التمسك بالكتاب والسنة مصدراً للتشريع! ومنها الامتداد بالسلف الصالح[٢].

وفي ندوة عقدتها اللجنة الفرعية لشؤون أوروبا والشرق الاوسط المنبثقة عن لجنة الشؤون الخارجية التابعة للكونغرس الأمريكي مجموعة من النصوص التي تساعد على تحديد المفهوم أجملها فيما يأتي:

١. يقول دانييل بابير[٣]، تحت عنوان أهداف الأصوليين والإسلاميين: "يسعى الأصوليون الإسلاميون في كل قطر من هذه الأقطار [يعني الإسلامية] الى تطبيق برنامج متحمس اشتقوه من فهمهم للشريعة الإسلامية وهم يرون أن كتابهم المقدس يحتوي على تفاصيل هذا التطبيق الذي هو مفتاح السياسة بالنسبة لهم"[٤].

٢. يقسم دانييل بابير المسلمين المعاصرين الى ثلاث فئات:

علمانيين، وإصلاحيين، وأصوليين.

فالعلمانيون: هم المحاكون للغرب والذين يرون ضرورة الانسحاب الكامل للدين من الحياة.

---

[١] التلويث الفكري والإعلامي في العالم الإسلامي، عايد الشعراوي، دار النهضة الإسلامية، بيروت، د. ط، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م: ص١٣٥.

[٢] المصدر نفسه: ص١٣٥.

[٣] دانييل بابير: الزميل الزائر بجامعه هارفرد لدراسات الشرق الأوسط كان قد عمل مستشارا للخارجية الأمريكية ومديرا لمؤسسة بحوث السياسة والخارجية في فيلادلفيا من المهتمين بشؤون الشرق الاوسط. يُنظر: مجله المجتمع العدد ٩٤٢: ص٣٩.

[٤] الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، عبد الرحمن اللويحق: ص١٨٠.

والاصـــلاحيون: هـــم الـــذين يـــدمجون بـــين الشـــريعة والمدنيـــة الغربيـــة ويفسرون الشريعة بطريقة متطابقة مع طرق الغرب.

والأصوليون: هم الذين يرون أن الشريعة واجبة التطبيق بالكامل[١].

٣. يحظـى الشـيعة فـي إيـران ولبنـان وبعـض دول المنطقـة الأخـرى بالنصـيب الأكبـر مـن حـديث المشـاركين فـي النـدوة ممـا يـدل علـى أنهـم اسـتأثروا بالرقعـة الكبـرى فـي التفكيـر الغربـي حـول مـا يسـمى (بالأصـولية الإسـلامية) مـع أن د. نـوثن[٢] أحـد المشـاركين فـي النـدوة يقـول: "إن التطرف ليست سمة دائمة من سمات الشيعة أنه رد فعل فقط"[٣].

٤. مـن الملامـح الظـاهرة التـي تتضـح مـن جملـة المؤلفـات والنـدوات حـول موضـوع (الأصـولية) فـي الغـرب أن تهديـد المصـالح الغربيـة مـن منطلـق دينـي بعـد يعـد أبـرز مظاهر(الأصـولية الإسـلامية) ولـذلك كـان الشـيعة هـم الابـرز فـي دراسـات الغـربيين عـن (الأصـولية الإسـلامية) لمـا قـاموا بـه فـي إيران ولبنان من أعمال إرهابية واختطافات للغربيين.

٥. يـرى بعـض الغـربيين أنـه نظـراً لالتـزام المسـلمين بـالقرآن وإيمـانهم بأنـه بحروفـه نـزل مـن عنـد الله يوصـفون جميعا(بالأصـولية) أذ يقـول: "الإسـلام يمكـن أن يقـال بأنـه أصـولي، فالمسـلمون يؤمنـون بـأن القـرآن قـد نـزل بـه

---

[١] الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، عبد الرحمن اللويحق: ص١٨٠.

[٢] هـو اوغسـطس ريتشـارد نـوثن أسـتاذ فـي قسـم العلـوم الاجتماعيـة بالاكاديميـة العسـكرية فـي نيويـورك حاصـل علـى الـدكتوراه فـي العلـوم السياسـية مـن جامعـه شـيكاغو وعـرف بكتاباتـه عـن التطـرف الـديني والسياسـي فـي الشـرق الأوسـط. يُنظـر: مجلـه المجتمـع، العـدد ٩٤٨: ص٣١.

[٣] الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، عبد الرحمن اللويحق: ص١٨٠.

الـوحي حرفيـاً للرسـول (ﷺ) مـن كلماتـه العربيـة، وأن القـرآن وحـي إلهـي لا يتطرق الشك إلى نقائه وخلوه من الأخطاء"[1].

كـل هـذا الغثـاء ولا زال الكثيـر مـن أهـل الاختصـاص فـي جامعاتنـا الاسـلامية يركـزون علـى جوانـب الاخـتلاف المدريـة والمقارنـة العقديـة المذهبيـة بين الفرق الاسلامية لبيان الاحقية بأن يمثل هذا الدين العظيم.

ولهـذا كـان الامـام السـجاد (عليه السلام) سـليل النبـوة والرسـالة قـادرًا علـى قـراءة الـنظم العقديـة مـن خـلال بعـد نظـره إلـى خفايـا المـآرب السـيئة التـي تـدبر للعـالم الإسـلامي، وكـل ذلـك وفـق منظـور خـاص بـه ركـز فيـه علـى الإيضـاح والكشـف والتبيـين لمعـالم الـدرس العقـدي بصـورة تكـاد تختفـي فيـه كـلُّ سـلبيات هـذا الـدرس والمآخذ عليه وهو ما سوف نبرزه في هذه البحث.

---

[1] الأصولية، جيمس بار: ص٧.

المبحث الثاني

وجوب المعرفة الالهية

منْذ أن خلق الله الإنسانَ زوده بجملة من المعارف التي يحتاج إليها في مسيرته لتحقيق معرفة الله (تعالى)، ومعرفة إيمانه، وعقيدته ليتوصل بها الى الحقيقية التي كلفه الله (تعالى) بها، فزينه بالعقل ليدرك معرفة الاشياء، كذلك نزّل عليه كتب الوحي ليمده بمعارف ما كان بإمكانه الحصول عليها لولا الوحي، وبثّ في الكون والطبيعة من الآيات، والعلامات، والظواهر الطبيعية ما يساعده على اكتشاف أسرار الكون وإدراك قوانين الطبيعة، وكلّ ذلك يدلّ على أنّ حياة الإنسان لا يمكن أنْ تستقيم دون معرفة الله (تعالى).

والمعرفة: هي العلم بالشيء، يدلُّ على سكون إليه؛ لأنَّ من أنكر شيئاً توحَّش منه ونبا عنه[1].

وعرّفت أيضاً بأنّها: إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمّى الحقّ(تعالى) بالعالم دون العارف[2].

---

[1] يُنظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ٢٨٢/٤؛ مختار الصحاح، لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي(ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ: ص٢٠٦؛ لسان العرب، ابن منظور: ٩٩/٤؛ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الحموي(ت: نحو٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، د. ت ٢/ ٤٢٧؛ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت: ٨١٧ هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ: ص٣٣٤.

[2] يُنظر: تبصرة الأدلة: ١٣/١؛ التعريفات، للجرجاني: ص ٢٢١.

لـذلك فإنّـا نجـدُ أنّ بـين العلـم والمعرفـة تشـابهاً فـي النهايـات والثمـرات، فالمعرفـة: هـي مـا وضـع ليـدلّ علـى شـيء بعينـه، وهـي المضـمرات، والأعـلام، والمبهمـات، والعلـم: هـو الاعتقـاد الجـازم المطـابق للواقـع، وقـال الحكمـاء: هـو حصـول صـورة الشـيء فـي العقـل، والأول أخـصّ مـن الثـاني، وقيـل: العلـم هـو إدراك الشـيء علـى مـا هـو بـه، وقيـل: زوال الخفـاء مـن المعلـوم، والجهـل نقيضه[1].

وسـرّ المسـألة: أنَّ المعرفـة تمييـز مـا اخـتلط فيـه المعـروف بغيـره فاشـتبه، فالمعرفـة تمييـز، والمعرفـة فعلهـا يقـع علـى مفعـول واحـد، فتقـول: عرفـت الـدار، قـال تعـالى: ﴿فَعَـرَفَهُمْ وَهُـمْ لَـهُ مُنْكِـرُونَ﴾[2]، أمَّـا فعـل العلـم، فيقتضـي مفعـولين؛ كقولـه تعـالى: ﴿فَـإِنْ عَلِمْتُمُـوهُنَّ مُؤْمِنَـاتٍ﴾[3] نلاحـظ قربـاً بـين معنـى العلـم ومعنـى المعرفـة، ذلـك أنَّ كـلاً منهمـا يُعَـدُّ علامـة، أو دلالـة علـى شـيء، وإنْ كانـت المعرفـة تـدُلُّ علـى مـا ارتفـع مـن الشـيء، والمعرفـة بمعنـى المجـازاة إنَّمـا تتضـمن العلـم بحـال المجـازى وقـدره، وفـي المعرفـة علـم بسـبب المجـازاة، وفيهـا علـم وعمـل، وفيهـا ارتفـاع لقـدر المعـروف علـى العـارف، ومـن ثـمّ كانـت معرفـة الله (تعـالى) العلـم اليقينـي بـه، وعمـل مـا يتناسـب مـع قـدره (سـبحانه) فالمعرفـة تشـمل في معانيها الاعتراف والإقرار، وهما علم وأدلة[4].

ويـرى الاماميـة ضـرورة النظـر فـي إثبـات العقائـد الدينيـة، فيقـول العلامـة الحلـي: "أجمـع العلمـاء كافـة علـى وجـوب معرفـة الله تعـالى وصـفاته الثبوتيـة

---

[1] يُنظر: التعريفات، للجرجاني: ص١٥٥.

[2] سورة يوسف، من الآية: ٥٨.

[3] سورة الممتحنة، من الآية: ١٠.

[4] يُنظر: مقايس اللغة، لابن فارس: ٤/ ٢٨٢.

والسلبية، وما يصح عليه وما يمتنع والنبوة والإمامة والمعاد بالدليل لا بالتقليد"[1].

وقد خاضت المدارس الكلامية في حيثيات هذه المسألة حتى وصلت حدًّا فرَّغَ العنوان من مضامينه، ومن هنا نرى أن الإمام السجاد لم يدخل نفسه في متاهات الكلاميين، أو مماحكاتهم الفرقية، أو اسقاطاتهم غير المنضبطة، أو مناقشة هذه المسائل من منطلق الحاكم على الآخرين وأقوالهم، أو توصيف صنيع الآخرين سلبا أو ايجابا، وإنَّما عالج المسألة وفق منظوره القائم على أنَّ تجلية الحق كفيل بهداية الناس إذا ما أحسنَّا عرضه بصورة صحيحة، وفي ثوب قشيب زاهٍ.

إنَّ معرفة الله تعالى بأنه صانع العالم، وأنه (ﷻ) قديم وليس منه، هي أساس الطاعة والعبادة، ولكنها تُعَد معرفة ناقصة وكمالها التصديق به (ﷻ) ذاته بصفته الخاصة التي لا يُشارِكه فيها غيره، وهي وجوب الوجود، ولا يكمل هذا التصديق حتى يكون معه لازمه وهو التوحيد وإنه لا شريك له في ذاته؛ لأن واجب الوجود لا يتعدد، ثم ان كمال هذا التوحيد يكون بالإخلاص له، وهو اما جعله خالياً من النقائض وسلب الجسمية والعرضية وأمثالها عنه, أو الإخلاص له بالعمل .[2]

---

[1] النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، المقداد السيوري (ت: ٨٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ مشتاق الزيدي، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ٢٠١٠م: ٢١٣-٢٢٠.

(٢) (يُنظر) نهج البلاغة للإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) – شرح الشيخ محمد عبده / المكتبة العصرية , صيدا – بيروت : ١٤٣٤هـ -٢٠١٣ م : الخطبة الاولى :٢١/١, والإحتجاج – أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي/ تعليق : محمد باقر الموسوي– نشر مطبعة ذوي القربى , مطبعة كيميا – قم / الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ : ١٣٩/٢ .

وهذا ما نبه عليه الإمام علي(عليه السلام) في خطبه التوحيدية، ومنها خطبته التوحيدية الأُولى من نهج البلاغة بقوله(عليه السلام): " **أولُ الدينِ معرفتُهُ، وكمالُ معرِفتهِ التصديقُ به، وكمالُ التصديقِ به توحيدُهُ، وكمالُ توحيدِهِ الإخلاص له** " .[1]

وفي معرفة الله تعالى من الإيمان به سبحانه، والتصديق بما جاء به نبي صلى الله عليه وآله، ووجوب وجوده وأنه تعالى واحدٌ في الذات والصفات والأفعال.

نجد الإمام السجاد(عليه السلام) يتناول هذه المسألة من خلال أدعيته في الصحيفة السجادية من ملحظ مهم، وهو أنَّ العلم والعمل كفيلان بتعظيم الخالف ومعرفته، لذا نراه يقول:(سُبْحَانَكَ أَخْشَى خَلْقِكَ لَكَ أَعْلَمُهُمْ بِكَ، وَأَخْضَعُهُمْ لَكَ أَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِكَ، وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ تَرْزُقُهُ وَهُوَ يَعْبُدُ غَيْرَكَ) [2].

فالإمام هنا يشير لأمرٍ مهمٍ، وهو ملحظ فني معمول به عند الحكماء، وهو أن مبحث ما الشارحة يجب أن يكون بعد مبحث هل البسيطة، فالحديث عن عظمة الله تعالى يكون بعد الفراغ عن السؤال بهل: الله تعالى موجود؟، ولذلك نجد الإمام هنا يشير إلى أن المحقق لخشية الله تعالى هو العالم به، والمحقق للخضوع التام هو الذي يعمل بطاعة الله تعالى، وذلك لا يتأتى إلا بواسطة الرسل أو بإقامة الدلائل في الأفاق والأنفس أو بواسطة العقول أو بخلقه لهم على فطرة التوحيد فإن من عرف نفسه فقد عرف ربه[3].

وهذه دعوة من الإمام السجاد لسلوك هذا الطريق في الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى؛ حيث أوضح الإمام السجاد (عليه السلام) هذا الأمر بأن حمد الله

([1]) نهج البلاغة : الخطبة الاولى :٢١/١ .

[2] الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

[3] نور الأنوار في شرح الصحيفة السجادية، السيد نعمة الله الجزائري، أميران، ايران، د. ط، ١٤٢٧هـ: ص٣٤.

تعالى على أنه أعطانا المعرفة به، وجعل شكر الله تعالى إلهاما لنا منه تعالى، حيث قال(عليه السلام): (الْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى مَا عَرّفَنَا مِنْ نَفْسِهِ، وَ أَلْهَمَنَا مِنْ شُكْرِهِ) [1].

وهنا قضية مهمة جدًّا، وهي احتفاء الإمام السجاد بقضية الإلهام في الوصول إلى معرفة الله تعالى بخلاف ما هو شائع في الدرس الكلامي من الإلهام ليس من أسباب العلم بصحة الشيء[2].

والإلهام، لغةً: "من (لهم) اللام والهاء والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ابتلاعِ شيء، التَهَم الشَّيء: التَقَمه... كأنَّه شيءٌ أُلقِيَ في الرُّوع فالتَهَمَه" [3].

اصطلاحاً: "الإلهام أما يلقي في الروع بطريق الفيض. وقيل: الإلهام: هو ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة"[4].

"ومن العلماء من جعل الإلهام نوعا من الوحي...وقال بعض المحققين: الوحي فيضان العلم من الله إلى النبي بواسطة الملك. والإلهام في قلبه ابتداء"[5].

بيد ان "الإلهام قد يطلق على الوحي ولكنه لا يراد به وحي النبوة فان وحي النبوة يختلف تماما عن الإلهام. فلذا نجد القرآن يقول: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ

---

[1] الصحيفة السجادية: دعاء: ١.

[2] شرح العقائد النسفية، للتفتازاني: ص٦.

[3] مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢١٧/٥، باب اللام والهاء؛ مجمع البحرين، الطريحي: ١٢٦/٦.

[4] التعريفات، علي محمد علي الجرجاني الحنفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ١٤٢٤هـ: ص٣٨.

[5] الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري(ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، د. ط، ١٤١٢هـ: ص٦٨.

مُوسَى﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[2]. فالإيحاء الى ام موسى نوع من الإلهام وليس وحي نبوة. وأما الإيحاء الى النحل، فهو الهامه من طريق غريزته التي أودعها الله في بنيته"[3].

فالإلهام: "ما يلقى في الروع بطريق الفيض ويختص من جهة الله والملأ الأعلى ويقال إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر يخص الله به بعض أصفيائه أولو الألباب الذين يأخذون من كل قشر لبابه ويطلبون من ظاهر الحديث سره"[4].

من هنا وبعد استقراء لكلمات الإمام السجاد(عليه السلام) ففي الغالب كلما ذكر الشكر أما يذكر معه الإلهام أو يقول أوزعني وهو لفظ يطلق ويراد به الإلهام "وأوْزَعَه الشيء: ألهَمَه إياه، وفي التنزيل ﴿أَوْزِعْنِي أَنْ أَشكُرَ نِعْمَتَكَ﴾[5].

لِتُوزَعْ بِتقوى الله أي لتُلْهم بتقوى الله"[6].

يقول (عليه السلام):(وَأَوْزِعْني أَنْ أُثْنِيَ بِما أَوْلَيْتَنيهِ وَأَعْتَرِفَ بِما أَسْدَيْتَهُ إِلَيَّ)[7].

ويقول ايضا: (اللّهُمَّ فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ شُكْرَ ما أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ) [1].

---

[1] سورة القصص، الآية: ٧.

[2] سورة النحل، الآية: ٦٨.

[3] التجديد في النظام المعرفي للفكر الكلامي المعاصر عند الإمامية، د. رزاق حسين فرهود: ص٥.

[4] التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٤١٠: ص٢٥،

[5] سورة النمل، الآية: ١٩.

[6] لسان العرب، ابن منظور: ٣٩٠/٨، مادة وزع.

[7] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

فيتحصل لدينا ان شكر المنعم عند الإمام السجاد (عليه السلام) الذي سيوصل للمعرفة الإلهية يكون عن طريق الفطرة والعقل والنقل والإلهام فيكون فيضًا من الله تعالى، ومِنَّةً على العباد وتكرماً ورزقاً لذلك يقول الإمام السجاد (عليه السلام):

(الحَمْدُ لِلّهِ الذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلى ما أبْلاهُمْ مِنْ مِنَنِهِ المُتَتابِعَةِ؛ وَأسْبَغَ عَلَيهِمْ مِنْ نِعَمِهِ المُتَظاهِرَةِ؛ لَتَصَرَّفُوا في مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ؛ وَتَوَسَّعُوا في رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ، وَلَوْ كانُوا كَذلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الإنْسانِيَّةِ إلى حَدِّ البَهِيمِيَّةِ فَكانُوا كَما وَصَفَ في مُحْكَمِ كِتابِهِ:﴿إنْ هُمْ إلاّ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أضَلُّ سَبيلاً﴾[٢]) [٣].

فبعد أن ألهم الله تعالى عباده معرفته، وأنَّه هو المنعم وجب على عباده شكره بما تفضل عليهم ورزقهم وتكرم عليهم من النعم المتظاهرة والمتتابعة، كما قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[٤].

بما أن "الشكر فرع المعرفة والمفروض انهم لا يعرفون حمده... يتناولون الرزق بدون أن يشكروا (لخرجوا من حدود الإنسانية إلى حد البهيمية)؛ إذ البهيمة لا تشكر لعدم معرفتها، وكذلك يكون الإنسان حينئذ.

ولا يخفى أن التشبيه بحسب الظاهر وإلاّ فالبهائم تعرف الإله وتشكره كما قال سبحانه: ﴿وإن من شيء إلاّ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[٥]" [١].

---

[١] المصدر نفسه، دعاء: ٤٧.

[٢] سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

[٤] سورة إبراهيم، الآية: ٣٤. وسورة النحل، الآية: ١٨.

[٥] سورة الأسراء. الآية: ٤٤.

فتكـون النتيجـة ان الـذي لا يحمـد النعمـة ولا يشـكرها يكـون أضـل مـن الأنعـام "الأنعـام تعـرف مصـالحها ومفاسـدها والإنسـان المنحـرف لا يعـرف ذلـك. ولا يخفى أن الحمد بالنتيجة على هداية الإنسان وعدم جعله كالأنعام" [٢].

لكـن الاسـتعلام المـوائم هنـا هـو مـا هـو المـائز بـين الإنسـان والبهيمـة؟ سيكون الجـواب علـى الفـور العقـل. فـيمكن القـول أن الإمـام (عليه السلام) يلفـت الـى حكـم العقل (الذي يميزنا عن البهيمة) بوجوب شكر المنعم.

وفـي ضـوء ذلـك، يعـرف الله فـي آياتـه وآثـاره، ومـن ثـم فكـان الحمـد والشكر على النعمة مظهراً من مظاهر معرفة الله.

"ولـولا ذلـك، لمـا كـان لديـه وعـي الحمـد وشـعور الشّـكر، فيتقلّـب فـي نعـم الله مـن دون حمـدٍ ولا شـكر، مـا يجعلـه بعيـداً عـن عمـق الإحسـاس بالإنسـانيَّة الّتـي تفـرض علـى الإنسـان أن يحمـد ربّـه بمـا يسـتحقّه مـن الحمـد... وقريبـاً مـن البهيميّـة الّتـي لا تتفاعـل مـع الأجـواء المحيطـة بهـا فـي الـوعي المنفـتح علـى المعـاني الكبيرة"[٣].

مـن الواضـح أن الـنعم مهمـا أردنـا عـدّها فهـي لا تحصـى فيكـون الشـكر غيـر متناسـب مـع النعمـة وعلـى تقـدير أنَ المطلـوب أنْ يتناسـب الشـكر مـع النعمـة سـيكون تكليفـاً بغيـر المقـدور وباسـتقراء الصـحيفة ومـا فيهـا مـن معـانٍ لطيفـةٍ نجـد الإمـام (عليه السلام) يتطـرق الـى سـعة الشـكر الـذي يريـده الله تعـالى مـن العبـد فقـد افـرد دعـاءً خاصـاً (فـي الاعتـراف بالتقصـير عـن تأديـة الشـكر) [٤]، فيقـول فـي معـرض

---

[١] شـرح الصـحيفة السـجادية، السـيد محمد الحسـيني الشـيرازي، دار العلـوم، لبنـان، د. ط، ٢٠٠٨م: ص١٩.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] آفاق الروح، فضل الله: ٤٠/١.

[٤] الصحيفة السجادية: دعاء: ٣٧.

شـكر الله تعـالى يقـول(عليه السلام):(اللّهُـمَّ إنَّ أَحَـداً لا يَبْلُـغُ مِـنْ شُـكْرِكَ غايَـةً إلاّ حَصَـلَ عَلَيْـهِ مِـنْ إحْسـانِكَ مـا يُلْزِمُـهُ شُـكْراً، وَلا يَبْلُـغُ مَبْلَغـاً مِـنْ طاعَتِـكَ وَإنِ اجْتَهَـدَ إلا كـانَ مُقَصِّراً دُونَ اسْتِحْقاقِكَ بِفَضْلِكَ، فَأَشْكَرُ عِبادِكَ عاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ) [1]

"التوفيـق للشـكر نعمـة طارئـة تسـتدعي الشـكر عليهـا، ومعنـى هـذا انـه يجـب الشـكر علـى كـل شـكر إلـى مـا لا نهايـة، وأيضـا معنـى هـذا أن مَـنْ نطـق بكلمـة الشـكر، ينبغـي أنْ يكررهـا حتـى الممـات، وهنـا يكمـن سـر العجـز عـن شـكره تعـالى كما هو أهل له" [2].

وروي عنـه(عليه السلام)انـه قال:(سـبحان مـن لـم يجعـل فـي أحـد مـن معرفـة نعمـه إلا المعرفـة بالتقصـير عـن معرفتهـا، كمـا لـم يجعـل فـي أحـد مـن معرفـة إدراكـه أكثـر مـن العلـم بأنـه لا يدركـه. فشـكر عـز وجـل معرفـة العـارفين بالتقصـير عـن معرفتــه، وجعــل معــرفتهم بالتقصــير شــكرا، كمــا جعــل علــم العــالمين أنهــم لا يدركونه إيمانا) [3].

نخلـص ممـا تقـدم أن مبحـث وجـود الله تعـالى ومعرفتـه مـن عويصـات علـم الكـلام، وهـو بحـر لا سـاحل لـه، وكـم حـاول الغـوص فيـه فلاسـفة ومفكـرون لـم يستضـيئوا بنـور الـوحي فمـا أفلحـوا، بـل عـادوا بعـد جهـد جهيـد وبعـد حثيـث التـوالي بخفـي حنـين، وكـانوا كالمنبـت لا ارضـا قطـع ولا ظهـرا أبقـى، ولـم يفـك غـور تلـك

---

[1] المصدر نفسه.

[2] فـي ظـلال الصـحيفة السـجادية، شـرح: الشـيخ محمد جـواد مغنيـة، حققهـا: سـامي الغريـري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط١، د. ط: ص ٢٢٥.

[3] شـعب الإيمـان، لأبـي بكـر أحمـد بـن الحسـين البيهقـي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيـق: محمد السـعيد بسـيوني زغلـول، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، د. ط، ١٤١٠، حـديث رقـم (٤٦٢٤): ١٥٢/٤؛ الكـافي، الكلينـي، خطبـة لأميـر المـؤمنين عليـه السـلام، حـديث رقـم (٥٩٢): ٣٩٤/٨.

المعرفة سوى المستضيئين بنور الوحي، ومنهم الإمام السجاد "ع" الذي كان منها كحاقن الاهالة[1] فقد كان يتعامل مع هذه المباحث وقضية المعرفة ووجود الله بحرفية كيف لا، إن الدواهي في الآفات تهترس[2].

[1]) مثل يضرب للعالم بالشيء، أي هو عالم به كحاقن الإهالة، وهو الزيت في المصباح لا يحقنه حتى يتأكد من برودته لئلا يحترق.

[2]) إنَّ الدَّوَاهِيَ في الآفاتِ تَهْتَرِس، ويروى "ترتهس" وهو قلبُ تهترس من الهَرْسِ، وهو الدقّ، يعني أن الآفات يموج بعضها في بعض ويدق بعضها بعضاً كثرة. يضرب عند اشتداد الزمان واضطراب الفتن. وأصله أن رجلا مر بآخر وهو يقول: يا ربِّ إما مهرةً أو مهراً، فأنكر عليه ذلك، وقال: لا يكون الجنين إلا مهرةً أو مهراً، فلما ظهر الجنين كان مُشَيَّأً الْخَلْقِ مختلفه، فقال الرجل عند ذلك:

قَدْ طَرَّقَتْ بجنينٍ نصفُهُ فَرَسٌ ... إن الدواهِيَ في الآفاتِ تهترس

المبحث الثالث

مسالك الاستدلال على وجود الله تعالى

إنّ وجـود الله (تعـالى) قضـية حتميـة لا يتنـازع عليهـا إلاّ مـن اسـتهواه الشـيطان وغلـب علـى عقلـه، وحيـث ذكـر الكلاميـون فـي مصـنفاتهم أنّ قضـية وجـود الألوهيـة لا يختلـف عليهـا أهـلُ الملـل، والكـلّ متفقـون علـى وجـود الله(تعـالى)، وإنْ اختلفـوا فـي طـرق توحيـده ووجـوده، وهـذه القاعـدة ظـاهرة فـي كـلّ ملـة وديانـة لهـم فيهـا مسـالك، وشُـعب متفرقـة فـي معرفـة الوجـود وعلـة الصانع[1].

وقبـل أن نفصـل الموضـوع بجميـع حيثياتـه لا بـد مـن الإيضـاح لـبعض الأمور:

- **معنى (الله) واجب الوجود سبحانه وتعالى.**

في اللغة :- إنَّ اسمه (ﷻ) الأكبر هو(الله) لا إله إلّا هو وحده،و(الألف واللام) لا تُطرح من اسمه تعالى إنَّما هو (الله)على التمام، وليس (الله) من الأسماء التي يجوز منها اشتقاق فعل كما يجوز في (الرحمن، الرحيم).[2]

قال سيبويه[1] "(الله)اسم يلزمه الألف واللام لا يفارقانه، وكثر في الكلام فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التي من نفس الحروف،وكأنَّ الاسم والله أعلم

---

[1] يُنظـر: تـأويلات أهـل السـنة (تفسـير الماتريـدي)، أبـو منصـور محمد بـن محمد الماتريـدي السـمرقندي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيـق: مجـدي باسـلوم، بيـروت، دار الكتـب العلميـة، ط١، ٢٠٠٥م: ١/ ١٢٣؛ التوحيـد: ص ١١٩؛ معـالم أصـول الـدين، لأبـي عبـد الله محمد بـن عمـر بـن الحسـن بـن الحسـين الـرازي (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيـق: طـه عبـد الـرؤوف سـعد، دار الكتـاب العربي، لبنان، ط١، ١٩٩٧م: ص٦٢.

(٢) (ينظر) كتاب العين، باب الهمزة :٨٢/١ .

أصلُهُ (إلاه)فلما أُدخِل فيه الألف واللام حذفوا الألف وصارت الألف واللام خلفاً منها، فهذا مما يقويه أن يكون بمنزلة ما هو من نفس الحرف ومثل ذلك أناسٌ، فإذا أدخلت الألف واللام قلتَ الناس؛ إلا أن الناس قد تفارقهم الألف واللام ويكون نكرة،واسمُ الله (ﷻ)لايكون فيه ذلك ".[٢]

وفي الإصطلاح :- الله تعالى اسم للذات الموصوفة بجميع الصفات، المُسماة بجميع الأسماء، فالله تعالى هو اسم الذات الإلهية من حيثُ هي هي، أي المطلقة الصادقة عليها مع جميعها أو بعضها، أو لا مع واحدٍ منها.[٣]

وهو اسمٌ مختَصٌ بالقديم(ﷻ)لا يُسمى بذلك غيره، و(الله) " عَلَم للذات الواجب الوجود المستوجب لصفات الكمال " .[٤]

فـ (الله)**عَلَمٌ** دالٌ على الإله الحق دِلالةً جامعةً لجميعِ الأسماء الحسنى، والإلهية : هي أحدية جمع جميع الحقائق الوجودية .[٥]

---

(١) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشير، المُلَقب بـ(سيبويه)، إمام النحاة وأول من بسط علم النحو، وُلِد في إحدى قرى شيراز وقدِم البصرة فلَزِم الخليل بن أحمد الفراهيدي ففاقه، وصنَّف كتابه المُسمى بـ (كتاب سيبويه) في النحو، ولم يُصنع قبله ولا بعده مثله، رحل الى بغداد وناظر الكسائي وعادَ الى الأهواز وتوفي فيها، وقِيل وفاته وقبره بشيراز، وكانت في لسانه حبسة، توفي شاباً واختُلِف في تاريخ وفاته والأصح منها سنة ثمانين ومئة .(تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ١٩١/١٢ ، سير أعلام النبلاء :٣٥١/٨ ، اعيان الشيعة :٢٤٩/٧ ، والاعلام للزركلي :٨١/٥) .

(٢) كتاب سيبويه – ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)/ تحقيق: عبد السلام محمد هارون/ مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر/ الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م :١٣٢/١، و(ينظر)المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, باب الألف واللام وما يثلثهما : ٨ , وذكر هذا التعريف الشيخ الصدوق في التوحيد, باب أسماء الله الحسنى : ١٩٦, والسيد الشريف المرتضى في الذخيرة في علم الكلام : ٥٨٠ .

(٣) التعريفات : ١١ , و(يُنظَر) حقيقة الأسماء الحسنى – الشيخ أحمد الماحوزي / مطبعة كوثر , قم – ايران / الطبعة الأُولى ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م : ١٦.

(٤) المسامرة شرح المسايرة : ٢ .

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف, باب الألف , فصل اللام : ٥٩ .

" ويُوصَف الله تعالى بأنه **ذات**, وفائدة هذه الصفة في إصطلاح المتكلمين أنه تعالى يصح أن يُعلَم ويختصَّ بصفاتٍ بُيِّن بها من غيره، وقد يُضاف اليه تعالى هذه الصفة فيُقال عالمٌ لذاته، وقادرٌ لنفسه، يُراد المبالغة في الإختصاص بهذه الصفة على حدٍ لا يمكن أخصُّ منه " .[١]

والوجود، معناه ظاهر، وهو التحقق والثبوت، ولتميزه عن مقابله(العدم)، ولا يحتاج لتعريفٍ يرفع التباسه به.[٢]

و**واجب الوجود:** " فالوجوب قد يكون بالذات, وقد يكون بالغير، **الأول** : ما يقتضي ذات الموصوف به وجوب وجودها لماهيتها، لا باعتبار أمرٍ آخر، وهو واجب الوجود لذاته. و**الثاني:** ما لا يقتضي ماهيته الوجود، وإنما يستفيد الوجود من غيره حال فرض وجود السبب؛ كالممكنات حال وجود عِللها وأسبابها" .[٣]

" فالواجب الأول أمران، **أحدهما:** كونه مستحقاً للوجود من ذاته، و**الثاني:** عدم توقفه على الغير، وهذا الاعتبار للثاني كالمعلول للأول؛ فإنَّ الواجب لمَّا استحَق الوجود لذاته استغنى عن غيره؛ فإنَّ الحاجةَ الى الغير إنما هي بسبب الإمكان" .[٤]

" وواجب الوجود لذاته هو الواجب بالذات، وهو ما يكون مقتضياً لوجوده من حيث الذات بخلاف الوجود بالغير، وهو ما يكون مقتضياً لوجوده لا من حيث الذات بل باعتبارٍ آخر" .[١]

---

(١) الذخيرة في علم الكلام : ٥٨٨ .

(٢) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة – عبد الكريم تتان , ومحمد أديب الكيلاني / مراجعة وتقديم الشيخ عبد الكريم الرفاعي , والشيخ وهبي سلمان غاوجي الالباني / دار البشائر , دمشق – سوريا / الطبعة الثانية ١٤١٩هـ– ١٩٩٩م : ٢٧٥ .

(٣) نهاية المرام في علم الكلام – العلَّامة محمد بن الحسن الحلي (ت٧٢٦هـ) / تحقيق : فاضل العرفان / مطبعة اعتماد , قم – ايران / الطبعة الأُولى ١٤١٩هـ : ٨٩/١ .

(٤) نهاية المرام في علم الكلام : ٨٩/١ , و(يُنظَر) الكليات : ٩٢٣ , وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم – العلَّامة محمد علي التهانوي (ت بعد ١١٩١هـ) / تقديم واشراف ومراجعة : د. رفيق العجم , تحقيق : د. علي دحروج / مكتبة لبنان ناشرون , بيروت – لبنان / الطبعة الأُولى ١٩٩٦م : ٢/ ١٧٦٢ .

والله(ﷻ) **واجب الوجود**," وهو الذي يكون وجوده من ذاته ولايحتاج الى شيءٍ أصلاً"[٢]؛ " فهو الذي لا يقبله العدم ولا يقبله بوجهٍ من الوجوه لا أزلاً ولا أبداً, ولا يرتفع بارتفاع غيره " . [٣]

- **دلائل وجوب الواجب سبحانه وتعالى**

"واجب الوجود يجب أن يعقل ذاتَه بذاتِه، ويعقل ما بعده، من حيث هو علَّة لما بعده، ومنه وجوده، ويعقل سائر الأشياء من حيث وجوبها في سلسلة الترتيب النازل من عنده، طولاً وعرضا".[٤]

ويجب الاعتقاد مع الإقرار بأن الله(ﷻ) الذي هو واجب الوجود بالذات، وصاحب جميع الصفات من صفات الكمال والجمال، والمنزه عن صفات النقص؛ لكونه صاحب الجلال، وتكون صفاته الذاتية كوجوده ووجوبه عين الذات, أي واحدٌ من جميع الجهات لا تكثر فيه ولا شريك له في الذات ولا كفؤاً ولا شبه له في الصفات، بمعنى أن المُكلف لا بُدَّ أنْ يعتقد إن الله تعالى موجودٌ بوجودٍ هو عين ذاته؛ لأنه موجدٌ للعالم وللآثار الممكنة التي لا تحدث بنفسها، بل تحتاج الى مؤثر غير متأثر ولو بواسطة، فيكون وجوده ضرورياً بالذات؛ لضرورة ثبوت الشيء لنفسه وعدمه ممتنعاً بالذات، وإنه تعالى قديم بمقتضى وجوب وجوده؛ إذ لولاه لكان حادثاً محتاجاً الى محدِث .[٥]

---

(١) فتح المبين لشرح الأربعين – الإمام أحمد بن حجر الهيتمي (ت٩٧٣هـ), مع هامش حاشية العلَّامة الشيخ حسن بن علي المدابغي / المطبعة العامرة الشرفية – مصر ١٣٢٠هـ : ٥ , و(يُنظَر) التعريفات : ١٠٩ .

(٢) التعريفات : ١٠٩ .

(٣) عون المريد لشرح جوهرة التوحيد : ٢٧٧ .

(٤) الإشارات والتنبيهات – ابو علي بن سينا (٤٢٧هـ) مع شرح نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ) / تحقيق : د. سليمان دنيا / دار المعارف , القاهرة – مصر / الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥ م : ٢٧٨/٣ .

(٥) البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة – محمد جعفر الأسترآبادي (ت١٢٦٣هـ)/ مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية – قسم إحياء التراث الإسلامي / مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي – قم , الطبعة الاولى ١٣٨٢هـ : ٢١ .

وقضية وجود الله تعالى من القضايا التي اتفقت عليه كلمة المسلمين وجميع أهل الأديان إلا إنهم اختلفوا في وجوه وطرائق اثبات ذلك، وعلى النحو الآتي:

حيث اختلف المسلمون في ذلك على طريقين:

أولاً: أنّ وجوده (تعالى) أمرٌ فطري قد فطر الله (تعالى) عباده عليه، وممن ذهب إلى هذا القول طائفتان، وهما:

الطائفة الأولى: تقول: إنّ فقر المخلوقات إلى الخالق ودلالتها له أمر فطري فطر الله المخلوقات عليه. كما أنّه فطرهم على الإقرار به بدون هذه الآيات، والتحقيق: أنّ العلم بأنّ المحدَث لا بدّ له من محدِث هو علم فطري ضروري في المعينات الجزئية، وأبلغ ممّا هو في القضية الكلية[1].

الطائفة الثانية: تقول: إنّ الدليل على الله هو الله وحده، وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل في حاجته إلى الدليل؛ لأنّه محدث، والمحدث لا يدل إلا

[1] يُنظر: المسامرة بشرح المسايرة في علم الكلام، للعلامة كمال الدين بن همام (ت: ٩٠٦هـ)، الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ط١، ١٣١٧هـ: ص٦٢.

على مثله. وقال رجلٌ للنوري[١]: ما الدليلُ على الله؟، قال: اللهُ. قال: فما العقل ؟ قال: العقل عاجز، والعاجز لا يدل إلا على عاجز مثله[٢].

ثانياً: أنّ وجود الله (تعالى) أمرٌ عقلي يحتاج إلى نظر وتفكر، وذهب إلى هذا القول ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: عللت ذلك بالقول "إنّ الله (تعالى) لا يعرف ضرورة، ولا بالمشاهدة، فيجب أنْ نعرفه بالتفكر والنظر"[٣]

ويقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: "فاعلم أنا لا نحتاج إلى إقامة الدليل له على وجود هذه الموجودات؛ لأنا نشاهدها ونعلم وجودها بالاضطرار، وليس كذلك القديم (تعالى) فإنا لا نشاهده عز وجل، فاحتجنا إلى إقامة الدليل عليه"[٤].

---

[١] أبو الحسين النوري أحمد بن محمد بغدادي المنشأ والمولد خراساني الأصل، يعرف بابن البغوي، وكان من أجلّ مشايخ القوم وعلمائهم لم يكنْ في وقته أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلاماً: صحب سريا السقطي ومحمد بن علي القصاب، توفي سنة ٢٩٥هـ. يُنظر: طبقات الصوفية، لمحمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، السلمي (ت: ٤١٢هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ: ص ١٣٦.

[٢] يُنظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت: ٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت: ص ٦٣.

[٣] شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، (ت: ٤١٥هـ)، تحقيق: احمد بن الحسين بن أبي هاشم، دار احياء التراث العربي، لبنان - بيروت، ط٢، ١٤٣٣هـ: ص ٣٩.

[٤] المصدر نفسه: ص١٧٧.

الفرقة الثانية: قال صاحب المقالات:" وكان يقول الأشعري: إنّ المعرفة بالله (تعالى) طريقه الاكتساب، والنظر في آياته، والاستدلال عليه بأفعاله"[1].

الفرقة الثالثة: الفلاسفة: واستدلوا بدليل الامكان[2].

وقالوا: لا شكّ أن ههنا موجود، وكلّ موجود إمّا ممكن، أو واجب، فإنْ كان واجباً، فقد صح وجود الواجب، وهو المطلوب، وإنْ كان ممكناً، فإنّا نوضح: أنّ الممكنَ ينتهي وجوده الى واجب الوجود[3].

ويقول التلمساني[1]: "واعتماد الفلاسفة في إثبات العلم بواجب الوجود على طريق الإمكان"[2].

---

[1] مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك (ت: ٣٠٦هـ) الأصبهاني، تحقيق: أحمد السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦م: ص ١١.

[2] يُعدّ هذا الدليل من أشهر أدلة الفلاسفة على وجود الله (تعالى)، وخلاصته: هو أنّ الأجسام مركبة، والمركب يفتقر إلى أجزائه وكل مفتقر ممكن، والممكن لا بدّ له من وجود واجب وتستحيل الكثرة في ذات الواجب بوجه من الوجوه إذ يلزم تركيبه، وافتقاره وذلك ينافي وجوبه وهذا هو غاية توحيدهم، وبه أثبتوا الخالق على زعمهم. يُنظر: تهافت الفلاسفة، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط٦، د. ت: ص١٢٤؛ الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ: ٣ /٩٨٢.

[3] يُنظر: الإشارات والتنبيهات، لأبي علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الدكتور حامد ناجي اصفهاني، دار المعارف، بيروت، ط٢، ١٩٣٨هـ: ص٢٣٥؛ الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت: ٥٢١هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ: ص ٨٧.

ومن المعلوم: أنّ دليل الإمكان من الأدلة العقلية في إثبات وجود الله (سبحانه)، وإنْ كنّا نوافق الفلاسفةَ في أنّ وجودَ الله (تعالى) من الأمور التي تحتاج إلى نظر واستدلال، إلّا أننا لسنا معهم في أنّ دليلَ الإمكان من الأدلة المعتبرة في إثبات وجود الله (تعالى)، لأنّ دليل الإمكان يلزم منه أنّ العلم بحدوث العالم يتأخر عن العلم بإثبات الصانع، وذلك على خلاف دليل الحدوث الذي استخدمه أهل السنة، حيث إنّ العلمَ بحدوث العالم يتقدم على العلم بوجود الصانع الحكيم[٣].

ثالثاً: أنّ وجود الله (تعالى) أمرٌ يثبت بالسمع، وهو قول:(الحشوية)، فقد انتقد ابن رشد هذا الرأي، لما ذهبوا إليه من ضرورة الإيمان بوجود الله إيماناً أعمى أساسه السمع والطاعة، والاكتفاء بالنقل ونصوص الدين دون أي تفكير من جانب العقل، فإننا إذا تأملنا القرآن ذاته وجدناه يحثنا بين حين وآخر على التأمل والتدبر والاعتبار، ولا وجه لمعترض أنْ يقول: إنّه لو كان الإيمان بوجود الله لا يصح إلا بالدليل العقلي لكان على النبي، وهو يعرف العقيدة أنْ يقيم على ذلك الدليل؛ لأنّ العرب حتى في جاهليتهم

---

[١] عبد الله بن محمد بن علي، أبو محمد، شرف الدين الفهري التلمساني: فقيه أصولي شافعيّ. أصله من تلمسان اشتهر بمصر، وتصدر للإقراء. وصنف كتبا، منها: ((شرح المعالم في أصول الدين، و((شرح التنبيه في فروع الفقه، و((شرح خطب ابن نباتة توفي سنة ٦٤٤هـ. يُنظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٦٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م: ١٢٥/٤.

[٢] يُنظر: شرح معالم أصول الدين لعبد الله بن محمد بن علي التلمساني (ت: ٦٤٤ه)، تحقيق: نزار حمادي، دار مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١١م: ص١٠٦.

[٣] يُنظر: دليل العناية في إثبات وجود الله (تعالى)، لمحمد خليل محمد النويهي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، عمان - الأردن، كلية الشريعة – قسم أصول الدين- العقيدة: ص ١١٨.

يؤمنون بوجود إله، فلا حاجة به إلى أنْ يقيم الدليل على شيء مسلّم به كمن يستجمع قوته ليدفع باباً مفتوحاً على حد تشبيه الغزالي نفسه، أو أنْ يتصدى للبرهنة على بديهية بينة بنفسها قدْ لا يزيدها البرهان إلا تعقيداً وغموضاً خصوصاً عند البسطاء والسذج، وهم الجمهور الذي خاطبه الشارع فهذا موقف الحشوية الجامدة الغريب[1].

وقولهم هذا غير مقبول البتة، وما صدر منهم هذا الرأي لأنّ مذهبهم قائم على التجسيم المحض مجرداً عن التفكر، والتدبر، والنظر، والاستدلال الذي حثّ الله (تعالى)عليه في القران الكريم.

أما الإمامية فعندهم يجب الاعتقاد بأن الله (ﷻ) هو واجب الوجود بالذات، وصاحب جميع الصفات من صفات الكمال والجمال، والمنزه عن صفات النقص؛ لكونه صاحب الجلال، وتكون صفاته الذاتية كوجوده ووجوبه عين الذات، أي واحدٌ من جميع الجهات لا تكثر فيه ولا شريك له في الذات ولا كفؤاً ولا شبه له في الصفات، بمعنى أن المُكلف لا بُدَّ أنْ يعتقد إن الله تعالى موجودٌ بوجودٍ هو عين ذاته؛ لأنه موجدٌ للعالم وللآثار الممكنة التي لا تحدث بنفسها، بل تحتاج الى مؤثر غير متأثر ولو بواسطة، فيكون وجوده ضرورياً بالذات؛ لضرورة ثبوت الشيء لنفسه وعدمه ممتنعاً بالذات، وإنه تعالى قديم بمقتضى وجوب وجوده؛ إذ لولاه لكان حادثاً محتاجاً الى محدِث[2].

---

[1] يُنظر: مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد: ص١٣٠؛ ودرء تعارض العقل والنقل: ٧/ ٣٤٨.

[2] البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة، محمد جعفر الأسترآبادي (ت: ١٢٦٣هـ)، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قسم إحياء التراث الإسلامي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٣٨٢هـ: ص ٢١.

وقد دلل الإمامية على أثبات واجب الوجود بجملة دلائل عقلية، هي دليل الامكان والوجوب، دليل النظم والتدبير، دليل حدوث المادة، دليل الفطرة، ودليل الشهود الوجداني، وعلى النحو الآتي:

١. **دليل الإمكان والوجوب:** ذكر هذا الدليل الشيخ المفيد وهو: "إنَّ الله تعالى واجب الوجود؛ لأنه لو لم يكُن واجب الوجود، لكان ممكن الوجود، وإن كان ممكن الوجود افتقر في وجوده الى غيرِه، وذلك الغير إن كان واجب الوجود انتهت الحوادث اليه، فهو موجِد الحوادث وإن كان ممكن الوجود افتقر في وجودهِ الى مُوجدٍ آخر؛ فإن كان الأول لزم الدور، وإن كان غيره ترامى وتسلسل، والدور والتسلسل باطلان[١]، فلا بُدَّ أن تنتهي الحوادث الى مَوجُود واجب الوجود لذاته"[٢].

كما ذكر هذا الدليل الخواجة نصير الدين الطوسي[٣] رحمه الله تعالى في تجريد العقائد: "الموجود ان كان واجباً فهو المطلوب، وإلَّا استلزمه لاستحالة الدور والتسلسل"[١].

---

[١] الدور: وهو توقف كل واحد من الشيئين على صاحبه فيما هو موقوفٌ عليه، أمّا بمرتبة أو مراتب، وهو باطل؛ والدليل على ذلك انه يفضي إلى كون الشيء موجوداً قبل وجودِهِ، وهو مُحال، والمفضي الى المُحال محال، والتسلسل: هو ترامي امور مُحدَثة الى غير النهاية بحيث يتوقف كلُّ لاحقٍ منها على السابق اليه، وهو باطل؛ ودليل بطلانه إنَّ السلسلة الحاوية لجميع الممكنات ممكنةٌ، فلا بُدَّ لها من مؤثر خارج عنها بالضرورة، والخارج من جميع الممكنات هو واجب الوجود بذاتِهِ، فتنتهي السلسلةَ اليهِ وينقطعُ التسلسل. النكت الإعتقادية: ص ٢١.

[٢] النكت الإعتقادية: ص ٢٢.

[٣] المحقق الخواجة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، كان فاضلاً، عالماً، ماهراً، متكلماً، محققاً في العقليات، له كتب منها: تجريد الإعتقاد والتذكرة في الهيئة والفصول النصيرية وغيرها، يروي عنه العلامة الحلي، وهو يروي عن الشيخ برهان الدين محمد بن

وعقب عليه العلَّامة الحلي في شرحه لتجريد العقائد كاستدلال الشيخ المفيد، وأضاف: "وهذا برهان قاطع أشار اليه الكتاب العزيز بقوله (تعالى): ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٢] وهو استدلال علمي والمتكلمون سلكوا طريقاً آخر، فقالوا ان العالم حادث، فلا بد له من مُحدِث، فلو كان(محدِثهُ) محدَثاً تسلسَل أو دار، وإن كان قديماً ثَبُتَ المطلوب لأن القِدم يستلزم الوجود" [٣].

كما أوضح الشيخ الطوسي هذا البرهان من دون الحاجة الى ابطال الدور والتسلسل بقوله: "وبيانه موقوفٌ على مقدمتين، إحداهما تصورية والأُخرى تصديقية، أما التصورية فهي أن المُراد بالمؤثر التام الذي يُذكَر في هذا البرهان ما يكون منشأ في إيجاد أثره، وأما التصديقية فهي إن الممكن لا يجوز أن يكون مؤثراً تاماً في وجود شيء من الأشياء؛ وذلك لأن إيجاده لغيرهِ

محمد بن علي الحمداني، كان وزيراً لهولاكو وقيل إنه كان صدراً للمسلمين، (ت٦٧٢هـ)، ودُفِن في الكاظمية. يُنظر: مقدمة ترجمته في كتابه الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد للعلَّامة نصير الدين الطوسي شرح العلَّامة جمال الدين حسن بن يوسف الحلي (ت: ٧٢٦هـ)، نشر مكتب الإعلام الإسلامي ومطبعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قم، د. ط، ١٣٦٣ه: ص ٢؛ أعيان الشيعة، محسن عبد الكريم الأمين: ٤١٥/٩ - ٤١٩.

[١] تجريد العقائد: ١١٥.

[٢] سورة فصلت: من الآية ٥٣.

[٣] كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد: ص ٢٥٨؛ يُنظر: شرح الباب الحادي عشر للعلامة الحلي، تقديم وتعليق: د. مهدي محقق، نشر مطبوعات الإستانة الرضوية، قم، د. ط، ١٣٦٨هـ: ص ٧، الملخص في اصول الدين، الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بن محمد الموسوي(ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق: محمد رضا أنصاري، مطبعة مجلس الشورى الإسلامي، طهران – ايران، ط١، ١٣٨١هـ: ١٠٦/١؛ البراهين القاطعة، محمد جعفر الأسترآبادي: ٣٠/٢.

موقـوفٌ علـى غيـره، فـلا يكـون مـؤثراً تامـاً، وإذا تقـررت هاتـان المقـدمتان، فنقـول: هاهنـا موجـودٌ بالضـرورة، فـلا يخلـو إمـا ان يكـون واجبـاً أو ممكنـاً، فـإن كـان واجبـاً ثبُـتَ المطلـوب، وإن كـان ممكنـاً افتقـر الـى مـؤثر تـام، ولـيس ذلـك بممكـن؛ لمـا قلنـاه فـي المقدمـة التصـديقية، فيكـون واجبـاً، فيكـون الواجـب موجـوداً، وهو المطلوب"[١].

٢. **دليـل الـنُظُم والتـدبير**: وقـد سُـئِل أميـر المـؤمنين (عليه السلام) عـن اثبـات الصـانع، فقـال: "بصـنع الله يُسـتَدَلُّ عليـه، وبـالعقول تُعتَقَـدُ معرفتـه، وبـالتفكر تثبـتُ حجته، معروفٌ بالدِلالات، مشهودٌ بالبينات"[٢].

"فمـن لـم يعـرف العـادات ولـم ينشـأ بـين أهلهـا قـد يُجـوّز أن تُبنـى دار مـن قبـل نفسـها، أو تُكتَـب كتابـةً طويلـةً بـلا كاتـب، أو تُنسَـج نِسـاجةً عجيبـة مـن غيـر ناسـج وغيـر ذلـك، والمعلـوم خـلاف ذلـك؛ لأنـه لا يُجـوّز مثـل ذلـك الا مـؤوف[٣] العقل، فاسد التصور" [٤].

فـالجميع يـرى العـالم بسـماواته وأراضـيه، ومـا بينهمـا مـن مخلوقاتـهِ ورواسـيه مـن المجـرةِ الـى النملـة فـي خِلقـةِ التكـريم وسـير التنظـيم والتناسـب العظـيم، فالإنسـان نـراه بأحسـن كيفيـة، والحيـوان نـراه بالمواهـب الفطريـة

---

[١] تلخـيص المحصـل المعـروف بنقـد المحصـل، الخواجـة نصـير الـدين الطوسـي (ت: ٦٧٢هـ)، دار الأضواء، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م: ص ٥١٩.

[٢] روضـة الـواعظين، بـاب الكـلام فـي النظـر ومـا يـؤدي اليـه، حـديث رقـم (٧٦): ص ٧٠؛ معـارج اليقـين فـي اصـول الـدين، الشـيخ محمد بـن محمد السـبزواري (مـن أعـلام القـرن السـابع الهجـري)، تحقيـق: عـلاء آل جعفـر، مؤسسـة آل البيـت علـيهم السـلام لإحيـاء التـراث، بيـروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م: ص٣٥.

[٣] اسم مفعول من الآفة، بمعنى العاهة. الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٥١.

[٤] الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٥١.

والنباتات والأشجار والأزهار والأعشاب ذات المناظر البهية والخصائص النفعية، وكذلك غيرها من الموجودات الأُخرى التي لا تُعد ولا تُحصى فيما بين السماء وأطباق الثرى، نرى أجزاءها وجزئياتها مخلوقةٌ بأحسن نُظُم وأتقن تدبير، وأحسن صُنع وأبدع تصوير، ولابُد لهذا التدبير العميق من مدبر عليم، خلقها وقدَّرها وأدام بقائها وأحسَنَ خلقها وتدبيرها وهو الله تعالى شأنه وجلَّت قدرته[1].

٣. **دليل الفطرة**: يقول الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى: "إعتقادنا في الفطرة والهداية أن الله فطر جميع الخلق على التوحيد، وذلك قوله عزَّ وجل: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[2][3].

"والحقُّ أنَّ التصديق بوجوده سبحانه وتعالى أمرٌ فطري؛ ولذا تجد الناس عند الوقوع في الأهوال وصِعاب الأحوال يتوكلون بحسب الجبلَّة على الله تعالى ويتوجهون – توجهاً غريزياً – الى مسبب الأسباب ومسهل الأمور

---

[1] يُنظر: العقائد الحقة: ص٣٦؛ بداية المعرفة منهجية حديثة في علم الكلام، الشيخ حسن مكي العاملي، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م: ص ٦٣.

[2] سورة الروم، من الآية: ٣٠.

[3] الاعتقادات في دين الامامية، باب الاعتقاد في الفطرة والهداية: ص ٣٦؛ معرفة الله تعالى بالله لا بالأوهام الفلسفية والعرفانية، الشيخ حسن الميلاني، مكتبة الإمام الحسين عليه السلام، مشهد – إيران، ط٢، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٤م: ص ٢٥؛ يُنظر: العقائد، العلَّامة الشيخ محمود رضا المظفر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م: ص ٢٦.

الصِعاب، وإن لم يتفطنوا لذلك"[1]، يقول (ﷻ) في هذا الصدد: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[2].

وحاصل هذا الدليل ان النفس مفطورةٌ على الإيمان بوجود الخالق الصانع؛ ولذا نراها عند فزعها وتقطع الأسباب المادية عنها ترجع الى ربها تدعوه وتتضرع اليه، وتطلب منه حاجاتها، كما في قوله (ﷻ): ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3]، وحتى فرعون قد تعلقت نفسهُ بخالقها ودعاه (ﷻ) للنجاة من الغرق، مع إنه كان مُدعياً للربوبية ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[4][5].

أقول: لو رجعنا للإمام السجاد (عليه السلام) لوجدناه يسلك في البرهنة والاستدلال على اثبات وجود الله تعالى مسلكين هما:

---

[1] أنوار الحكمة، المحقق والعلامة محمد بن المرتضى محسن المُلَقَب بالفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، دار الأميرة ودار القارئ، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م: ص ١٧؛ المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، المحقق والعلامة: محمد بن المرتضى محسن المُلَقَب بالفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م: ٢١١/١؛ يُنظر: العقيدة الاسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ المحقق العلّامة جعفر السبحاني، نقله الى العربية: جعفر الهادي: ص ٤٥.

[2] سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

[3] سورة يونس، الآية: ١٢.

[4] سورة يونس: من الآية: ٩٠.

[5] الإحكام في علم الكلام، السيد محمد حسين ترحيني، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٣: ص ١١؛ يُنظر: العقائد، الشيخ محمود رضا المظفر: ص ٢٦.

الأول: مسلك الاستدلال على وجود الله تعالى بالله تعالى

الثاني: مسلك الاستدلال على وجود الله تعالى بخلقه.

أمـا الأول: فهـو الـذي اصـطلح علـى تسـميته بـ(برهان الصـدّيقين)، وهـو "أوثق وامتن واقوى البراهين في اثبات الوجود الواجبي"[١].

ويعـد هـذا البرهـان مـن البـراهين المهمـة فـي تقريـر مسـألة وجـود الله تعـالى وهـو مـن "أسـد البـراهين وأشـرفها اليـه هـو الـذي لا يكـون الوسـط فـي البرهـان غيـره بالحقيقـة فيكـون الطريـق الـى المقصـود عـين المقصـود وهـو سـبيل الصـديقين الـذين يستشـهدون بـه تعـالى عليـه؛ ثـم يستشـهدون بـه علـى صـفاته، وبصـفاته علـى افعاله"[٢].

وتقرير هذا البرهان أو الدليل اتخذ عدة مناحي نذكر منها:

أ. "الحـق مـا وجـوده لـه مـن ذاتـه. فلـذلك البـارئ هـو الحـق، ومـا سـواه باطـل. كما ان واجب الوجود لا برهان عليه، ولا يعرف الا من ذاته" [٣].

ب. أن حقيقـة الوجـود امـا واجبـة وامـا تسـتلزمها فـإذن الواجـب موجـود وهـو المطلوب" [٤].

---

[١] نهايـة الحكمـة، محمد حسـين الطباطبـائي (ت: ١٩٨١م)، تعليـق الشـيخ عبـاس علـي الزراعـي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٥، ١٤٣٠هـ: ٢/ ٢٠٧.

[٢] الحكمـة المتعاليـة فـي الأسـفار العقليـة الأربعـة، صـدر الـدين الشـيرازي، دار احيـاء التـراث، بيروت، د. ط، ١٤١٩: ١٥/٦.

[٣] التعليقـات، ابـن سـينا، تحقيـق وتقـديم: د. حسـن مجيـد العبيـدي، دار الفرقـد، سـوريا – دمشـق، د. ط، ٢٠٠٩: ص٧٠.

[٤] نهاية الحكمة، الطباطبائي: ٢/ ٢٠٨.

ولهذا المعنى اشار الإمام علي (عليه السلام): (ما رَأَيتُ شَيئاً إلاّ وَرَأَيْتُ اللهَ قبْلَهُ، وبَعْدَهُ ومَعَهُ) [1].

ويقول الامام الحسين (عليه السلام): (كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المُظهِر لك، متى غبت، حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ !... بك أستدل عليك فاهدني بنورك إليك) [2].

اما الامام السجاد(عليه السلام) فقد تطرق الى هذا المسلك في الصحيفة السجادية في مواطن متعددة منها قوله(عليه السلام): (الْحَمْدُ لله عَلَى مَا عَرَّفَنَا مِنْ نَفْسِهِ... وَفَتَحَ لَنَا من أبوَابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيّته) [3]. وقال(عليه السلام): (وَاسْلُكْ بِنا سَبيلَ الحَقِّ بِإرْشادِكَ)[4].

وها الدعاء واضح في الجزم بأن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو الله تعالى نفسه.

أما المسلك الثاني الذي سار عليه الإمام السجاد "ع" فيتمثل في ما تقدم ذكره من دلائل عند الإمامية:

ففي دليل العناية والاختراع.

أي "معرفته بالنظر والاستدلال بما دل به على نفسه من الآثار العجيبة والأفعال الغريبة كما هو طريق المتكلمين الذين يستدلون بوجود الممكنات وطبائعها وصفاتها وإمكانها وحدوثها وتكونها وقبولها للتغير والتركيب على

---

[1] بحار الأنوار، المجلسي: ٧٠/ ٢٢.

[2] المصدر نفسه: ٦٤/ ١٤٢.

[3] الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

[4] المصدر نقسه، دعاء: ٥.

المبدأ الأول وإلى هذا الطريق قد أشار إليه جل شأنه في مواضع كثيرة من القرآن العزيز"[١].

وهذا الدليل هو الأوضح من بقية الأدلة على وجود الله تعالى في الصحيفة السجادية.

وقد يطلق على هذا البرهان تسميات عديدة منها برهان النظم او برهان اتقان الصنع او البرهان الغائي[٢].

وبعد التتبع والبحث يمكن القول ان هذا البرهان هو نفسه البرهان الاستقرائي "القائم على حساب الاحتمالات الذي قدمه السيد محمد باقر الصدر حيث قال: نفترض صانعا حكيما لهذا الكون، قد استهدف ان يوفر في هذه الارض، عناصر الحياة، وبيسر مهمتها فإن هذه الفرضية تستبطن كل هذه التوافقات؛ حيث يقوم هذا الدليل بإيصال الاحتمال القاضي بانعدام وجود الله الى حد مقارب للصفر"[٣].

---

[١] شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني (ت: ١٠٨١هـ)، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م: ٥/ ١٥٧.

[٢] يُنظر: الكلام الاسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروويناه: ١/ ٩٤؛ أصول الدين الإسلامي، رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن، طبعة دار الأمام الأعظم النعمان بن ثابت، لبنان – بيروت، ط٢، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م: ١/ ٩٥.

[٣] الموجز أصول الدين، السيد محمد باقر الصدر، تحقيق: عبد الجبار الرفاعي، دار سعيد ابن الجبير، د. ط، د. ت: ص١٤٤.

ويعد هذا البرهان اوسع حجة استشهد بها الفلاسفة الغربيون والاسلاميون على حد سواء وغصت به النصوص الدينية القرآنية والحديثية معتمدا على الآيات الافاقية والأنفسية في اثبات وجود الله تعالى"[١].

وقد تناول الامام السجاد(عليه السلام)هذا المسلك في الصحيفة السجادية بصورة صريحة وواضحة حيث قال(عليه السلام):(أَنْتَ الَّذِي ابْتَدَأَ وَاخْتَرَعَ وَاسْتَحْدَثَ وَابْتَدَعَ وَأَحْسَنَ صُنْعَ مَا صَنَعَ، سُبْحانَكَ! مَا أَجَلَّ شَأنَكَ) [٢].

"(أنت الذي ابتدأ واخترع) الأشياء بأن صنعها بغير مثال (واستحدث وابتدع) الأشياء إنشاءً من غير مادة أو مثال (وأحسن صنع ما صنع) فصنعه كله حسن وإن لم يدرك الإنسان وجه الحكمة وحسن الصنعة"[٣].

"أي انت الذي اوجدت الاشياء من لا شيء فلم يكن قبلها شيء تحتذيه وتتمثله في ابداع وجودك، وانت الذي اعطيت الوجود في كل موجوداته صورته، ولم يكن هناك-قبل-أي مثال سابق لأي صورة اخرى[٤].

عند الامعان في ان الله تعالى أحسن صنع ما صنع فإحسان الصنع يدل على المواءمة والموافقة والانسجام والترتيب وهو وصف يتوافق مع النظام ويتوافق ايضا مع العناية الالهية كما تقدم.

وقال (عليه السلام): (فَكُلُّ خَليقَتِهِ مُنْقادَةٌ لَنا بِقُدْرَتِهِ)[٥].

---

[١] الكلام الاسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروپناه: ١/ ٩٤.

[٢] الصحيفة السجادية: دعاء: ٤٧.

[٣] شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد الحسيني الشيرازي: ص٣٤٨.

[٤] آفاق الروح، فضل الله: ٢/ ٤٨٠.

[٥] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

"أي كل خلق الله تعالى منقادة لنا والانقياد معناه الحركة لأجلنا فإن الشمس والقمر والأفلاك وغيرها تسير لمصلحة الإنسان (وصائرة إلى طاعتنا) فإن الإنسان يتصرف في الأرض وما عليها ـ كأنها مطيعة له"[١].

"وصفة العناية هذه هي التي تفيض ما يعرف بالنظام الأحسن والأكمل حيث يكون في كل عالم من العوالم بنحو يؤدي إلى تحقيق الكمالات الوجودية بنحو اكثر وأرفع فعناية الحق توصل تلك الموجودات الفاعلة بالإرادة إلى أكمل ما يمكن أن تكون عليه" [٢].

أمَّا الاختراع فقد ذكره الامام(عليه السلام) نصا وصريحا في دعاءه حيث قال:(ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الخَلْقَ ابْتِدَاعاً، وَاخْتَرَعَهُمْ على مَشِيَّتِهِ اخْتِرَاعاً) [٣].

ومن هنا تظهر المقاصد العقدية السامية المضامين التي رامها الامام السجاد (عليه السلام) من خلال ادعيته في بلورة الاستدلال على اثبات وجود الله تعالى وتمتين التمسك به.

ولو تأملناها لوجدنا الأمام السجاد "ع" ينأى بنفسه عن الاختلافات المشحونة بها كتب المتكلمين والاتهامات المتبادلة فيما بينهم، ويترفع عن هذا القاع الذي بات مزدحما ليؤسس لنا طريقة قرآنية ترى ضرورة توضيح الحق وابرازه بصورة تكون كفيلة برفع أي خلاف وتنازع فضلا عن تدابر وتقاتل. كيف لا ، وهو الإمام العالم بمنابت القصيص[٤].

---

[١] شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد الحسيني الشيرازي: ص٢٣.

[٢] الإمامة الإلهية، الشيخ محمد السند، دار الأمير، د. ط، ١٤٣٣هـ: ١/ ٧٦.

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

[٤] يقال هو أعلم بمنبت القصيص والقصيص : نبات يُعرف به منابت الكمأة : أي هو عالم بموضع حاجته

المبحث الرابع

أسماء الله الحسنى وصفاته العلى

المطلب الأول: الأسماء الحسنى والصفات العلى والبحوث ذات الصلة.

"الأسماء الحسنى: هو ما دلَّ على الذات الإلهية باعتبار صفة من صفاتها كالرحمن والرحيم، والصفة أمَّا وجودية كـ(الرحمن والرحيم) أو عدمية كالقدوس فإنَّ معناها وجودي وحقيقتها عدمية؛ لأنها ترجع الى سلب كل ما لا يليق بساحته سبحانه[١].

و"أسماء الذات المقدَّسة تقسم الى أسماء الذات وأسماء الصفات وأسماء الأفعال، فما كان دلالته على الذات أظهر كان من أسماء الذات، وكذلك في أسماء الصفات والأفعال من جهة الأظهرية، لا أنه ليس له مدخل في غير جدولها، كـ(الرب) فإن معناه الثابت هو للذات، والمُصلِح فهو من أسماء الأفعال، وبمعنى المالِك وهو من أسماء الصفات"[٢].

على ذلك فأسماء الله تعالى الحسنى ثلاثة أقسام، هي:

١. الأسماء الحسنى العائدة الى صفات ذاته تعالى، كالعالم والقادر والحي والإله، والقديم والسميع والبصير.
٢. ومنها ما يرجع الى صفات فعله تعالى كالخالق والرازق والمبدع والمُحيي والمميت.

---

[١] الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: ٣٢٢/١؛ يُنظر: حق اليقين في معرفة اصول الدين، السيد العلامة عبد الله شُبَّر(ت: ١٢٤٢هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م: ص ٧٥.

[٢] حقيقة الأسماء الحسنى: ص ١٥.

٣. ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات النقص عنه تعالى، كالغني والواحد والقدُّوس، ونحو ذلك[١].

وإنَّ جميع الأسماء هي للذات، لكن تارةً يكون الاسم أكثر دلالةً لظهور وإبداء الذات فيُقال له اسم ذات ومعناه إن هذا الاسم يُظهر الذات أكثر من غيرِها، وأخرى أكثر دِلالةً لإظهار الصفة، ومعناه إن هذا الاسم يُظهر الصفة أكثر من غيرِها فيُقال له اسم صفة، وإذا قيل اسم فعل فإنه يُظهر الفعل أكثر من غيره، فيُقال له اسم فعل.

وإنما يتأتى ذلك في الأسماء التي وقع الخلاف في كونها أسماء ذات أو صفات أو أفعال، أما الإسم (الله) فهو للذات بلا لِحاظ الصِفات والأسماء؛ وإنَّ جُلَّ أسمائه تندرج تحته لاشتماله على جميع الصفات الإلهية[٢].

وقد رُويَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين سأله رجل عن (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) فقال (عليه السلام): (إن قولك « الله » أعظم اسم من أسماء الله عزَّ وجل، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يُسمى به غير الله تعالى، ولم يتَسَمَّ به مخلوق)[٣].

فالتسمية له تعالى بـ (الله) يفيد من المعنى وَلَه العباد اليه، وتعلق نفوسهم به، ورغبتهم عند الشدائد في إزالة المكروه إليه[٤].

---

[١] مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢٩٥/٣؛ يُنظر: الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية: ٣٢٢/١.

[٢] يُنظر: حقيقة الأسماء الحسنى: ص ١٧؛ آيات العقائد: ص ١٢٢.

[٣] التوحيد، للصدوق: باب معنى "بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ " حديث رقم (٥): ٢٣٢.

[٤] الدلائل المكية في عقائد الإمامية، السيد محمد علي بن أحمد بن علي العاملي المكي (كان حياً قبل ١١٠٨هـ)، تحقيق: الشيخ عد الحليم عوض الحلي، دار الكفيل للطباعة والنشر

وعن هشام بن الحكم[1] أنه سأل أبي عبد الله (عليه السلام) عن أسماء الله عزَّ وجل واشتقاقها؛ فقال (عليه السلام): (لله مشتقٌّ من إله، وإله يقتضي مألوهاً، والاسم غير المُسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئا، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرَكَ وعبد الإثنين، ومن عَبَد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد)؛ ثم قال (عليه السلام): (لله عزَّ وجل تسعة وتسعون اسماً، فلو كان الاسم هو المُسمى لَكانَ كل اسم منها إلهاً، ولكنَّ الله عزَّ وجل معنى يدلُّ عليه بهذه الأسماء، وكلُّها غيره)[2].

وقد صرح لنا القران الكريم اتصاف الله ﷻ بالأسماء الحسنى حيث قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[3].

"إن للمعرفة سبيلين أحدهما السبيل الحقيقي وذلك مسدود إلا في حق الله تعالى فلا يهتز أحد من الخلق لنيله وإدراكه إلا ردته سبحات الجلال إلى

والتوزيع، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء – العراق، ط١، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٤م: ص ٦٥.

[1] هشام بن الحكم، أبو محمد مولى كندة، وُلد في الكوفة، ونشأ في واسط، وانتقل إلى بغداد سنة تسع وتسعين ومائة ويُقال إنه في هذه السنة مات، من كتبه كتابه علل التحريم، الفرائض، الإمامة، الدلالة على حدث الأجسام، الرد على الزنادقة، التوحيد، الشيخ والغلام في التوحيد، الميزان، الألفاظ، الأخبار الرد على أرسطاطاليس في التوحيد، كتابه المجالس في التوحيد، وروى عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق وأبي الحسن موسى الرضا عليهما السلام، وكان ثقة في الروايات. يُنظر: رجال النجاشي: ص ٤٣٤.

[2] اصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨ – ٣٢٩ه)، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م. كتاب التوحيد، باب المعبود، حديث رقم (٢): ١٤٢/١؛ باب معاني الأسماء، حديث رقم (٢): ١٦٦/١؛ التوحيد للصدوق، باب اسماء الله الحسنى، حديث رقم (١٣): ص ٢٢١.

[3] سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

الحيرة ولا يشرئب أحد لملاحظته إلا غضت الدهشة طرفه. وأما السبيل الثاني وهو معرفة الصفات والأسماء فذلك مفتوح للخلق وفيه تتفاوت مراتبهم"[١].

وهو الذي عناه سيد البشر صلوات الله عليه وعلى اله وسلامه حيث قال: (لاأُحْصِى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) [٢].

"ولم يرد به أنه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه بل معناه إني لا أحيط بمحامدك وصفات إلهيتك وإنما أنت المحيط بها وحدك"[٣].

وأشار الامام السجاد (عليه السلام) الى هذا بقوله: (أَنْتَ الَّذِي قَصُرَتِ الْأَوْهَامُ عَنْ ذَاتِيَّتِكَ، وَ عَجَزَتِ الْأَفْهَامُ عَنْ كَيْفِيَّتِكَ) [٤].وكذلك قوله:(اللّهُمَّ يَا مَنْ لا يَصِفُهُ نَعْتُ الواصِفِينَ) [٥]. أي: لا يحيط بوصفه ما يذكره الواصفون من الصفات له تعالى، إذ كنه صفته سبحانه مجهول للناس فلا يقدرون على وصفه كما هو حقه[٦].

- **أقسام الصفات الالهية.**

لم يكن في الصدر الأول وزمن الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) خوضٌ في هذه المسائل وتدقيق عن معانيها، بل كانوا يثبتون لله تعالى شأنه ما أطلقه على

---

[١] المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، د. ط، ١٩٨٧م: ص٥٥.

[٢] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الصلاة، باب٤٢، ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (٢٢٢): ١/ ٣٥٢.

[٣] المقصد الأسنى، الغزالي: ص٥٥.

[٤] الصحيفة السجادية، دعاء: ٣١.

[٥] المصدر نفسه.

[٦] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٢١٥.

نفسه من صفاته مع نفي المماثلة والمشابهة بدون تعرض للتأويل أو الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل.[١]

وقد قَسَّم أكثر متكلمي الإمامية الصفات الإلهية على قسمين رئيسين هما:

١. **الصفات الثبوتية**، وتُسمى بصفات الكمال والجمال.

٢. **الصفات السلبية**، وتُسمى بصفات الجلال[٢].

فإذا كانت الصفة مثبتة لجمال في الموصوف ومشيرةٌ الى واقعية في ذاتهِ سميت ثبوتية ذاتية أو جمالية، وان كانت هادفة الى نفي نقص وحاجةٍ عنه سبحانه سمُيت سلبية أو جلالية، فالعلم والقدرة والحياة من الصفات الثبوتية المشيرة الى وجود كمال وواقعية في الذات الإلهية، ولكن نفي الجسمانية والتحيز والحركة والتغير من الصفات السلبية الهادفة الى سلب ما هو نقصٌ عن ساحته سبحانه وتعالى[٣].

والصفات الثبوتية تُقسَم بدورها الى قسمين، هما:

أ. **صفات الذات:** يقول الشيخ الصدوق رحمه الله تعالى: "كل ما وصفنا الله (ﷻ) به من صفات ذاته فإنما نريد بكل صفة منها نفي ضدَّها عنها، ونقول: لم يزل الله (ﷻ) سميعاً بصيراً عليماً حكيماً قادراً عزيزاً حياً قيوماً واحداً قديماً، وهذه صفات ذاته" [٤].

---

[١] أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ص ٥٣.

[٢] الإلهيات، الشيخ جعفر سبحاني، ط١، ١٤٠٩ ه - ١٩٨٩ م: ص ٨٢؛ آيات العقائد: ص٩٠؛ الدر الثمين: ص ١٢.

[٣] الإلهيات، جعفر سبحاني: ص ٨٣.

[٤] الإعتقادات في دين الإمامية: ص ٢٧.

وهي الصفات الثبوتية الحقيقية، وهي ما يُعَبر عنه بصفات المعاني أو الصفات النفسية السبع عند الأشاعرة، مع ملاحظة الفرق بينهم وبين الإمامية في عدد هذه الصفات وفي طبيعة علاقتها بالذات [1]، وهي عبارة عن صفات وجودية ثابتة للذات المقدسة ثبوتاً حقيقياً، وهي أُمور متأصلة واقعية ومتحدة مع الذات، وحقائقها عين حقيقة الذات، من غير شائبة اختلاف أو مغايرة بينها أصلاً، إلا في الألفاظ والمداليل على سبيل الألفاظ المترادفة المختلفة لفظاً ومفهوماً مع ما بينها من الوحدة الواقعية والعينية الحقيقية، كلفظي الإنسان والبشر، مثلاً، وكلها دائمية باقية سرمدية لا زوال لها ولا فناء ولا أمد ولا انتهاء، فإن وجوب الوجود كما يقتضي استحالة الحدوث، فكذلك يقتضي استحالة الفناء؛ بضرورة حكم العقل بأن ما كان ثابتاً أزلياً بالذات غير مسبوق بالعدم استحال عدمهُ [2].

ب. **صفات أفعاله** (ﷻ): وذلك لنسبتها الى أفعاله تعالى وتُسمى بالصفات الثبوتية الإضافية، ويقول الشيخ الصدوق كتتمة لصفات الذات: "لا نقول إنه تعالى لم يزل خلَّاقاً فاعلاً شائياً مريداً راضياً ساخطاً رازقاً وهَّاباً متكلماً؛ لأن هذه صفات افعاله وهي محدَثة، لا يجوز أن يُقال: لم يزل الله تعالى موصوفاً بها"[3]، فهي تقابل تلك الصفات العليا وتخالفها من وجوه، أحدها إنها امور اعتبارية لا تأصل لها أصلاً، بل هي عناوين اضافية ينتزعها العقل من أفعاله تعالى الحادثة شيئاً فشيئاً، نظير صفة الخالقية والرازقية مثلاً، فإن العقل يعتبرهما صفتين له سبحانه باعتبار

---

[1] تجريد العقائد: ص ١١٧.

[2] الإلهيات، جعفر سبحاني: ص ٨٣.

[3] الإعتقادات في دين الإمامية: ص ٢٧.

خلقه وإيجاده فلاناً، ورزقه وإطعامه فلاناً، فكل منها امر اضافي مُنتزع من طرفيه المتضايفين، وليس لها وجود منحاز[1].

ومن الفروق بين صفة الذات وصفات الفعل التي نصف الله تعالى بها:

١. إن كانت داخلةٌ في باب المضاف، فهي نفسية، كقولنا: موجودٌ، قديم، حي، وباق، وكذلك إن كانت تقتضي إضافته الى أمرٍ غير موجود، كقولنا: قادر، فالقادر لا يكون إلا على مقدور، ولكن المقدور غير موجود، ويجري مجرى ذلك قولنا عالم؛ لأنه لا يكون عالماً إلا بمعلوم، وقد يصح أن يكون المعلوم معدوماً غير موجود، فهذه صفات ذات.

أمَّا ما سوى ذلك من الصفات الداخلة في باب المضاف المقتضية إثبات غير الموصوف مما يكون موجوداً غير معدوم، فهي صفات أفعال.

٢. كل صفة نصف الله تعالى بها، ولا يجوز أن يدخلها التخصيص فتثبتها له تعالى في حال وتنفيها منه في اخرى فهي صفة نفسية، كقولنا: موجود وحي وقادر وعالم، فإنه لا يجوز أن ينتفي عنه، ولا يتخصص شيء من ذلك.

وكل صفة نصفه بها، ويجوز التخصيص فيها، فنثبتها في حال، وننفيها عنه تعالى في غيرها فهي صفة فعل، كقولنا: فاعل وراحم ورازق ومتكلم، فإننا نقول: إنه سبحانه يفعل الخير ولا يفعل الشر، ويرحم المؤمن ولا يرحم الكافر، ويرزق زيداً ولا يرزق عمراً، وكلَّم الله موسى، ولم يكلم فرعون، فيكون فيها صفات أفعال، صحَّ فيها التخصيص.

---

[1] نور الأفهام في علم الكلام، العلامة السيد حسن الحسيني اللواساني، تحقيق وتقديم: السيد ابراهيم اللواساني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – إيران، ط١، ١٤٢٥هـ: ص ٧٣ - ٧٥.

٣. ثم إن كلَّ ما استحال أن يوصف بالقدرة عليه وعلى ضده فهو من صفات ذاته، كما يستحيل أن يُقال: يقدر أن يُحيي، ويقدر على الإحياء، ويقدر على أن لا يقدر. ويقدر أن يعلم، ويقدر على أن لا يعلم، فهذه صفات ذاته تعالى.

أمَّا إن كان ما يُوصَف به يصحُّ أن يوصف بالقدرةِ عليه وعلى ضدَّه فهو من صفات الأفعال، كما في قولنا: يقدر أن يفعل ويقدر أن لا يفعل، ويقدر أن يرحم ويرزق، ويقدر أن لا يرحم ولا يرزق، ويقدر أن يتكلَّم ويقدر أن لا يتكلَّم [١].

وصرح بعض العلماء بأن جميع هذه الصفات ترجع الى سلب واحد هو سلب الامكان عنه تعالى[٢].

وقد تطرق الامام السجاد (عليه السلام) الى صفتي القدم والبقاء بأن افتتح صحيفته بعد الحمد بهاتين الصفتين فقال:(الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ بِلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ) [٣].

"فهو سبحانه قبل الأشياء لم يسبقه سابق، حتى أن الزمان والمكان مخلوقان له، فهو قبلهما وهو يبقى بعد فناء الأشياء"[٤].

---

[١] يُنظر: اصول الكافي، الكليني، كتاب التوحيد: ١٦٣/١؛ كنز الفوائد، للإمام أبو الفتح الشيخ محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: العلامة الشيخ عبد الله نعمة، دار الأضواء، بيروت – لبنان، د. ط، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م: ٧٧/١، ٧٨؛ البراهين القاطعة، محمد جعفر الأسترآبادي: ص ٤٣.

[٢] يُنظر: الحكمة المتعالية، صدر الدين الشيرازي: ٦/ ١١٨.

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

[٤] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص١٥.

وحفلت أدعية الامام السجاد(عليه السلام) بعرض مفهوم القدم والبقاء في مواضع كثيرة منها قوله: (اللّهُمَّ... عَزَّ سُلْطانُكَ عِزّاً لا حَدَّ لَهُ بأَوَّلِيَّةٍ، وَلا مُنْتَهى لَهُ بِآخِرِيَّةٍ.... كذلِكَ أَنْتَ اللهُ الأَوَّلُ في أَوَّلِيَّتِكَ، وَعَلى ذَلِكَ أَنْتَ دائِمٌ لا تَزُولُ) [1].

"كان الله ولم يكن معه شيء لأوليته وأزليته، ويبقى بعد فناء كل شيء لدوامه وابديته"[2].

وانبرى الامام في استعرض صفة القدم والبقاء صريحا وواضحا حيث قال(عليه السلام):(أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ... الْقَدِيمُ... وَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، الْكَرِيمُ الْأَكْرَمُ، الدّائِمُ الْأَدْوَمُ، وأَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، الْأَوّلُ قَبْلَ كُلّ أَحَدٍ، وَ الْآخِرُ بَعْدَ كُلّ عَدَدٍ) [3].

وقال(عليه السلام) في صفة البقاء:(رَبّ صَلّ عَلَى مُحَمّدٍ وَآلِهِ... يَتّصِلُ اتّصَالُهَا بِبَقَائِكَ، وَ لَا يَنْفَدُ كَمَا لَا تَنْفَدُ كَلِمَاتُكَ) [4].

---

[1] الصحيفة السجادية، دعاء: ٣٢.

[2] في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٢٠٨.

[3] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

[4] المصدر نفسه.

المطلب الثاني: المخالفة للحوادث.

وتعد هذه الصفات من أكثر الصفات السلبية أهمية في الدرس الكلامي وفيها اختلفت وجهات النظر وحق لها أن لا يختلف فيها؛ "فمعناها ان الله تعالى ليس مماثلاً لشيء من الحوادث الموجودة والمعدودة مطلقا. فهي عبارة عن سلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمهما عنه تعالى فلازم الجرمية هو التحيز، ولازم العرضية هو القيام بالغير، ولازم الكلية هو الكبر، ولازم الجزئية هو الصغر"[١]. "وضدها: المماثلة للحوادث"[٢].

وقد أعرب الامام السجاد (عليه السلام) في أدعيته عن نفي المماثلة؛ إذ قال: (اللهم لك الحمد... وارث كل شيء، ليس كمثله شيء) [٣].

وجاءت الرواية "أن علي بن الحسين (عليه السلام) كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم، إذ سمع قومًا يشبهون الله بخلقه؛ ففزع لذلك، وارتاع له، ونهض حتى أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فوقف عنده، ورفع صوته يناجي ربه، فقال(عليه السلام) في مناجاته له: (شبهوك وأنا برئ يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك شئ إلهي ولم يدركوك، وظاهر ما بهم من نعمة دليلهم عليك لو عرفوك، وفي خلقك يا إلهي مندوحة عن أن ينالوك، بل ساووك بخلقك، فمن ثم لم يعرفوك، واتخذوا بعض آياتك ربا، فبذلك وصفوك، فتعاليت يا إلهي عما به المشبهون نعتوك" [٤].

---

[١] حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، ابراهيم الباجوري: ص١١٠

[٢] اصول الدين الاسلامي، د. رشدي محمد عليان و د. قحطان عبد الرحمان الدوري: ١٢١/١.

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧،

[٤] بحار الانوار، المجلسي: ٣/ ٢٩٣.

للإمـام السـجاد أسـلوبه الخـاص مـع خصـومه فـي الحـوار، فكـان إذا سـمع أنّ رجـلا يـتكلم مـع النـاس بعقيـدة فاسـدة، وقـد تكـون الأوضـاع لا تـؤذن بـالولوج معـه فـي نقـاش وفـي محاجـة، حينهـا يلـتمس بالـدّعاء وسـيلة، ويكفـل الـدّعاء جـواب علـى هـذا الإنسـان وإفحامـه. وتلـك مـن أروع المنـاهج التـي يمكـن للفـرد أن يزاولهـا فـي كيفيـة الـدّعوة وتـدارك الانحـراف فـي المقـام الّـذي لا يسـمح لـه الموقـف بـأن يـدخل فـي مواجهـة مـع الآخـرين، حتـى إنّـه (عليه السلام) يجهـر بصـوته فـي الـدّعاء، ليوصل سمعه هذا الى النّاس.

ومـن اقـوال الامـام (عليه السلام) فـي مخالفتـه للحـوادث ونفـي الامثـال: (فَتَعالَيْـتَ عَـنِ الأَشْـباهِ وَالأَضْـدادِ وَتَكَبَّـرْتَ، عَـنْ الأَمْثـالِ وَالأَنْـدادِ، فَسُـبْحَانَكَ لا إلـهَ إلاّ أَنْتَ)[1].

وصـدح (عليه السلام) فـي ادعيتـه منزهـا الله ﷻ عـن الحـوادث: (سُـبْحانَكَ لا تُحَـسُّ وَلا تُجَـسُّ وَلا تُمَـسُّ وَلا تُكـادُ وَلا تُمـاطُ وَلا تُنـازَعُ وَلا تُجـارى وَلا تُمـارى وَلا تُخادعُ وَلا تُماكَرُ)[2].

"فـلا تـدرك بـالحواس الخمسـة الباصـرة والذائقـة والشـامة واللامسـة والسـامعة ولا يعلـم أخبـارك، مـن التجسـس ولأدرك باللامسـة فإنـه تعـالى لـيس بجسـم ولا عـرض حتـى يـدرك بـالحواس ولا يمكـر بـك ولا يـزال سـلطانك ولا تـدفع عـن ألوهيتـك وإنـه لـيس فـي الوجـود مـن هـو قابـل لمنازعتـه تعـالى ولا أحـد يجاريـك ويماثلـك ولا يجادلـك أحـد ولا يقـدر علـى خدعـة الله تعـالى و لا يقـدر علـى أن يمكر بالله بأن يعمل عملاً خفياً ضده"[3].

---

[1] الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٨.

[2] المصدر نفسه، دعاء: ٤٧.

[3] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٣٥٠.

إذن الله لا يشبهه شيء وليس كمثله شيء، تعالى الله تعالى، ومن الصفات السلبية التي تتعلق بصفة المخالفة للحوادث قيامه تعالى بنفسه خلافا للمخلوقات والعوالم وكل ما سوى الله تعالى، وقد أبرز الامام السجاد (عليه السلام) قيامه تعالى بنفسه وعدم احتياجه الى المكان حيث قال:(أَنْتَ الَّذي لا يَحْوِيكَ مَكانٌ)[1]. أي: "لا يشملك (مكان) فإنه ليس بجسم حتى يكون له مكان"[2]. "ولوكان له مكان لافتقر اليه والله غني عن كل شيء"[3]. "ثم ان المكان من خواص الجسم والجسماني فالجسم متحيز بالذات والجسماني- أي الاعراض القائمة بالأجسام - متحيز بالتبع وانت منزه عنها" [4].

وقال(عليه السلام): (هُوَ الإلهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) [5]. والقيوم: "القائم بنفسه المقوم لغيره"[6].

ما ذكرناه هو المعنى الاول من معنى القيام بالنفس، وهو عدم افتقاره تعالى إلى محل أمَّا المعنى الثاني، وهو عدم افتقاره تعالى الى مخصص فيمكن أن نقول أن الإمام (عليه السلام)عندما تعرض لصفة الغنى؛ فمفهومها يدل على نفي الاحتياج مطلقا وهذا المعنى واضح وقد تطرق اليه القران والسنة وقد ادلى الامام السجاد(عليه السلام) في ادعيته بهذه الصفة كثيرا منها:

---

[1] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

[2] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٣٤٧.

[3] في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٢٩٠.

[4] رياض العارفين في شرح صحيفة سيد الساجدين، محمد بن محمد الدارابي، دار الاسوة، طهران، د. ط، ١٤٢٩هـ: ص٥٩٣.

[5] الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

[6] المقصد الاسنى، الغزالي: ١٣٢/١؛ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ: ٣/ ٤٤٧.

قولـه (عليه السلام): (يـا غَنِـيَّ الأغْنِيـآءِ)[1]. وقولـه(عليه السلام): (تَمَـدَّحْتَ بِالغَنـآءِ عَـنْ خَلْقِـكَ وَأنْـتَ أهْـلُ الغِنـى عَـنْهُمْ، وَنَسَـبْتَهُمْ إلـى الفَقْـرِ وَهُـمْ أهْـلُ الفَقْـرِ إليـك؛ فَمَـنْ حـاوَلَ سَدَّ خَلَّتِـهِ مِـنْ عِنْـدِكَ، وَرامَ صَـرْفَ الْفَقْـرِ عَـنْ نَفْسِـهِ بِـكَ فَقَـدْ طَلَـبَ حاجَتَـهُ فـي مَظانِّهـا، وَأتـى طَلِبَتَـهُ مِـنْ وَجْهِهـا) [2].مـدحت نفسـك بأنـك غنـي، كمـا قـال سـبحانه: ﴿وَاللَّهُ هُـوَ الْغَنِـيُّ﴾[3]. "إذ لا يحتـاج إلـى شـيء وأهـل لأن تكـون غنيـاً إذ الإلـه لا يحتاج، ولو كان محتاجاً لم يكن إله"[4].

أمـا الوحدانيـة؛ فهـي جـوهر الاسـلام وحقيقتـه ومعناهـا لغـة: "الواحِـدُ أوَّلُ عَـدَدِ الحِسـابِ... ووَحَّـدَهُ تَوْحِيـداً جَعَلَـهُ واحِـداً، والتوحيـدُ: الإيمـانُ بـالله وَحْـدَهُ. والله الْأَوحـدُ والمُتَوَحِّـدُ: ذُو الوَحْدانِيَّـةِ"[5]. "فالواحـد منفـرد بالـذات فـي عـدم المثـل والنظيـر والأَحـد منفـرد بـالمعنى"[6]."والواحـد الأحـد: اسـمان دالان علـى معنـى الوحدانية"[7].

---

[1] الصحيفة السجادية، دعاء: ١٠.

[2] المصدر نفسه، دعاء: ١٣.

[3] سورة فاطر، الآية: ١٥.

[4] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٩١.

[5] العـين، أبـو عبـد الـرحمن الخليـل بـن أحمـد بـن عمـرو بـن تمـيم الفراهيـدي البصـري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيـق: د مهـدي المخزومـي، د إبـراهيم السـامرائي، دار ومكتبـة الهـلال، د. ط، د. ت: ٣/ ٢٨١، مـادة وحـد؛ لسـان العـرب، ابـن منظـور: ٣/ ٤٤٦، مـادة وحـد؛ القـاموس: ١/ ٣٢٨، فصل الواو.

[6] لسـان العـرب، ابـن منظـور: ٣/ ٤٤٦، مـادة وحـد؛ تـاج العـروس مـن جـواهر القـاموس، محمّـد بـن محمّـد بـن عبـد الـرزّاق الحسـيني، أبـو الفـيض، الملقّـب بمرتضـى، الزَّبيـدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، د. ط، د. ت: ١/ ٢٣٢٤، فصل الواو.

[7] مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ١١٩، باب ما اوله واو.

اصطلاحا: "عبارة عن نفي التعدد في الذات والصفات والأفعال. فهو سبحانه لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله"[١].

وضدها: "التعدد في الذات والصفات اتصالا وانفصالا وفي الافعال انفصالا" [٢].

وقد حفلت الأدعية السجادية بالعديد من الإيماءات لهذه الصفة منها قوله(عليه السلام):(فَتَحَ لَنا مِنْ أَبْوَابِ العِلْمِ برُبُوبِيَّتِهِ وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الإخْلاَصِ لَهُ فِي تَوْحِيدِهِ)[٣]. "فإن الله أرشدنا إلى لزوم أن نوحده، ونجعل إله الكون واحداً مخلصاً له العقيدة، لا أن نشرك معه غيره"[٤].

"فإن الإخلاص هو الذي يتم به التوحيد المطلق، إذ كان عبارة عن تنحية كل ما سوى الحق الأول عن مستن الإيثار. وبيان ذلك: أنه ثبت في علم السلوك أن العارف ما دام ملتفتا، مع ملاحظة جلال الله وعظمته، إلى شيء سواه، فهو بعد واقف دون مقام الوصول جاعل مع الله غيرا، حتى أن أهل الإخلاص ليعدون ذلك شركا خفيا"[٥].

---

[١] تهذيب شرح السنوسية أم البراهين، للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، تصنيف: العلامة سعيد عبد اللطيف فودة، نشر ومراجعة: دار الرازي للطباعة والنشر- عمان – الأردن، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م: ص٤١.

[٢] اصول الدين الاسلامي، د. رشدي محمد عليان و د. قحطان عبد الرحمان الدوري: ١/ ١٢١.

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

[٤] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٢٠.

[٥] رياض السالكين، علي خان: ٣/ ٢٠٥.

وقال(عليه السلام): (وَأَخْلِصَ لَكَ بِالوَحْدانِيَّةِ) [1]."بأن وحدك مخلصاً بدون أن يشرك معك شيئاً"[2]. وقال(عليه السلام): (لَكَ يَا إِلهِي وَحْدَانِيَّةُ العَدَدِ)[3]. أنت واحد في ندائي ودعائي ورجائي وسؤالي وقصدي، والمراد المقصود: "لي واحد لا أن له سبحانه وحدة كالوحدة العددية التي لها ثان وثالث وهكذا"[4].

"فمعنى قصر وحدانية العدد عليه سبحانه: نفي التعدد والتكثر والاختلاف عن الذات والصفات على الإطلاق، وهذا المعنى مقصور عليه تعالى لا يتجاوزه إلى غيره"[5].

وما صرح به (عليه السلام) متمثلا بسورة الاخلاص: إِنَّكَ الواحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذي لَمْ تَلِدْ وَلَمْ تُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُواً أَحَدٌ[6].

واشار الى معنى مقارب بقوله(عليه السلام): أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الْمُتَوَحّدُ الْفَرْدُ الْمُتَفَرّدُ [7].

وانبرى الامام في استعراض المفهوم المخالف أيضًا ونفيه عنه تعالى في تبيان معنى الوحدانية حيث قال(عليه السلام): (أَنْتَ الَّذي لا ضِدَّ مَعَكَ فَيُعانِدَكَ، وَلا عِدْلَ لَكَ فَيُكاثِرَكَ وَلا نِدَّ لَكَ فَيُعارِضَكَ)[8].

---

[1] الصحيفة السجادية، دعاء: ١٧.

[2] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص١٢٩.

[3] الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٨.

[4] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٢٠٨

[5] رياض السالكين، علي خان: ٤/ ٢٩٧.

[6] الصحيفة السجادية، دعاء: ٣٥.

[7] المصدر نفسه، دعاء: ٤٧.

[8] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

"فإن الضدين ذاتان موجودان يحل أحدهما محل الآخر، وهذا مستحيل بالنسبة إليه تعالى، ولذا لا صنف له إذ الضد يظهره ضده ولا معادل ومماثل يجمع الجند والأعوان ليكون أكثر منك عدداً يعارضك كما يعارض المثل مثله"[1].

وقال(عليه السلام): (وَلا تَرُدَّ دُعآئي عَلَيَّ رَدّاً؛ فَإنِّي لا أجْعَلْ لَكَ ضِدّاً؛ وَلا أدْعُو مَعَكَ نِدّاً)[2].

"(ولا ترد دعائي علي رداً) بأن لا تستجيبه (فإني لا أجعل لك ضداً) أي: مضاداً في ربوبيتك (ولا أدعو معك نداً) أي: مثلاً لك. لا ادعو معك مماثلا بل اعبدك وادعوك وحدك لا شريك لك، امنت بك، وبرئت ممن يعبد سواك"[3].

وقال(عليه السلام) في نفس المضمون: أسْأَلُكَ..سُؤالَ مَنْ لا رَبَّ لَهُ غَيْرُكَ[4].

ويمضي الامام (عليه السلام) في ابراز هذا المعنى حيث قال: فَتَعالَيْتَ عَنِ الأَشْباهِ وَالأَضْدادِ وَتَكَبَّرْتَ، عَنْ الأَمْثالِ وَالأَنْدادِ، فَسُبْحَانَكَ لا إلهَ إلاّ أَنْتَ[5].

"تعاليه عن الأشياء المشاركة له في صفاته، وبتكبره عن الأمثال: تكبره عن الأشياء الموافقة له في حقيقة ذاته. والأضداد: جمع ضد، وهو يطلق تارة

---

[1] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٣٤٨.

[2] الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٠.

[3] في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص١٤٢.

[4] الصحيفة السجادية، دعاء: ٥٢.

[5] الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٨.

علــى المســاوي فــي القــوة للمــانع، وتــارة علــى النظيــر والمثــل، والأول هــو المشهور"[1].

وقــال(عليه السلام): (فَقَــدْ قَــدَّمْتُ تَوْحيــدَكَ وَنَفْــيَ الأَضْــدادِ والأَنْــدادِ وَالأَشْــباهِ عَنْكَ)[2].

[1] رياض السالكين، علي خان: ٤/ ٣٠٧.

[2] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

المبحث الخامس

رؤية الله

مسألة الرؤية من المسائل الخلافية بين المتكلمين، فهناك من أثبت الرؤية، وهناك من نفاها، وكل فريق استند إلى حجج نقلية وعقلية في استدلاله، فهناك:

١. اتجاه أجاز رؤية الله في الحياة الدنيا، وقد يكون ممن نلقاه في الطرقات، حتى جوزوا مصافحته وملامسته[١] وهو قول متطرف يخالف بداهة العقول والصحيح من المنقول.

٢. واتجاه جوز الرؤية بالأبصار يوم القيامة، وهو قول جمهور أهل السنة من اشاعرة وماتريدية وغيرهم:

فالله تعالى يمكن رؤيته بالإبصار في دار القرار وذلك جائز عقلا إذ انه تعالى موجود، وكل موجود مرئي[٢]، وقالوا يمكن أن يرى من غير تكييف

---

[١] يُنظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري(ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م: ص ١٣٥؛ الملل والنحل، الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، مؤسسة الحلبي، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، بيروت، د. ط، ١٤٠٤هـ: ٩٣/١.

[٢] يُنظر: لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة، أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت: ٤٧٨هـ)، تحقيق: فوقيه حسين محمود، عالم الكتب، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م: ص ١٠١؛ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، (ت: ٤٧٨هـ)، تحقيق: محمد يوسف وعلي عبد المنعم، مصر، مكتبة الخانجي، د. ط، ١٩٥٠م: ص ١٧٤.

بكيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام، ومن غير إحاطة [١]، إذ الكيفية تكون لذي صورة، بل يرى بلا وصف قيام وقعود واتكاء وتعلق واتصال وانفصال ومقابلة ومدابرة وقصير وطويل ونور وظلمة وساكن ومتحرك ومماس ومباين وخارج وداخل ولا معنى يأخذه الوهم أو يقدره العقل لتعاليه عن ذلك[٢].

يراه المؤمنون بغير كيف وإدراك وضرب من مثال

فينسون النعيم إذا رأوه فيا خسران أهل الاعتزال[٣].

٣. واتجاه لم يجوز الرؤية ومنع وقوعها مطلقا في الدنيا والآخرة وهو قول المعتزلة، والامامية، والزيدية، والاباضية [٤].

ولا يهمنا هنا الدخول في عرض حيثيات الاختلاف فذلك له مظانه الكلامية، كما ذكرنا لكن نشير إلى رؤية الإمامية باختصار وهي أن الله

---

[١] يُنظر: العقيدة الإسلامية: ص ٤٠٧

[٢] يُنظر: التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، د. ط، د. ت: ص ٨٥؛ التمهيد: ص ٢٦٦، ٢٦٧؛ شرح العقائد النسفية، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩١هـ)، تحقيق: علي كمال، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د. ط، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م: ص ١٠٢-١٠٣؛ كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد البوطي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٦٩م: ص ١٧٢.

[٣] ضوء اللآلي شرح بدأ الامالي، اسماعيل بن عبد الباقي اليازجي (ت: ١١٢١هـ)، تحقيق: جميل عبد الله عويضة، د. ط، ٢٠١١م: ص ١٧-١٩.

[٤] يُنظر: الاعتقادات، الشيخ الصدوق: ص ٣٨؛ أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ص ٧٥؛ التبصرة في التوحيد والعدل: ص ٤٥؛ العقد الثمين في معرفة رب العالمين، الامير الحسين بن بدر الدين: ص ٢٤؛ نهج الحق وكشف الصدق: ص ٤٧؛ الإصباح على المصباح في معرفة الملك الفتاح: ص ٣٤؛ قواعد المرام في علم الكلام: ص ٧٦.

سبحانه وتعالى لا يمكن رؤيته يوم القيامة، قال الشيخ المفيد: "لا يصح رؤية الباري سبحانه بالإبصار، وبذلك شهد العقل ونطق القرآن وتواتر الخبر عن أئمة الهدى من آل محمد وعليه جمهور أهل الإمامة وعامة متكلميهم"[١]؛ لأن:

١. أن كل مرئي لابد أن يكون مقابلا بالضرورة العقلية، وكل مقابل فهو في جهة بالضرورة، فلو كان الله مرئيا لكان متحيزا في جهة، فالإبصار متوقف على حصول المقابلة بين العين والمرئي، فإذا تنزه الشيء عن المقابلة فلا يمكن تحقق الرؤية، وبما أن العقل والنقل اتفقا على كونه سبحانه ليس بجسم ولا في جهة، وتجويز الرؤية معناه كونه سبحانه موجودا متحيزا ومحدودا وذا جهة وعوارض جسمانية وقابلا للإشارة، وكل ذلك مستحيل، فعليه لا تصح رؤيته بصريا مطلقا[٢].

٢. لو كان الله سبحانه وتعالى مرئيا لأمكننا رؤيته مع وجود كل مقتضيات الرؤية من صحة الحواس وارتفاع الموانع المعقولة، ووجوده تعالى، إذ إننا نرى المرئيات بهذه الشروط لا غير.

وأما الموانع التي يشترط ارتفاعها لجواز الرؤية فكلها لا تجوز عليه تعالى؛ لأنها إما أن تكون البعد المفرط، وإما القرب المفرط، وإما الحائل، وإما اللطافة، وإما الصغر، وهذه كلها من صفات الأجسام والجواهر، وهكذا فإذا ثبت وجود مقتض الرؤية وارتفاع موانعها، ومع ذلك تعذرت رؤيته، فإن ذلك يدل على أنه تعالى ليس بمرئي[٣].

---

[١] أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ص ٥٧؛ قواعد المرام في علم الكلام: ص ٧٦.

[٢] يُنظر: الإلهيات، جعفر سبحاني: ١٢٧/٢؛ صراط الحق: ٢ /١٢.

[٣] يُنظر: جمل العلم والعمل: ص ٣١؛ الياقوت: ص ٤١؛ نهج الحق وكشف الصدق: ص ٤٠.

٣. لو يرى فإما أن يرى كله، وإما أن يرى بعضه بالضرورة، لكن الأول يوجب تحديده وتناهيه، وهذا محال عقلا ونقلا واتفاقا، ويلزم أيضا منه خلو سائر الأمكنة عنه، والثاني فاسد ضرورة، للزوم التركب من التبعض فينقلب من الوجوب الى الإمكان[١] وهناك أدلة أخرى عقليه لسنا بصدد استعراضها جميعا كما أن للمخالفين مع هذه الدلائل مناقشات مستفيضة.

وقد ألمت بداية الصحيفة السجادية بفقرات تحوي بحوثاً عقدية كثيرة من ضمنها استحالة الرؤية؛ حيث قال (عليه السلام):(الحَمْدُ لِلهِ الأوَّل بِلا أوَّلٍ كانَ قَبْلَهُ، والآخِرِ بِلا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الَّذي قَصُرتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أبْصارُ النّاظِرينَ وعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أوْهامُ الواصِفينَ)[٢].

"فنلاحظ - في بدايته - اطلالة على الجانب الفكري العقدي... وهكذا يثير الدعاء مسألة إستحالة رؤيته بأبصار الناظرين وإدراك مدى صفاته في أوهام الواصفين؛ فلا مجال لأحد أن يحيط به في معنى جماله وجلاله"[٣].

تجدر الاشارة الى أن الامام (عليه السلام) ذكر هذه المسألة في أماكن كثيرة وكلما ذكر رؤية الله ﷻ ذكرها منفية عنه فنجده يقول:(عَجَزَتِ الأَفهامُ عَنْ كَيْفِيَّتِكَ وَلَمْ تُدْرِكِ الأَبْصارُ مَوْضِعَ أيْنِيَّتِكَ أَنْتَ الَّذي لا تُحَدُّ فَتَكُونَ مَحْدُوداً)[٤].

فقصرت الأذهان والظنون عن إدراك كنه ذاتك وعجزت الأفهام فلم تعرف كيف أنت ولم تدرك الأبصار محلك، وأين أنت، وهذا وما قبله من باب

---

[١] يُنظر: صراط الحق: ١٣/٢.

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

[٣] افاق الروح، فضل الله: ١/ ٢٤.

[٤] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

السالبة بانتفاء الموضوع إذ لا كيف ولا أين له تعالى. فلا تحد بحد إذ المحدود ليس برب[1].

ونلحظ مما تقدم أن الإمام السجاد (عليه السلام) يقرر المسألة من غير التفات ونظر لأقوال ورؤى خصوم هذه الفكرة أو يطعن بهم بل قصارى الأمر أنه يذكر الحكم فيها ودلائله بعد أن يوضحه توضيحا يقرب الفكرة والحكم للقارئ الاعتيادي ليتلقف الأخير العقيدة الإسلامية الصافية النقية.

[1] يُنظر: شرح الصحيفة السجادية، الشيرازي: ص٣٤٨.

المبحث السادس

الصفات الجمالية

والمقصود من الصفات الجمالية هي "الصفات التي تدلّ على كمالِ الله في وجوده وذلك كالعلم والقدرة، والحياة، والإرادة والإختيار وما شابه ذلك. وتُسمّى بالصفات الثبوتية أيضاً"[١]. "ويسمونها الصفات الثبوتية والمعنوية"[٢].

وقد عدها بعض المتكلمين بانها سبع: القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام واضاف الماتريدية إلى هذه الصفات السبع صفة التكوين[٣].

أما صفة القدرة فهي لغة: "قدِرَ على الشيء قُدْرةً أي ملك فهو قادِرٌ"[٤]، "والقاف والدال والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على مَبْلَغ الشَّيء وكُنهه ونهايته" [٥].

واصطلاحاً: "هي الصفة التي تمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة"[٦]. "وكونه تعالى قادرا بمعنى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل"[١].

---

[١] العقيدة الإسلامية، سبحاني: ١/ ٣٠.

[٢] لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م: ١/ ١١٧.

[٣] يُنظر: اصول الدين الإسلامي، د. رشدي محمد عليان و د. قحطان الدوري: ١/ ١٤١.

[٤] العين، للفراهيدي، مادة قدر: ١/ ٣٨٩.

[٥] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥/ ٦٢، باب القاف والدال وما يثلثهما.

[٦] التعريفات، الجرجاني: ١/ ص٥٥.

"وضدها: العجز"[٢].

قد خاض الامام السجاد (عليه السلام) في موضوع القدرة واثباتها للخالق وتطرق لبيان سعتها بمواضع متعددة من الصحيفة نقتصر على أبرزها. إذ قال: (بِقُدْرَتِهِ الَّتي لا تَعْجِزُ عَنْ شَيءٍ وَإِنْ عَظُمَ، وَلا يَفُوتُها شَيءٌ وَإِنْ لَطُفَ)[٣].

"فإن قدرته تعالى عامة لجميع المقدورات (ولا يفوتها شيء) أي لا يتمكن شيء من الانفلات عن قدرته تعالى (وإن لطف) ورقّ"[٤].

وقال(عليه السلام) في وصف القدرة:(لك يا إلهي...مَلَكَةُ القُدْرةِ الصَّمَد)[٥].

"فكل معاني الصمد يمكن ان نصف بها القدرة... الا ان الانسب حمله على معنى المصمت الذي لا جوف له ويكون من باب التمثيل في استحكام القدرة وشدتها، بحيث لا يتطرق إليها خلل أو ضعف، لأن الشيء إذا كان مصمتا كان منعوتا بشدة القوة والاستحكام والاضطلاع بما يضعف عنه غيره لصلابته وعدم رخاوته"[٦].

---

[١] المواقف في علم الكلام، عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الأيجي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م: ٣/ ٧٩.

[٢] اصول الدين الاسلامي، د. رشدي محمد عليان و د. قحطان عبد الرحمان الدوري: ١/ ١٥٠.

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ٢.

[٤] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٣١.

[٥] الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٨.

[٦] رياض السالكين، علي خان: ٤/ ٣٠١.

ويمضي الإمام في تركيز هذا المعنى حيث قال(عليه السلام):(لا يَتَكَأَّدُكَ في قُدْرَتِكَ)[1]. "أي: لا يثقلك فإن قدرتك عظيمة لا يثقل عليها شيء وأنت على كل شيء قدير تقدر على إتيانه وقضائه"[2].

وأوضح الإمام أن قدرة الله تعالى لا تحدها حدود الممكنات وإن صعبت؛ فيقول: (ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصِّعابُ؛ وَتَسَبَّبَتْ بِلُطْفِكَ الأَسْبابُ؛ وَجَرى بِقُدْرَتِكَ القَضآءُ)[3].

يقول مغنية رحمه الله: "من وحي هذا الدعاء يمكن استلهام هذا المعنى بالتوجيه هنا الى فارق مفصلي بين المؤمن، والملحد، وهو أن الملحد إذا تناهت به الشدة، وأغلقت دونه الأبواب ييأس، ويستسلم للأمر الواقع؛ لأنه يحمل نفساً واهية خالية من الإيمان بقدرة إلهية تخرق نظام الطبيعة، أما المؤمن فلا ييأس، ولا يعترف بحتمية أي شيء من أشياء الطبيعة على الإطلاق؛ لأنه يؤمن بقدرة قادر يقول للشيء كن فيكون... ويسأله النجاة، والخلاص" [4].

أما الصفة الثانية من صفات الجمال فهي الارادة، وحقيقتها لغة: "إرادتي بهذا لك أَي قصدي بهذا لك"[5]."راد يرود إذا سعى فيطلب

---

[1] الصحيفة السجادية، دعاء: ١٦، ٤٩.

[2] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٤١٦.

[3] الصحيفة السجادية، دعاء: ٧.

[4] يُنظر: في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٦٩.

[5] لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: ٣/ ٤٤٦، مادة رود؛ تاج العروس، الزبيدي: ١/ ٢٣٢٤، فصل الراء.

شـــيء...وهو الحكـــم فيـــه بأنـــه ينبغـــي أن يفعـــل أولا يفعـــل"[١]."والإرادةُ: المَشِيئةُ"[٢].

واصطلاحا: "صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجهٍ دون وجه، وفي الحقيقة: هي ما لا يتعلق دائماً إلا بالمعدوم، فإنها صفة تخصص أمراً لحصوله ووجوده"[٣].

"وضدها: الاكراه"[٤].

وقد لمح الإمام السجاد ملامح الجمال في هذه الصفة فأوضح أن ارادته تعالى حتمية الوقوع ولا راد لها؛ فيقول: (أَنْتَ الَّذي أَرَدْتَ فَكانَ حَتْماً ما أَرَدْتَ) [٥]

كما قرر (عليه السلام) أن ارادته تعالى ارادة عزمية بقوله:(سُبْحانَكَ قَوْلُكَ حُكْمٌ، وَقَضاؤُكَ حَتْمٌ وَإِرادَتُكَ عَزْمٌ، سُبْحانَكَ لا رادَّ لِمَشِيَّتِكَ) [٦].

و"الإرادة العزمية هي إتيانه تعالى بشيء من جملة مخلوقاته بمصلحة وحكمة، كخلق جوارح الانسان وسيلة لصالح اعماله مع استعمال العبد هذه

---

[١] مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهانى: ١/ ٢٠٨، كتاب الراء.

[٢] تاج العروس، الزبيدي: ١/ ١٩٩٧، مادة رود؛ مجمع البحرين، الطريحي: ٣/ ٤١، باب ما اوله راء.

[٣] التعريفات، الجرجاني: ص٤؛ حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، الباجوري: ص١٢٢.

[٤] اصول الدين الاسلامي، د. رشدي محمد عليان و د. قحطان الدوري: ١/ ١٥٣.

[٥] الصحيفة السجادية دعاء: ٤٧،

[٦] المصدر نفسه.

الجوارح في الحلال او الحرام بفعل نفسه وقد امره الله تعالى بالحلال ونهاه عن الحرام"[1].

وهذا عين ما قرره يعسوب الدين أمير المؤمنين علي (عليه السلام)؛ إذ قال: (إنّ لله إرادتين ومشيئتين: إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهي وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت انّه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى. وأمر إبراهيم أن يذبح إسماعيل ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى)[2].

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الإمام السجاد (عليه السلام) كانت له فلسفة في النظر غلى إرادته تعالى وأنها لم تكن لتجبر البشر على فعل ما بصورة تنعدم فيها الارادة الانسانية وإنما كانت أقواله (عليه السلام) مؤكدة للأمر بين أمرين، إذ جاء في الروايات التأريخية أنه لما أُدخل علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) في جملة من حُمل إلى الشام من أولاد الحسين بن علي عليه السلام وأهاليه على يزيد.

قال له: يا علي! الحمدُ لله الذي قتل أباك!

قال الإمام (عليه السلام): « قتل أبي الناس ».

قال يزيد: الحمد لله الذي قتله؛ فكفانيه.

---

[1] رياض السالكين، علي خان: ٢/ ٣١٢.

[2] اصول الكافي، الكليني، كتاب التوحيد، باب المشيئة والارادة، حديث رقم (٤): ١/ ١٥١.

قال الإمام(عليه السلام):(على من قتل أبي لعنة الله، أفترانـي لعنت الله عزّ وجلّ؟)"[1].

وهذا بلا شك رؤية علمية دقيقة لمفاهيم القرآن وكيفية قراءتها قراءة صحيحة ولم تغفل الصحيفة السجادية هذا المعنى؛ بل إن الامام (عليه السلام) ذكره كثيرا في محاولة منه لترسيخ الفكرة في أذهان المسلمين؛ فقال: (اللّهُمَّ إِنَّكَ كَلَّفْتَنِي مِنْ نَفْسِي ما أَنْتَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، وَقُدْرَتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيَّ أَغْلَبُ مِنْ قُدْرَتِي)[2].

أي أمرتني وزجرتني، وأنا سميع مطيع، ولكن الطاعة الكاملة تستدعي القدرة على امتثال ما أمرتني، والفعل خالصاً لوجهك الكريم، وقدرتي، ونفسي، وقصدي، كل ذلك بيدك؛ لأنك السبب الأول لكل وجود وموجود، فإن الله تعالى منح العبد القدرة، ومنحه الحرية في اختيار الطاعة أو المعصية، إذ لا طاعة ولا ثواب ولا حلال ولا حرام ولا خطأ ولا صواب، بلا حرية واختيار[3].

وقد أبرز الامام(عليه السلام) الارادة والبعث والفعل حيث قال:(اخْتَرَعَهُمْ على مَشِيَّتِهِ اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرادَتِهِ وبَعَثَهُمْ في سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ) [4].

"يفترق الاسلام عن غيره من الاديان بأنه يجرد البشرية كلها من حق التشريع والتحليل والتحريم ويحصر الشريعة بخالق الطبيعة وليس للنبي منها الا التبليغ اجل يترك الاسلام الامتثال والتنفيذ لحرية الانسان بعد ان يأمره

---

[1] الاحتجاج، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي(ت: ٥٦٠هـ)، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، د. ط، د. ت: ٢/ ١٣٢،

[2] الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٢.

[3] يُنظر: في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص ١٥١.

[4] الصحيفة السجادية، دعاء: ١،

بـالخير وينهـاه عـن الشـر ولا يلجئـه قهـراً علـى فعـل واجـب ولا تـرك محـرم حيـث لا إنسـانية بـلا حريـة ومعنـى هـذا ان الإنسـان مسـير تشـريعاً مخيـر تنفيـذاً ومسـؤول عن سلوكه وتصرفاته"[١].

ممـا تقـدم يمكـن القـول إن هنـاك إرادة مـن الله تعـالى وإرادة اختياريـة مـن الإنسان بأذن الله تعالى، وهي في طول ارادة الله تعالى.

وثالـث الصـفات الجماليـة هـي العلـم، والعلـم لغـة: "نقـيض جَهِـلَ"[٢]. "العـين والـلام والمـيم أصـلٌ صـحيح واحـد، يـدلُّ علـى أثَـرٍ بالشـيء يتميَّـزُ بـه عـن غيره"[٣]."[٣]: وهو ادراك الشيء بحقيقته"[٤].

واصـطلاحا: "زوال الخفـاء مـن المعلـوم، والجهـل نقيضـه"[٥].او هـو "حضـور المعلـوم لـدى العـالم"[٦]. وضـدها: "الجهـل ومـا فـي معنـاه، كـالظن والشـك والوهم والذهول والغفلة والنسيان والسهو"[٧].

وقـد حـرص الإمـام السـجاد(عليه السلام) علـى اثبـات صـفة العلـم فـي جملـة مـن الادعية منها قوله:(الحَمْدُ لله...عَدَدَ ما أحاطَ بِهِ عِلْمُهُ مِنْ جَميعِ الأشياء)[٨].

---

[١] في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص ٢٤.

[٢] العين، للفراهيدي: ١/ ١١٧، مادة علم؛ لسان العرب، ابن منظور: ١٢/ ٤١٦، مادة علم.

[٣] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤/ ١٠٩، مادة علم.

[٤] كتاب العين، للفراهيدي: ١/ ٣٤٣.

[٥] التعريفات، الجرجاني: ص٤٩.

[٦] الإلهيات، جعفر سبحاني: ١/ ١١٠.

[٧] اصـول الـدين الاسـلامي، د. رشـدي محمد علیـان و د. قحطـان عبـد الرحمـان الـدوري: ١/ ١٥٩.

[٨] الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

يقول السيد نعمة الله الجزائري: "إن حمد الله تعالى بالعدد الحاصل من ضرب عدد معلوماته الغير متناهية في عدد نعمه الغير متناهية؛ فانظر إلى صاحب الضرب كيف يكون"[١].

وهذا شرح دقيق وتوضيح مفيد لمضمون كلام الإمام "ع"؛ فلا يمكن أن نجدد أي عدد حسابي يصور سعة علمه تعالى؛ فإثبات العلم الإلهي أمر مفروغ منه، والكلام في مدى سعة علمه تعالى، ولذلك يقرر الامام "ع" بأنه غير متناه؛ لذلك تراه يقول(عليه السلام): (وَيا مَنْ تَظْهَرُ عِنْدَهُ بَواطِنُ الأخْبارِ)[٢].

إذ ما من شيء يخفى عليه سبحانه سواء أكان ظاهراً أم باطناً ويقول (عليه السلام):(اللّهُمَّ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلى خَفايَا الأَعْمالِ عِلْمُكَ، وَانْكَشَفَ كُلُّ مَسْتُورٍ دُونَ خُبْرِكَ، وَلا تَنْطَوي عَنْكَ دَقَائِقُ الأُمُورِ، وَلا تَعْزُبُ عَنْكَ غَيّباتُ السَّرائِرِ)[٣].

"والخبير: هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبرة، وهو بمعنى العليم، لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمي خبرة وسمي صاحبها خبيرا، فهو اخص من مطلق العليم"[٤].

ويقول الإمام (عليه السلام):(اللّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ)[٥].

أي "أطلب منك أن تجعل الخير في أمري بسبب علمك به"[١].؛ "فإن العالم يعلم أين الخير فيتمكن من جعله في الأمر والسير عليه فيما

---

[١] نور الأنوار، السيد نعمة الله الجزائري: ص ٥٤.

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ٥.

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ٣٢.

[٤] رياض السالكين، علي خان: ٢٩٠/٦.

[٥] الصحيفة السجادية، دعاء: ٣٣.

أراد"[٢].فتوجه الانسان للعلم الالهي الكامل غير المحدود له بالغ الاثر في بناء شخصيته.

وقال(عليه السلام):(وَأَنْتَ لا تَخْفَى عَلَيْكَ خافِيَةٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ إلا أَتَيْتَ بِها، وَكَفى بِكَ جازِياً، وَكَفى بِكَ حَسيباً)[٣].

"إنما جيء بالخافية مؤنثاً، لأنَّها صفة لـ[عين] محذوفة، أو لـ[صفة] محذوفة، أي: عين مخفية، أو صفة مخفية إلَّا جئت بتلك الخافية للمحاسبة، أو المراد إتيانها في علمك واطلاعك وكفى بك يا رب تجزي على كل عمل وكفى بك محاسباً لأعمال عبادك، فلا تحتاج في الجزاء والحساب إلى معاونة أحد أو شيء تستعين به من الآلات والأدوات"[٤].

واذا كان التصنيف الكلامي والفلسفي قد احتدم بالصراع الذي أورث الكراهية بين المختلفين فكفر بعضهم بعضا[٥] في مدى سعة علم الله تعالى واحاطته بالأشياء؛ فإن الإمام (عليه السلام) يوجز الرأي في المسألة بكلمات معدودة يسيرة تؤكد على احاطة العلم الالهي بالكليات والجزئيات؛ فيقول الإمام (عليه السلام):(وَلا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْء وَهُوَ بِكُلّ شَيءٍ مُحيطٌ)[٦].

---

[١] نور الأنوار، السيد نعمة الله الجزائري: ص٢٦٧؛ شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٢٤٣.

[٢] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٢٤٣،

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ٥٠.

[٤] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٤١٩،

[٥] يُنظر تهافت الفلاسفة للغزالي. حيث كفرهم في ثلاث مسائل منها عدم علم الله بالجزئيات وفسقهم في سبع عشرة مسألة.

[٦] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

يقول علي خان: فـ "عدم عزوب شيء عن علمه تعالى إشارة إلى علمه بكليات الأشياء وجزئياتها وعليه اتفاق جمهور المتكلمين والحكماء..." [١]؛ فالله تعالى لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات والارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر".

"والإحاطة بالشيء علماً هي أن تعلم وجوده وجنسه وكيفيته وغرضه المقصود به وبإيجاده وما يكون به ومنه، وذلك ليس إلا لله تعالى[٢]. وإدراك الشيء بكماله ظاهراً وباطناً"[٣].

ومثل العلم صفتا السمع والبصر وهما أيضا من صفات الجمال وتعريفهما لغة: "السميعُ: بمعنى السامِعِ مثل علِيمٍ وعالِم والسَّمْعُ ما وَقَر في الأُذن من شيء تسمعه"[٤]."السين والميم والعين أصلٌ واحدٌ، وهو إيناسُ الشيء بالأُذُن"[٥].

البصير: "البَصَرُ: العَيْنُ، مذكّر، والبَصَرُ: نَفاذ في القلب" [٦]، "الباء والصاد والراء أصلان: احدهما العِلْمُ بالشيء؛ يقال هو بَصِيرٌ به. ومن هذه البَصيرةُ"[٧].

---

[١] رياض السالكين، علي خان: ٦/ ٢٨١.

[٢] مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهانى: ص١٣٧، كتاب القاف.

[٣] التعريفات، الجرجاني: ص٢.

[٤] لسان العرب، ابن منظور: ٨/ ١٦٢، مادة سمع.

[٥] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٣/ ١٠٢، مادة سمع.

[٦] العين، للفراهيدي: ٢/ ٢٧، مادة بصر؛ لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٦٤، مادة بصر.

[٧] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ١/ ٢٥٣، مادة بصر.

واصطلاحاً: "السميع من له سمع يدرك به المسموعات والسمع له صفة قائمة بذاته البصير من له بصر يرى به المرئيات والبصر له صفة قائمة بذاته"[١].

وقد يكون السماع بمعنى الاجابة والقبول [٢].

فالسمع: صفة تنكشف بها المسموعات من غير الة فلا يعزب عن سمعه وان خفي ولا يحجب سمعه بعد ويسمع من غير أصمخة واذان.

والبصر: صفة تنكشف بها المرئيات من غير الة فلا يغيب عن بصره مرئي وان دق ولا يدفع رؤيته ظلام ويرى من غير حدقة واجفان.

وضدها: الصم والعمى[٣].

يقول الإمام السجاد (عليه السلام): (وَأَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ السَّمِيعُ البَصِيرُ القَدِيمُ الخَبِيرُ)[٤].

"فإنَّه سبحانه يسمع كلَّ صوتٍ، ويرى كل شيء؛ لكن لا بآلة السمع والبصر، فهو سبحانه منزه عن الجسم وعوارضه"[١]. "سميع بصير لا بجارحة أو أداة؛ بل يحيط بما يُسمع ويُرى"[٢].

---

[١] الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين الخسروجردي أبو بكر البيهقي(ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ط، ١٤٠١هـ: ص٥٨؛ يُنظر: المواقف، الايجي: ٢/ ٦٧؛ لوامع الانوار، السفاريني: ١٤٤/١.

[٢] يُنظر: الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين الخسروجردي أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، المحقق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، د. ط، ١٤١٣هـ: ١/ ١٢٠.

[٣] اصول الدين الاسلامي، د. رشدي محمد عليان و د. قحطان عبد الرحمان الدوري: ١/ ١٥٨.

[٤] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

أما الكلام الالهي وهو سابع الصفات الجمالية فهو لغة: "الكلام القَوْل معروف أو ما كان مُكْتَفِياً بنفسه"[٣]. والمراد بالكلام: "الحروف المسموعة المنتظمة"[٤]."الكاف واللام والميم أصلانِ: أحدهما يدلُّ على نطقٍ مُفهِم، والآخَر على جراح"[٥].

اصطلاحا: الكلام: **"**ما تضمن كلمتين بالإسناد"[٦]. "وضدها: البكم"[٧].

بعد التتبع نجد ان الامام(عليه السلام) ذكر الكلام الالهي في الصحيفة كما ذكره القران الكريم وذلك في موضعين حيث قال(عليه السلام):(سُبْحانَكَ لا رادَّ لِمَشِيَّتِكَ، وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِكَ)[٨]. متمثلا بقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٩]. وفي تفسير هذه الآية وجوه:

الوجه الأول: أن شبهات الكفار لا تأثير لها في هذه الدلائل التي لا تقبل التبديل البتة لأنها ظاهرة باقية جلية قوية.

والوجه الثاني: أن يكون المراد أنها تبقى مصونة عن التحريف والتغيير.

والوجه الثالث: أن يكون المراد أنها مصونة عن التناقض.

---

[١] شرح الصحيفة السجادية، محمد الشيرازي: ص٣٤٥.

[٢] في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٢٨٩.

[٣] لسان العرب، ابن منظور: ١٢/ ٥٢٢، مادة سمع.

[٤] مجمع البحرين، الطريحي: ٦/ ١١٧، باب ما اوله كاف.

[٥] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥/ ١٣١؛ باب الكاف واللام وما يثلثهما.

[٦] التعريفات، الجرجاني: ص٥٩.

[٧] اصول الدين الاسلامي، د. رشدي محمد عليان و د. قحطان عبد الرحمان الدوري: ١/ ١٦٢.

[٨] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

[٩] سورة الانعام، الآية: ١١٥.

والوجــه الرابــع: أن يكـون المـراد أن أحكـام الله تعـالى لا تقبـل التبـديل. وَتَمَّـتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا أحد يقدر على أن يبدل ما قلت وأمرت[١].

وقـال(عليه السلام):(لا تَنْفَـدُ كَلِماتُـكَ)[٢]. متمـثلا بقولـه تعـالى: ﴿وَلَـوْ أَنَّمَـا فِـى الأرض مِـن شَـجَرَةٍ أَقْـلاَمٌ والبحـر يَمُـدُّهُ مِـن بَعْـدِهِ سَـبْعَةُ أَبْحُـرٍ مَّـا نَفِـدَتْ كلمـات الله﴾[٣].

"ولـو أن مـا فـي الأرض مـن شـجرة أقـلام والبحـر ممـدود بسـبعة أبحـر وكتبـت بتلـك الأقـلام وبـذلك المـداد كلمـات الله تعـالى مـا نفـدت لعـدم تناهيهـا ونفـد تلك الأقلام والمداد لتناهيها"[٤].

---

[١] يُنظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٦/ ٤٥٢.

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

[٣] سورة لقمان، الآية: ٢٧.

[٤] تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ: ١٥/ ٤٦٠.

الفصل الثالث

معالم الاسلاموفيليا في تقرير مباحث النبوات والمعاد في الدرس الكلامي

المبحث الأول

بعثة الأنبياء وحسنها

ذهب المسلمون كافة وجميع أرباب الملل وجماعة من الفلاسفة إلى حسن بعثة الأنبياء بدليل أنها اشتملت على فوائد وخلت من المفاسد؛ فكانت حسنةٌ قطعاً[١]، وقد فصَّل الإمامية القول في هذه الفوائد التي على الرغم من اختلاف مضامينها أو مسمياتها الَّا إنها ترجع جميعاً في وصف لفوائد بعثتهم وحسنها.

قال المحقق الطوسي "البعثة واجبة؛ لاشتمالها على اللطف في التكاليف العقلية"[٢]، وقال (ﷻ):﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾[٣]، وروي عن الصادق (عليه السلام) حين سأله رجلاً فقال: لأي شيء بعث الله الأنبياء والرسل الى الناس ؟ فأجابه (عليه السلام) بهذه الآية الكريمة، ثم قال له: (ليكون حجة الله عليهم، ألا تسمع الله عزَّ وجل يقول: (حكايةً عن خزنة جهنم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياء والرسل): ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ(٩)﴾[٤]) [٥].

الى غيره ذلك من الآيات الكريمة الدالة على حسن بعثة الأنبياء، ومنها:

---

[١] كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٣٢٣.

[٢] تجريد العقائد: ص ١٢٧؛ يُنظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٢٣٢.

[٣] سورة النساء، الآية: ١٦٥.

[٤] سورة الملك، الآيتين: ٨، ٩.

[٥] علل الشرائع، علة اثبات الانبياء والرسل: ٤/ ١٢١؛ يُنظر: الحاشية على الهيات الشرح الجديد: ص ١٧٠.

١. قال (ﷻ): ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[١].

٢. قال (ﷻ):﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [٢].

٣. قال (ﷻ): ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٣].

٤. قال (ﷻ): ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٤]﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[٥].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إنا لمَّا أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنَّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً، لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه، ولا يباشرهم ولا يباشروه، ولا يحاجهم ولا يحاجوه، فثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه الى خلقه وعباده، يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، فثبت عند ذلك أن له معبّرين، وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب) [٦].

---

[١] سورة ابراهيم، من الآية: ٤.

[٢] سورة ابراهيم، من الآية: ١٠.

[٣] سورة الحديد، من الآية: ٢٥.

[٤] سورة الأحزاب، الآية: ٤٥؛ سورة الفتح، الآية: ٨.

[٥] عقائد الإمامية الإثنى عشرية: ١٥٤/٢.

[٦] علل الشرائع، علة اثبات الانبياء والرسل عليهم السلام: ٥/ ١٢١؛ التوحيد، للصدوق، باب الرد على الثنوية والزنادقة: ١/ ٢٤٩؛ خلاصة علم الكلام: ص ٢٦٠؛ البراهين القاطعة،

ويذكر متكلمو الإمامية جملةً من هذه الفوائد، منها:

١. **يعتضد العقل بالنقل فيما يدل العقل عليه من الأحكام**: كوحدة الصانع وغيرها، وأن يُستفاد الحكم من البعثة فيما لا يدل العقل عليه كالشرائع وغيرها من مسائل الأُصول.

٢. **إزالة الخوف**: أي إزالة الخوف الحاصل للمكلف عند تصرفاته إذ قد علم بالدليل العقلي إنه مملوكٌ لغيرهِ، وإن التصرف في ملك الغير بغير ملكه قبيح، فلولا البعثة لم يعرف حسن التصرفات فيحصل الخوف بالتصرف وبعدمه.

٣. **استفادة الحسن والقبح**: فان بعض الأفعال حسنة وبعضها قبيحة، ثم الحسنة منها ما يستقل العقل بمعرفة حسنه، ومنها ما لا يستقل وكذا القبيحة، ومع البعثة يحصل معرفة الحسن والقبح الذين لا يستقل العقل بمعرفتهما.

٤. **معرفة النافع والضار**: ان بعض الأشياء نافعة لنا مثل كثير من الأغذية والأدوية وبعضا ضارٌ لنا مثل كثير من السموم والحشائش، والعقل لا يدرك ذلك كله، وفي البعثة تحصل هذه الفائدة.

٥. **حفظ النوع الإنساني:** إن النوع الإنساني خُلِق لا كغيره من الحيوانات، فإنه مدني بالطبع يحتاجُ الى أُمورٍ كثيرة في معاشه لا يتم نظامه الَّا بها، وهو عاجز عن فعل الأكثر منها إلا بمشاركة ومعاونة، والتغلب موجود في الطبائع البشرية بحيث يحصل التنافر المضاد لحكمة الإجماع؛ فلا بد من جامعٍ يقهرهم على الاجتماع وهو السنة والشرع، ولا بُدَّ لسُنةٍ من شارِعٍ يسُنها ويقرر ضوابطها، ولا بد وأن يتميز ذلك الشخص من غيره من بني نوعه لعدم الأولوية، وذلك المائز لا يجوز أن يكون مما يحصل من بني

محمد جعفر الأسترآبادي: ٣/١٥؛ حق اليقين في معرفة اصول الدين، السيد العلامة عبد الله شُبَّر: ص ١٢١.

النوع لوقوع التنافر في التخصيص؛ فلا بُدَّ وأن يتميز من قبل الله (ﷻ) بمعجزة ينقاد البشر الى تصديق مدعيها ويخوفهم من مخالفته، ويعدهم على متابعته بحيث يتم النظام ويستقر حفظ النوع الإنساني على كماله الممكن له.

أ. **معرفة الصنائع الخفية:** إن أشخاص البشر متفاوتة في إدراك الكمالات وتحصيل المعارف واقتناء الفضائل، فبعضهم مستغنٍ عن معاون لقوة نفسه وكمال إدراكه وشدة استعداده للإتصال بالأمور العالية وبعضهم عاجز عن ذلك بالكلية، وبعضهم متوسط الحال وتتفاوت مراتب الكمال في هذه المرتبة بحسب قربها من أحد الطرفين وبعدها عن الآخر، وفائدة النبي تكميل الناقص من أشخاص النوع بحسب إستعداداتهم المختلفة في الزيادة والنقصان كما إن النوع الإنساني محتاجٌ الى الآت وأشياء نافعة في بقائه كالثياب والمساكن وغيرها، وذلك مما يحتاج في تحصيله الى معرفة عمله، والقوة البشرية عاجزة عنه، وفائدة النبي ﷺ في ذلك تعليم هذه الصنائع النافعة الخفية.

ب. **الأخلاق:** إن مراتب الأخلاق وتفاوتها معلومٌ يفتقر فيه الى مكمل لتعليم الأخلاق والسياسات بحيث تنتظم أُمور الإنسان بحسب بلده ومنزله.

ت. **الإخبار بالثواب والعقاب:** إن الأنبياء يعرفون الثواب والعقاب على الطاعة وتركها، فيحصل للمكلف اللطف؛ إذ ان الإخبار بالثواب على الواجبات والعقاب على المنهيات مقرِّب الى طاعات ومبعد عن المعاصي[1].

---

[1] يُنظر: تجريد العقائد: ص ١٢٩؛ نور الافهام في علم الكلام: ٣٠٤/١، ٣٠٥؛ الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٢٤٦؛ البراهين القاطعة، محمد جعفر الأسترآبادي: ١٣/٣، ١٤؛ مطارح النظر في شرح الباب الحادي عشر: ص١٢٨؛ الدر الثمين: ص ١٦؛ عقائد الإمامية الإثني عشرية: ١٥٢/٢؛ العقائد، الشيخ محمود رضا المظفر: ص ٧٨، ٧٩.

ث. **تعيين واسطة بين الحق والخلق**: قال (ﷻ): ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وذلك يتوقف على تعيين واسطة بين الحق والخلق يعلمهم هذه العبادة إذ لا ربط ولا نسبة بين النور والظلمة وكمال الكمال ومنتهى التنقص، فتستحيل المشاهدة والمكالمة إلا بالواسطة لقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[2].

ج. **العناية الالهية**: لا بد في العناية الإلهية لنظام العالم من المطر، ورحمة الله تعالى لم تقتصر عن إرسال الماء مدراراً لحاجة الخلق، فإن نظام العالم لا يستغني عمَّن يعرفهم موجب صلاح الدنيا والآخرة، نعم من لم يهمل إنبات الشعر على الحاجبين المُزَينة وكذا تقعير الأخمص في القدمين، كيف أهمل وجود رحمةً للعالمين مع أن ما في ذلك من النفع العاجل والسلامة في العقبى والخير الآجل، ومن لم يترك الجوارح والحواس حتى جعل لها رئيساً يصحح لها الصحيح ويتقن به ما شكَّت فيه، وهو الروح، كيف يترك الخلائق كلَّهم في حيرتهم وشكهم وضلالهم ولم يقم لهم هادياً يردّون اليه في ذلك[3].

كما يمكن إجمال فوائد بعثة الأنبياء، في منفعتين اساسيتين، هما:

١. إنه يهدي الورى الى معارف الحكم والعلوم الإلهية المكملة للنفوس البشرية، وهي بأجمعها قسمين:

أحدهما: ما يدرك العقل حسنه إبتداءً، ويحكم بذلك استقلالاً مع الغض عن حكم الشرع به، وذلك كحكمه بوجود الصانع تعالى ووحدته وامتناع تعدده.

---

[1] سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

[2] سورة الشورى، الآية: ٥١.

[3] عقائد الإمامية الإثنى عشرية: ١٥٤/٢.

ثانيهما: مالا يدركه العقل كذلك ولا يحكم فيه بشيء إلا بعد حكم الشرع بحسنه أو قبحه فيتبعه حينئذٍ مؤكداً حكمه، وذلك باعتبار حكمه الإستقلالي بوجوب شكر المنعم وأنه في المقام هو الشارع المقدس المحسن.

وحينئذٍ فالنبي المبعوث (عليه السلام) في **القسم الأول** من تلك المعارف يكون مؤيداً ومعاضداً فيما به العقل حكم استقلالاً.

وفي **القسم الثاني** يكون مبتكراً في بيان معارفه التي بها يرشدهم الى جميع ما حسن من أعمالهم وآدابهم فعلاً وتركاً، وما ينظم أمورهم في معاشهم ومشاجراتهم وسائر ما يرجع الى سياسة المدن من الأمن والسعة وحفظ المجامع والمؤتلفات.

٢. تعليمهم الآداب الجميلة ومحامد الصفات الحسنة المستجلبة للمحبة بينهم، فيكون حينئذٍ فيهم مهذب الأخلاق الظاهرة ومصفي السريرة الباطنة، وذلك بلين القول في منطقه وحسن السيرة في معاشرته وعمله[1].

---

[1] يُنظر: تجريد العقائد: ص ١٢٩؛ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٢٤، ٣٢٥؛ قواعد المرام في علم الكلام: ص ١٢٣.

المبحث الثاني

صفات الرسل والانبياء

والصفات الخاصة بالرسل والأنبياء ممَّا لم يختلف فيها المتكلمون وإنما تسابقوا في اظهار ما هو الافضل والأحسن والنكات الدقيقة في اعطاء أجلى الأوصاف وأسناها وما هو الاليق منها بحضرة النبي الأكرم (ﷺ)، وقد تناول الامام السجاد هذه الصفات في الصحيفة السجادية؛ إذ كانت أقواله في المسألة نبراسا يستضيء به الحادي في ظلام الليل البهيم؛ وهو ما اوجزه في نقاط لقلة الاختلاف وتتميما للفائدة:

فهو أولا:

١. قرر أن النبي (ﷺ) صدع بالحق وبلغ الأمانة؛ إذ قال: (اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَما بَلَّغَ رِسالَتَكَ، وَصَدَعَ بِأَمْرِكَ وَنَصَحَ لِعِبادِكَ)[١].

٢. أنه كان نصوحا للأمة؛ فقال: "اللهم وَأنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ وَخِيَرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، حَمَّلْتَهُ رِسالَتَك فَأدّاها؛ وَأمَرْتَهُ بِالنُّصحِ لأُمَّتِهِ فَنَصَحَ لَها" [٢].

والنصيحة من الانبياء متضمنة لكافة فروع الدين ولكافة أصوله من ناحية التعرف على معنى العبودية الكاملة، بل هي تستغرق كل شيء من ناحية معرفة الحق وتفرقته عن الباطل حتى يعلمه الإنسان. ولا ينفك العلم والحكمة عن النصيحة؛ فلا يمكن أن ينصح لله تعالى إلا بالعلم بمسائل الذات الالهية

---

[١] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

[٢] المصدر نفسه، دعاء: ٦.

والصفات، ولا يمكن أن ينصح بكتاب الله تعالى إلا بالعلم بالكتاب وهكذا في كل شيء؛ فالنصيحة فرع العلم [١].

٣. أن القران الكريم الذي نزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله نور يهدي وعلم لا يضل من اتبعه.

"ثم إن الرسول محمد (ﷺ) افضل الراسخين في العلم كما جاء في الخبر"[٢]. الذين ذكرتهم الآية المباركة قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٣].

"والراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية أن الله تعالى عالم بالمعلومات التي لا نهاية لها، وعلموا أن القرآن كلام الله تعالى، وعلموا أنه لا يتكلم بالباطل والعبث، فإذا سمعوا آية ودلّت الدلائل القطعية على أنه لا يجوز أن يكون ظاهرها مراد الله تعالى، بل مراده منه غير ذلك الظاهر، ثم فوضوا تعيين ذلك المراد إلى علمه، وقطعوا بأن ذلك المعنى أي شيء كان فهو الحق والصواب"[٤].

٤. اتصاف "الانبياء بالأمانة في جميع شؤونهم الشخصية والاجتماعية والالهية والجماعية والمادية والمعنوية؛ فكانوا يحفظون الأسرار والآيات

---

[١] يُنظر: البرهان المؤيد، أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني (ت: ٥٧٨هـ)، تحقيق: عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ: ص١٩.

[٢] يُنظر: الكافي، الكليني، باب ان الراسخين في العلم هم الائمة عليهم السلام، حديث رقم (٢): ١/ ٢١٢.

[٣] سورة آل عمران، الآية: ٧.

[٤] مفاتيح الغيب، الرازي: ٤/ ١١٥.

الالهيـة، وينقلونهـا كاملـة للنـاس، وقـد اشـتهر رسـول الإسـلام صـلى الله عليـه وآله بسبب التزامه بالأمانة بلقب (محمد الامين)" [١].

وذكـر الإمـام السـجاد (عليه السلام) صـفة الأمانـة صـريحا للنبـي محمد صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله؛ إذ قال: (اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ أمينِكَ عَلى وَحْيِكَ) [٢].

والمـراد بكونـه أمينـا علـى وحيـه تعـالى: قوتـه علـى مـا كلـف بـه مـن ضـبط الـوحي فـي ألـواح قـواه الشـريفة بحكـم الحكمـة الإلهيـة بهـا عليـه، وكمـال اسـتعداد نفسـه الطـاهرة لأسـرار الله وعلومـه، وحكمـه، وحفظـه لهـا، عـن ضـياعها، وصـيانتها عـن تدنسـها بأذهـان غيـر أهلهـا، وعـدم تطـرق تبـديل أو زيـادة أو نقصـان إليهـا... ولهـذا السـر كانـت العـرب تسـميه بـالأمين قبـل مبعثـه لمـا شـاهدوه من أمانته، وشهر بهذا الاسم قبل نبوته وبعدها[٣].

٥. اتصاف الأنبياء والرسل بمحاسن الأخلاق.

فمـن مزايـا الأنبيـاء حسـن خلقهـم فقـد اتسـمت طبيعـة الانبيـاء بـالرفق واللـين والحنـان واللطـف والعطـف ورحـاب الصـدر، فتسـامت دعـوتهم الـى الإرشـاد والهدايـة عـن القسـوة والعنـف والغلظـة والخشـونة والفظاظـة، فبـادروا فـي دعـوتهم الـى ان يتصـافح الـروح والجسـد فـي ظـل الارادة والاختيـار وعـدم الاكـراه والجبر.

---

[١] الكـلام الاسـلامي المعاصـر، د. عبـد الحسـين خسـرويناه، ترجمـة: محمد حسـين الواسـطي، الأخـراج الفنـي: نصـير شـكر، دار الكفيـل للطباعـة والنشـر والتوزيـع، ط١، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٦م: ٢/ ١٩٩.

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ٢.

[٣] يُنظر: رياض السالكين، علي خان: ١/ ٤٥٥.

يقول الإمام السجاد (عليه السلام) في تأكيد تلك السمة عند النبي محمد (صلى الله عليه وآله)؛ إذ قال:(اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ... صَفِيِّكَ مِنْ عِبادِكَ إمامِ الرَّحْمَةِ) [١].

"والرحمة تعم، وتشمل الاحسان، والعناية، والاهتمام، والتيسير، والتسهيل، وتخفيف العقوبة عن المذنب، أو تركها من الأساس، ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله رحمة مهداة للعالمين"[٢].

"الرحمة سرُّ ذاته في الفكر الرحيم الذي لا ينطلق الا بالأفكار الأصلية التي تفيض بالرحمة على الناس في ثقافتهم الفكرية، وفي القلب الرحيم الذي ينبض بالمحبة، والرأفة والحنان والعاطفة، وفي الكلمات الرحيمة التي تنزل على السمع والقلب رحمة في مضمونها الذي يلامس الروح بدفء معناه، وفي الاسلوب الرحيم الذي يرحم ظروف الانسان النفسية والاجتماعية"[٣].

١. كفاءة الرسل والانبياء في القيادة.

القِيادةُ لغة: "مصدر القائد. القَودُ نقيض السوق، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها"[٤].

اصطلاحاً: "هي القدرة على ادارة المكونات المحيطة بشرية او مادية وفقا للخطط المعدة ومراقبة سير الأداء وانحرافاته، مما يجعلنا نصل الى تحقيق النجاح وفق نسب معينة، ومعالجة الأخطاء، وتقويم الاعوجاج ان وجد،

---

[١] الصحيفة السجادية، دعاء: ٢.

[٢] في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٤٥.

[٣] افاق الروح، فضل الله: ١/ ٦٢.

[٤] العين، للفراهيدي: ١/ ٤٠٨، مادة قود؛ لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ٣٧٠، مادة قود.

والقائد هنا هو شخصية تمتلك من المواهب والقدرات ما يؤهله لهذه المهمة"[١].

وتطرق الامام السجاد(عليه السلام) إلى القيادة بوصفها أبرز صفات الرسل والأنبياء(عليهم السلام)؛ إذ قال: (اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ... قائد الخَيْرِ؛ وَمِفْتاحِ البَرَكَةِ)[٢].

فهو قائد الخير، والخير هو هذه القيمة الإنسانية التي ينبض بها القلب لتتحول الى حركة الذات في المعاني التي تنفتح على الإنسان بما ينفعه في وجوده... ليعيش الإنسان معه في كل ما يحقق للفرد والمجموع منه كل شروط سعادته في الحياة. ولما كان هذا النبي يمثل النموذج الاكمل في معاني وخصاله في نفسه وحركته، كان هو القائد له في الواقع الانساني العام في القدرة والدعوة وهو مفتاح البركة، الذي يفتح...كل ما ينتفعون به في امورهم [٣].

وأوضح الامام السجاد (عليه السلام) دور الانبياء القيادي بقوله: (اللّهُمَّ... في كُلِّ دَهْرٍ وَزَمانٍ أرْسَلْتَ فيهِ رَسُولاً وَأقَمْتَ لأهْلِهِ دَليلاً مِنْ لَدُنْ آدَمَ إلى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أئمّةِ الهُدى، وَقادَةِ أهْل التُّقى عَلى جَميعِهِمُ السَّلامُ؛ فَاذْكُرْهُمْ مِنْكَ بِمَغْفِرَةٍ وَرِضْوانٍ)[٤].

---

[١] القيادة في ضوء القران الكريم، أ. م. د. عبد الوهاب أسماعيل الاعظمي بحث مقدم الى كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، قسم الشريعة: ص ٥.

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ٢.

[٣] يُنظر: افاق الروح، فضل الله: ١/ ٦٢.

[٤] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤.

"هـؤلاء أئمـة الهـدى الـذين تقـدموا الاجيـال فـي خـط الهـدى، وقـادة التقـى الذين قادوا الناس الى تقوى الله في معنى الطاعة والانقياد"[١].

لا يقـال هـذه الصـفات ليسـت واردة الا فـي بعضـهم فـلا تـدل علـى ثبوتهـا لجمـيعهم، لأنـا نقـول: مـا ثبـت لبعضـهم مـن الكمـال يثبـت لغيـرهم انمـا الفـارق بالمرتبة[٢].

[١] افاق الروح، فضل الله: ١/ ٩٨.

[٢] يُنظر: حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، إبراهيم الباجوري: ص٢٠٢.

المبحث الثالث

المعجزة

يتوقف إثبات نبوة الأنبياء على إظهارهم لمعجزةٍ خارقة للعادة مع عدم المعارضة، وقد اتفق الإمامية في إثباتهم المعجزة للأنبياء مع اتفاقهم في شروط تحقق هذه المعجزة لمدعي النبوة، وذلك يظهر جلياً في تعريف علمائهم للمعجزة وما دلت عليه.

فالنبي لا بُدَّ له من إظهار معجزة تدلُّ على صدقه، فإذا أتى بها وبان لقومه وجه الإعجاز فيها لزمهم تصديقه وطاعته عند إدعائه النبوة، ولم يكن لهم مطالبته بمعجزة أُخرى، فإن طالبوه بأُخرى فإن شاء الله تعالى أظهر الأُخرى توكيداً للحجةِ عليهم، وإن شاء عاقبهم على ترك الإيمان بمن قد دلَّت المعجزة على صدقه، والمعجزة الواحدة كافيةٌ في الدلالةِ على صدقه، ومن لم يؤمن به بعدها إستحق العقاب.

يقول في ذلك السيد الشريف المرتضى رحمه الله تعالى: "إعلم إن لفظة "معجز" في التعارف ما دَلَّ على صدق من ظهر عليه واختص به، وإنما يدل على ذلك بشرائط:

الأول أن يكون من فعله (ﷻ) أو جارياً مجرى فعله.

الثاني أن ينتقض به العادة المختصة بمن ظهر المُعجَز فيه.

و**الثالث** أن يختص بالمدعي على طريقة التصديق لدعواه "[1].

---

[1] الذخيرة في علم الكلام: ٣٢٨؛ يُنظر: عصرة المنجود في علم الكلام، العلامة زين الدين بن علي بن محمد بن يونس العاملي البياضي (ت: ٨٧٧هـ)، تحقيق: حسين التنكابيني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ط١، ١٤٢٨هـ: ص ٢٢٣.

والطريق الى العلم بأنه من فعل الله (ﷻ)، هو بأن يكون من جنس لا يقدر عليه العباد كالحياة والجسم، أو يقع على وجه مخصوص لا يقدر على إيقاعه على العباد، كنقل الجبال وفلق البحر والكلام الخارق للعادة بفصاحته[١].

وأُعتُبِر كونه من فعل الله تعالى؛ لأن المدعي إذ ادعى أن الله يصدقه بما يفعله فيجب أن يكون الفعل الذي قام مقام التصديق من فعل من طلب منه التصديق، وإلا لم يكن دالاً عليه، وفعل المدعي كفعل غيره من العباد؛ لأنه لا يدل على التصديق وإنما يدل فعل من ادعى عليه التصديق[٢].

كما يُعَرَّف المُعجَز بأنه أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، أما: "أمر"؛ فلأن المعجز قد يكون إتياناً بغير المعتاد، وقد يكون منعاً من المعتاد، و"خارق للعادة" ليتميز به المدعي عن غيره، و"مقرون بالتحدي" لئلا يتخذ الكاذب معجزة من مضى حجةً لنفسه، وليتميز عن الإرهاص[٣] والكرامات، و "مع عدم المعارضة" ليتميز عن السحر والشعبذة[٤].

---

[١] الذخيرة في علم الكلام: ص ٣٢٨.

[٢] الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٢٥١.

[٣] الإرهاص: إحداث معجزات تدل على بعثة نبي قبل بعثته وكأنه تأسيس لقاعدة نبوته أو هو ما يظهر من الخوارق عن النبي قبل ظهوره كالنور الذي كان في جبين نبينا وقيل هو ما يصدر عن النبي قبل النبوة من امر خارق للعادة. يُنظر: التعريفات: ص ٧، باب الألف؛ تلخيص المحصل، نصير الدين الطوسي: ص٣٥٠؛ تجريد العقائد: ص ١٣٠؛ شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، د. ط، د. ت: ١٣/٥.

[٤] يُنظر: الذخيرة في علم الكلام: ص ٣٢٩؛ تلخيص المحصل، نصير الدين الطوسي: ص ٣٥٠؛ قواعد المرام في علم الكلام: ص ١٢٧؛ معارج الفهم في شرح النظم، العلامة

فما كان دالاً على البعثة وحدث قبلها يسمى" إرهاصاً " كتضليل الغمامة لنبينا٦، وتسليم الأحجار له ٦قبلها، وسقوط أربع وعشرين شرفة من إيوان كسرى ليلة ولادته وخمود نيران فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ونحو ذلك، إذ الإرهاص بمعنى الانتظار، فكأنه ينتظر البعثة، وما كان غير منتظر مقترن بالدعوى المذكورة يُسمى "كرامة " كما كانت لمريم عليها السلام وكذلك إطاعة الكلاب للنبي سليمان (عليه السلام) ورقدة أهل الكهف وغير ذلك[١].

أما المعجزة: "فهي ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد، مع خرق العادة ومطابقة الدعوى على يد مدعي النبوة "[٢].

وقيد ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد؛ لأن الثبوت والنفي سواءٌ في الإعجاز، فإنه لا فرق بين قلب العصا حية، وبين منع القادر عن رفع أضعاف الأشياء.

وشرط خرق العادة لأن فعل المعتاد أو نفيه لا يدل على الصدق، ومطابقة الدعوى له؛ لأن من يدعي النبوة ويسند معجزته إلى إبراء الأعمى فيحصل له الصمم مع عدم إراءة الأعمى لا يكون صادقاً[٣].

وإن معجزة كل نبي من الجنس الذي تعاطاه قومه ليكون أقرب الى معرفة صدقه، وفي ذلك قول الإمام الرضا (عليه السلام): (إن الله (عز وجل) لما بعث

الحلي أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، ط١، ١٤٣٠هـ: ص ٤٣٦؛ الدر الثمين: ص ٢٠.

[١] البراهين القاطعة، محمد جعفر الأسترآبادي: ٢٧/٣.

[٢] يُنظر: تجريد العقائد: ص ١٣٠؛ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٢٧؛ الحاشية على الهيات الشرح الجديد: ص ١٧٤.

[٣] كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٢٨؛ يُنظر: قواعد المرام في علم الكلام: ص ١٢٧.

موسى (عليه السلام) كان الأغلب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله عز وجل بما لم يكن في وسع القوم مثله، وبما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجةَ عليهم، وإن الله (سبحانه وتعالى) بعث عيسى (عليه السلام) في وقتٍ ظهرت فيه الزمانات وإحتاج الناس الى الطب، فأتاهم من عند الله تعالى بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى وأثبت به الحجةَ عليهم، وإن الله (سبحانه وتعالى) بعثَ محمداً ٦في وقتٍ كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام فأتاهم من كتاب الله عز وجل ومواعظه وأحكامه ما أبطلَ به قولهم وأثبت به الحجةَ عليهم)[1].

ومن خلال التعريفات للمعجزة يظهر شروطها وقيودها لأجل تحققها وتصديق مدَّعيها، وهي:

١. أن يعجز عن مثله أو عمَّا يقاربه الأُمة المبعوث اليها وأن يكون خارقاً للعادة؛ لأنه إذا لم يكن كذلك لم نعلم أنه مفعولٌ لتصديق المدعي وجوَّزنا أن يكون فعلٌ بمجرى العادة، أما الطريق الى معرفة كونه خارقاً للعادة، فهو أن العادات معلومة مستقرة بين العقلاء، وطريق علمها المشاهدة أو الأخبار.
٢. إن يكون من قبل الله (سبحانه وتعالى) أو بأمره.
٣. إن يكون في زمان التكليف؛ لأن العادة تنتقض عند أشراط الساعة.
٤. اختصاص المعجز بالمدعي، والطريق الى العلم باختصاصه أن يُعلم مطابقته لدعواه.

[1] علل الشرائع: ص ١٢٢؛ يُنظر: عصرة المنجود في علم الكلام: ص ١٢٤.

٥. إن يحدث عقيب دعوى المدعي للنبوة أو جارياً مجرى ذلك، وإن لا يدعي النبوة غيره.[١]

"إن معاقبة المُعجز للدعوى شرط في إبتداء النبوة لا غير؛ لأن النبي أخبر بغائبات بعد ثبوت نبوته متأخرة عن دعوته، ويكفي خرق العادة دون آخر، كما لو قال: "معجزتي نزول الثلج في قطر لم يحدث فيه قبل ذلك"، فهذا معجز وإن أُعتيد في غيره، وقد يكون نفس الدعوى معجزاً كنطق النبي عيسى (عليه السلام) في المهد كما قال (جل جلاله): ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[٢][٣].

إذاً، فالمعجزة أمر واقعي خارج عن العادة بسبب كونه بلا توسط، وكونه مما لا يتمكن الخلق عن تحصيلها بالتكسب والتعلم ونحو ذلك – كما في الحوادث العادية المسببة عن سبب تلك الأسباب جلياً كان السبب أو خفياً – موجباً للإشتباه بخارق العادة في أمثال الشعبذة، مع كون ذلك الأمر الخارق للعادة مقترناً بادعاء نحو النبوة الممكنة مطابقاً لها، فيمتاز عن الإرهاص والكرامة والسحر مفهوماً ومصداقاً[٤].

وقد حفلت ادعية الإمام السجاد (عليه السلام) بمفاهيم متنوعة في مزايا وخصائص المعجزة فلم تكن نمطا واحدا بل عدة انماط فمن ذلك:

أولا: دلائل الله لا تنقطع، حيث يقول الإمام (عليه السلام): (اللّهُمَّ... في كُلِّ دَهْرٍ وَزَمانٍ أرْسَلْتَ فيهِ رَسُولاً، وَأقَمْتَ لأهْلِهِ دَليلاً مِنْ لَدُنْ آدَمَ إلى مُحَمَّدٍ

---

[١] يُنظر: الذخيرة في علم الكلام: ص ٣٢٨، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٢٨؛ الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد: ص ٢٥٠.

[٢] سورة مريم، الآية: ٣٠.

[٣] عصرة المنجود في علم الكلام: ص ١٢٤.

[٤] البراهين القاطعة، محمد جعفر الأسترآبادي: ٣/ ٢٨.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أئمّةِ الهُدى، وَقادَةِ أهْل التُّقى عَلى جَميعِهِمُ السَّلامُ؛ فَاذْكُرْهُمْ مِنْكَ بِمَغْفِرَةٍ وَرِضْوانٍ) [١].

"ان لنفسيات المؤمنين بمدعي النبوة وحواريه، دلالة خاصة على صدقه فيما يدعيه، وذلك ان اقرباء المدعي وبطانته اذا امنوا به، واتبعوا دعوته، وبلغوا فيها مراتب عالية من التقوى والورع، كان هذا دالاً على صدق المدعي في ظاهره وباطنه، وعدم التوائه وكذبه، لأن الباطن لا يمكن ان يخفى عن الاقرباء والبطانة"[٢].

ولم يدعوا الامام السجاد (عليه السلام) لأتباع الرسل فحسب، بل انه دعا حتى لأزواجهم، ولذرياتهم، قال(عليه السلام): (اللّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى التّابِعينَ مِنْ يَوْمِنا هذا إلى يَوْمِ الدِّينِ؛ وَعَلَى أزْواجِهِمْ، وَعَلَى ذُرِّياتِهِمْ) [٣].

قد افرد الامام دعاءً خاصاً بأتباع الرسل نقتصر منه على بعض الفقرات التي هي محل الموضوع حيث ذكر:(اللّهُمَّ وَأتْباعُ الرُّسُلِ وَمُصَدِّقُوهُمْ مِنْ أهْل الأرض بِالغَيْبِ عِنْدَ مُعارَضَةِ المُعانِدينَ لَهُمْ بِالتَّكْذيبِ وَالاشْتِياقِ إلى المُرْسَلينَ بِحَقائقِ الإيمانِ) [٤].

"الفرد مهما سما في مواهبه، وأخلص في مقاصده؛ فأنه لا يستطيع ان يقوم بأي دور للتأريخ الا اذا اتيح له انصار، واعوان يثقون به، ويسارعون الى طاعته، ويخوضون معه كل المعارك، ويفتدونه بالنفس، والنفيس؛ لأنه

---

[١] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤. وقد تقدم بيانه: ص ١٠٧.

[٢] الإلهيات، جعفر سبحاني: ٣/ ١١٩.

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤.

[٤] المصدر نفسه.

الحصـــن الحصـــين لـــدينهم، وعقيـــدتهم، والقـــوي الامـــين علـــى اهـــدافهم، ومصالحهم"[١].

اتبـاع الرسـل الـذين وقفـوا معهـم فـي خـط الايمـان، واتبعـوهم علـى نهـج الهـدى المنفـتح علـى وحيك...الـذين صـدقوهم عنـدما كـذبهم النـاس، وامنـوا بهـم عنـدما عارضـهم المعانـدون، ايمـان المـؤمن بالغيـب، اننـا نتـابع روح الايمـان فـي حـرارة الشـوق التـي تلهـب مشـاعرهم الـى دعـوات المرسـلين الـذين يفتحـون للعقـل افـاق التفكيـر، ويمهـدون للفكـر سُـبُل الاخـذ بأسـباب السـلم، وهـم الادلاء علـى مـا يصلح أمور الحياة والناس[٢].

ثانيـا: اعجـاز القـرآن. يقـول (عليه السلام): (اللّهُـمَّ إِنَّـكَ أَعَنْتَنـي عَلـى خَـتْمِ كِتابِـكَ الَّـذي أَنْزَلْتَهُ نُوراً...نَهْتَدي مِنْ ظُلَمِ الضَّلالَةِ وَالجَهالَةِ بِاتِّباعِهِ) [٣].

"ان الله تعـالى انـزل القـران الكـريم نـورا يهـدي بـه الضـال، ويرشـد بـه الحائر، ويوضح به القصد" [٤].

وفيـه تلمـيح الـى قولـه تعـالى:: ﴿وَأَنْزَلْنَـآ إِلَـيْكُمْ نُـوراً مُّبِينـاً﴾[٥]. قيـل لأنـه سبب وقوع نور الايمان في القلب[٦].

يتـابع الامـام(عليه السلام):(جَعَلْتَـهُ مُهَيْمِنـاً عَلـى كُـلِّ كِتـابٍ أَنْزَلْتَـهُ، وَفَضَّـلْتَهُ عَلـى كُلِّ حَديثٍ قَصَصْتَهُ) [٧].

---

[١] في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٥٠، ٥١.

[٢] يُنظر: افاق الروح، فضل الله: ١/ ١٠٤.

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

[٤] عبادة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص١٤٥.

[٥] سورة النساء، الآية: ١٧٤.

[٦] رياض السالكين، علي خان: ٥/ ٤٠٦.

[٧] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

"جعل القران الحكيم مهيمنا ومشرفا على جميع كتبه التي انزلها على انبياءه (عليهم السلام)، فهو يكشف عما حدث فيها من التغيير والتبديل والتحريف من قبل المنحرفين ودعاة الضلال...وفضله على كل كتاب وحديث عُرض فيه لقصص الانبياء وشؤونهم فقد تناول الذكر الحكيم بصورة موضوعية وشاملة أحوالهم وشؤونهم واقتباس العِبر منهم"[١].

وفي الدعاء قبس من مضمون قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الكتاب بالحق مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكتاب وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديث﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القصص بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هذا القرآن وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الغافلين﴾[٤].

"وهو أحسن الحديث لفرط فصاحته ولإعجازه واشتماله على جميع ما يحتاج المكلف إليه من التنبيه على أدلة التوحيد والعدل وبيان أحكام الشرع وغير ذلك من المواعظ و قصص الأنبياء والترغيب والترهيب"[٥].

ثم يوضح الامام (عليه السلام) معنى اخر:(فُرْقاناً فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلالِكَ وَحَرامِكَ، وَقُرآناً أَعْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرائِعِ أَحْكامِكَ، وَكِتاباً فَصَّلْتَهُ لِعِبادِكَ تَفْصيلاً، وَوَحْياً أَنْزَلْتَهُ عَلى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ) [١].

---

[١] عبادة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص١٤٥.

[٢] سورة المائدة، الآية: ٨٤.

[٣] سورة الزمر، الآية: ٢٣.

[٤] سورة يوسف، الآية: ٣.

[٥] تفسير مجمع البيان، لأبي على الفضل بن الحسن الطبرسي(ت: ١١٥٤هـ)، المجمع العالمي لأهل البيت، د. ط، د. ت: ٨/ ٣٤٩.

"إن القـران الكـريم كـان منهجـا ودسـتورا عامـا للحيـاة، فقـد فـرق بـين الحـلال والحـرام، وأعـرب عـن شـرائع الاحكـام، وفصـل جميـع مـا يحتاجـه النـاس تفصيلاً واضحاً لا لبس ولا غموض"[٢].

وفيه إشارة الى قوله تعالى:: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾[٣].

يواصـل الامـام (عليه السلام) فـي اعطـاء معنـى اخـر يتميـز عـن المعـاني الاخـرى في هذا السياق: (وَشِفاءً لِمَنْ أَنْصَتَ بفَهْمِ التَّصْديقِ إلى اسْتِماعِهِ) [٤].

"فجعلـه الله تعـالى شـفاء مـن الامـراض والعاهـات النفسـية وذلـك لمـن امـن وصدق به"[٥].

وقال (عليه السلام):(ميزانَ قِسْطٍ لا يَحيفُ عَنِ الحَقِّ لِسانُهُ) [٦].

والمعنى بالقران تقاس جميع العقائد، والآراء، والاقوال، والافعال [٧].

قـد يقـال: ان دلالـة المعجـزة علـى صـدق دعـوى النبـوة دلالـة إقناعيـه لا برهانية.

الجـواب: "إنّ بَـينَ المعجـزة وبـين صـدق دعـوى النُبـوّة علاقـةً منطقيّـةً؛ لأنـه إذا كـان الآتـي بـالمعجزة صـادقاً فـي دعـواه فـإنّ مـن الطبيعـيّ أنْ يُثْبِـتَ مطلبَـهُ. وإذا كـان كاذبـاً فـي دعـواه النبوة ـ افتراضاً ـ لـم يكـن لائقـاً بـالله الحكـيم الـذي يَهـتَمّ

---

[١] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

[٢] عبادة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص١٤٦.

[٣] سورة فصلت، الآية: ٣.

[٤] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

[٥] عبادة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص١٤٦.

[٦] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

[٧] في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٢٤٤.

بهدايـة عبـادهِ أن يُمكّـنَ الكـاذبَ فـي ادّعـاء النبـوّة مـن الإتيـان بـالمعجزة، لأنّ النـاس سَـيُؤمنون بــه إذا رأوا قدرتــه علــى الإتيــان بالعَمَــل الخــارق للعــادة، وســيَعملون بأقوالِـهِ فيكـونُ ذلِـك إضـلالاً للنـاس إذا كـان المُـدّعي للنبـوّة كاذبـاً، ولا شـكّ أنّ هـذا يتنافى مع عَدلِ الله وحكمته" [١].

والامـام السـجاد (عليه السلام) أشـار إلـى هـذا المعنـى بقولـه: (وَنُـورَ هُـدىً لا يُطْفَـأُ عَنِ الشَّاهِدَينَ بُرْهانُهُ) [٢].

"لمــا شــبه (عليه السلام) البرهــان بالســراج فــي الإضــاءة والإيضــاح نفــى عنــه الطفـوء أو الاطفـاء... والمعنـى: إن برهـان نـور هـدى القـران لا يـزال واضـحًا بيّنًـا للشــاهدين المحتجــين بــه والمبــرهنين علــى مطــالبهم الحقــة بألفاظــه ومعانيــه لا يبطل احتجاجهم به أبداً كما يفيد الفعل المضارع الدال على الاستمرارية"[٣].

---

[١] العقيدة الإسلامية، سبحاني: ١/ ١٢٢.

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

[٣] رياض السالكين، علي خان: ٥/ ٤٠٦.

المبحث الرابع

المعاد

المعاد في اللغة: من العَوْد، وهو تثنية الأمر، عَوداً عن بدءٍ، بدأ ثم عاد، والعَودةُ مرة واحدة، كما يقول مَلَك الموت لأهل الميت: إنَّ لي فيكم عودة حتى لا يبقى منكم أحد، وتقول عادَ فلانٌ معروفهُ، إذا أحسَن ثم زاد.

والحج معاد الحاج إذا ثنوا يقولون في الدعاء: "اللهم ارزقنا الى بيتك معاداً أو عَوداً " وقوله تعالى: ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[1]، يعني مكة[2].

وفي الاصطلاح، المعاد: هو الوجود الثاني للأجسام، وإعادتها للحساب بعد فنائها، وقد أجمع كافة أصحاب الشرائع من اليهود والنصارى وسائر الملیین فضلاً عن إجماع المسلمين عامة على أنه لا بُدَّ في عدل الحكيم تعالى من وقوعه بعد مصافقة الكل على إمكانه، ولم يخالف في ذلك أهل الملل كلها إلَّا بعض الملاحدة من متقدمي الفلاسفة[3].

فهو مما اتفقت على وجوده الشرائع، وقامت عليه البراهين عند العلماء، وإنما اختلفت الشرائع في صفة وجوده، ولم تختلف في صفة وجوده وإنما اختلفت في الشاهدات عليها التي مثلت بها للجمهور تلك الحال الغائبة؛ وذلك إن من الشرائع من جعله روحانياً (أي للنفوس)، ومنها من جعله للأجسام

---

[1] سورة القصص، من الآية: ٨٥.

[2] العين، للفراهيدي: ٤/ ٢٤٩.

[3] يُنظر: نور الأفهام في علم الكلام: ٢/ ٢٠٩، ٢٢٤؛ شرح الباب الحادي عشر: ص ٢٠٧؛ عون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ص ١٠٣٧.

والنفوس معاً، والاتفاق في هذه المسألة مبنيٌ على اتفاق الوحي في ذلك واتفاق قيام البراهين الضرورية عند الجميع على ذلك[١].

فـ "هل تُبعَث الأبدان مع الأرواح! أم تُبعَث الأرواح فقط ؟؛ فهذا هو البحث المشهور في المعاد، والواقع أن المعاد يُطلَق على معانٍ ثلاثة:

أحدها: المعنى المصدري من العَوْد، أي الرجوع الى مكان.

وثانيها: مكان العَوْد.

أمَّا ثالثها: فزمانه، ومآل الكل واحد"[٢].

المعاد الجسماني: يعني أن الله تعالى يعيد الأبدان بعد موتها ويرجعها الى هيئتها الأولى.

والمعاد الروحاني: يُراد به بقاء الروح بعد مفارقة البدن سعيدةً متنعمة، أو معذَبةً شقية بما اكتسبته في الدنيا[٣].

وقد اثبتَ المعاد الحكماء والمليون، إلَّا إنه عند الحكماء روحاني فقط، وعند جمهور المسلمين جسماني فقط بناءً على ان الروح جسم لطيف، وعند المحققين منهم كالغزالي والحليمي والراغب والقاضي وأبي زيد روحاني وجسماني ذهاباً الى تجرد النفس، وعليه أكثر الشيعة والكرامية، وليس بتناسخ؛ لأنه عَودٌ في الدنيا الى بدنٍ ما، وهذا عَودٌ في الآخرة الى بدنٍ من الأجزاء الأصلية للبدن الأول[٤]، أما الإمامية فقد اتفقوا على المعاد الجسماني؛ أما

---

[١] مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد (ت: ٥٩٥هـ)، تقديم وتحقيق: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٩م: ص ٢٤٠.

[٢] آيات العقائد: ص ٤٤٧.

[٣] يُنظر: نور الأفهام في علم الكلام: ٢/ ٢٠٩، ٢٢٤.

[٤] يُنظر: شرح المقاصد: ٨٨/٥؛ شرح الباب الحادي عشر: ص ٢٠٦.

المعـاد الروحـاني فقـد قالـت بـه الإماميـة وعـدد مـن متكلمـي الأشـاعرة، مـنهم الغزالي والقاضي الجويني وآخرون.

قول الإمامية وأدلتهم في إثبات المعاد الجسماني.

المعـاد جسـماني وروحـاني، وقـد أثبـت المليـون المعـاد الروحـاني والجسماني، واتفق المسلمون على أن منكر المعاد خارجٌ عن ربقة الإسلام[١].

لـم يخـالف فـي المعـاد اهـل الملـل كلهـا إلا بعـض الملاحـدة مـن متقـدمي الفلاسـفة، مـع اخـتلاف بيـنهم فـي ذلـك، فهـم بـين قائـلٍ بالامتنـاع الـذاتي، بمعنـى اسـتحالة خلـق غيـر هـذه النشـأة الدنيويـة، وعـدم امكـان ذلـك بنفسـه أصـلاً ورأسـاً، وبـين قائـل بـذلك أيضـاً، لكـن لا مـن جهـة اسـتحالته بذاتـه، أو مـن جهـة قصـور القـدرة الكاملـة عـن ذلـك والعيـاذ بـالله، بـل مـن جهـة اسـتحالة انتهـاء هـذا العـالم الـدنيوي وقـبح إعدامـه أو تبديلـه بعـالم آخـر، بعـد التسـالم علـى اسـتحالة صـدور القبيح منه تعالى[٢].

واختلـف النـاس فـي المكلَـف، مـا هـو! علـى مـذاهب منهـا: قـول مـن يعتقـد أن المكلـف هـو الـنفس المُجـردة، وهـو مـذهب الأوائـل والنصـارى والتناسـخية، والغزالـي مـن الأشـاعرة وابـن الهيـثم مـن الكراميـة وجماعـة مـن الإماميـة والصـوفية، ومنهـا قـول جماعـة مـن المحققـين أنَّ المكلـف هـو أجـزاء أصـلية فـي هـذا البـدن لا يتطـرق اليـه الزيـادة والنقصـان وإنمـا تقعـان فـي الأجـزاء المُضـافة اليهـا؛ علـى ذلـك، فالواجـب فـي المعـاد هـو إعـادة تلـك الأجـزاء الأصـلية، أو الـنفس المجـردة مـع الأجـزاء الأصـلية، أمـا الأجسـام المتصـلة بتلـك الأجـزاء فـلا يجـب

---

[١] يُنظر: نور الأفهام في علم الكلام: ٢/ ٢٠٩؛ شرح الباب الحادي عشر: ص ٢٠٧.

[٢] آيات العقائد: ص ٤٤٨.

إعادتها بعينها[1]، وهو قول الشيخ الطوسي " ولا يجب إعادة فواضل المكلف"[2].

وغرضه رحمه الله بهذا الكلام الجواب عن اعتراض الفلاسفة على المعاد الجسماني وتقرير قولهم إن إنساناً لو أكلَ آخر واغتذى بأجزائه فإن أُعيدت الى الثاني عُدِم الأول أيضاً، وأيضاً ما إن يعيد الله تعالى جميع الأجزاء البدنية الحاصلة من أول العمر الى آخره أو القدر الحاصل له عند موته، والقسمان باطلان.

أما(**الأول**)؛ فلأن البدن دائماً في التحلل والإستخلاف، فلو أُعيد البدن مع جميع الأجزاء منه لزِمَ عِظمه في الغاية، وإنه قد يتحلل منه أجزاء تصير أجساماً غذائية، ثم يأكلها ذلك الإنسان بعينه حتى يصير أجزاء من عضو آخر غير العضو الذي كانت أجزاء له أولاً، فإذا أُعيد أجزاء كل عضوٍ الى عضوه لزِم جعل ذلك الجزء جزءاً من العضوين، وهو مُحال.

و(**الثاني**)؛ فلأنه قد يطيع العبد حال تركبه من أجزاء ثم يتحلل تلك الأجزاء ويعصي في أجزاء أُخرى، فإذا اعيد تلك الأجزاء بعينها وأثابها على الطاعة لزِم إيصال الحق الى غير مستحقه، وتقرير الجواب واحد، وهو أن لكل مكلَّف أجزاء أصلية لا يمكن أن يصير جزءاً من غيرها، بل يكون فواضل من غيره لو إغتذى بها، فإذا اعيدت جُعِلت أجزاء اصلية له

---

[1] كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٨٠.

[2] تجريد العقائد: ص ١٥٣؛ يُنظر: الحاشية على الهيات الشرح الجديد: ص ٤٦٣.

أولاً في تلك الأجزاء، وهي التي تُعاد، وهي باقية من أول العمر الى آخره.[١]

آثار الاعتقاد بالمعاد.

لم يخض الإمام السجاد في المماحكات الكلامية التي نشأت أو ستنشأ لاحقا وإنما نظر بنظرة ثاقبة لما يجب على المسلم التهيؤ له وهو يوقن بقضية المعاد وهو ما أوجزه بالآتي:

أولا: ضرورة العمل في طاعة الله.

نجد فحوى هذا الاثر حاضراً في كلمات الامام السجاد (عليه السلام) حيث ذكر: (ارْزُقْنِي الرَّغْبَةَ فِي العَمَلِ لَكَ لآخِرَتِي حَتّى أعْرِفَ صِدْقَ ذلِكَ مِنْ قَلْبِي)[٢].

"إن وعي العمل من خلال وعي الروح بالرب الذي اعمل له، وجدية الحركة نحو الهدف الذي اسعى اليه، وروحية العبادة بالأفق الرحب الذي اطوف فيه في سبحات الروح، فافكر في الاخرة في كل خطواتي في الدنيا فتكون هي الغاية التي تشدني في كل اعمالي وتدفعني في كل نياتي وتثيرني في كل رغباتي، فتبقى عندي قضايا الدنيا وسيلة للانطلاق فيها الى قضايا الاخرة، لتكون المسؤولية هنا انطلاقة نحو النتائج هناك"[٣].

ثانيا: الابتعاد عن الترف لان رأس المشكلات هي في حرص الانسان على تحقيق الملذات حتى تصل به الى حد الترف.

---

[١] يُنظر: كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد: ص ٣٨١؛ الياقوت في علم الكلام: ص٧١؛ نور الأفهام في علم الكلام: ٢/ ٢٣٧، ٢٣٨.

[٢] الصحيفة السجادية: دعاء: ص٢٢.

[٣] افاق الروح، فضل الله: ١/ ٥٨٣، ٥٨٤.

فيقول الامام(عليه السلام):(وَحَتّى يَكُونَ الغالِبُ عَلَيَّ الزُّهْدُ في دُنْيايَ؛ وَحتّى أعْمَلَ الحَسَناتِ شَوْقاً؛ وَآمَنَ مِنَ السَّيِّئاتِ فَرَقاً) [1].

"تبتعد الرغبة الحسية في الدنيا عن احساسي ليحل محلها الزهد في لذاتها وشهواتها ومنافعها وارباحها وطموحاتها فتكون لذات الاخرة هي اللذات الحقيقية التي يهفو اليها قلبي وارباحها هي الارباح التي تتحرك فيها مشاريعي وطموحاتها هي الطموحات التي تلهب طاقتي وافكاري وخطواتي، انطلاقا من الاحساس بفنا الدنيا وما فيها، وخلود الاخرة وما فيها" [2] .

بل يصرح الامام (عليه السلام) في هذا الاثر ان الوازع النفسي للفرد يبعثه لأن يدعو الله تعالى ان يجنبه الافراد الرديئين ولا يجعل معه اي لذة ويقربه من الافراد الصالحين ليستأنس بهم، يقول(عليه السلام):(اللهم... ٱلْبِسْ قَلْبِيَ الوَحْشَةَ مِنْ شِرارِ خَلْقِكَ؛ وَهَبْ لِيَ الأُنْسَ بِكَ وَبِأَوْلِيآئِكَ وَأَهْلِ طاعَتِكَ، وَلا تَجْعَلْ لِفاجِرٍ وَلا كافِرٍ عَلَيَّ مِنَّةً، وَلا لَهُ عِنْدي يَداً، وَلا بي إلَيْهِمْ حاجَةً، بَل اجْعَلْ سُكُونَ قَلْبي وَأُنْسَ نَفْسِي وَاسْتِغْنآئي وَكِفايَتي بِكَ وَبِخِيارِ خَلْقِكَ) [3].

ثالثا: ضرورة تقويم السلوك.

ويقول (عليه السلام): (اللّهُمَّ وَصَلِّ عَلى أَوْلِيائِهِمُ(اولياء اهل البيت)... وَاجْعَلْنا مَعَهُمْ في دارِ السَّلامِ) [4].

إنّ الإيمان بالمعاد، يقوّم سلوك الفرد على اساس الشعور بوجود المراقب على كل قول او فعل، وهو يعلم السرّ وأخفى، وإنه سيحاسبه على كلّ

---

[1] الصحيفة السجادية: دعاء: ص٢٢.

[2] افاق الروح، فضل الله: ١/ ٥٨٤.

[3] الصحيفة السجادية: دعاء: ٢١.

[4] المصدر نفسه، دعاء: ٤٧.

كبيرة وصغيرة فعلها، ولهذا يبقى المؤمن شاعراً بالمسؤولية، خائفاً من عقاب الله وعذابه. وفي المقابل يرجو ما وعده من جزيل الاحسان.

قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فأولئك هُمُ المفلحون وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأولئك الذين خسروا أَنْفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ﴾[1].

وقال رسول (ﷺ): (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِى الآخِرَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا)[2].

وقد أشبع الامام السجاد(عليه السلام)ادعيته بهذه المفاهيم لما لها من الاثر البالغ في تصحيح سلوك الانسان فأن هذا الاعتقاد يكون محركاً الى الاستقامة وعمل الخيرات، رجاءً في ثواب الآخرة، ورادعاً يحدّ من الأهواء والشهوات و ارتكاب المعاصي، خشيةً ورهبةً من عقاب الآخرة، يقول(عليه السلام):(اللّهُمَّ وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْني خَوْفَ غَمِّ الوَعيدِ؛ وَشَوْقَ ثَوابِ المَوْعُودِ حَتّى أجِدَ لَذَّةَ ما أدْعُوكَ لَهُ، وَكآبَةَ ما أسْتَجيرُ بِكَ مِنْهُ)[3].

فهو انفتاح على الاخرة من خلال وعد الله للمتقين بالجنة ووعيده للعاصين بالنار، لتعيش القضية في عمق الاحساس في الخوف من النار والشوق الى الجنة...وبذلك يستشعر الانسان لذةً في طلباته الاخروية[4].

---

[1] سورة الاعراف، الآية: ٨- ٩.

[2] صحيح مسلم، مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جَزَاءِ الْمُؤْمِنِ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَتَعْجِيلِ حَسَنَاتِ الْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا. باب ١٦، حديث رقم (٥٦): ٤/ ٢١٦٢.

[3] الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٢.

[4] افاق الروح، فضل الله: ١/ ٥٧٣.

وعلى نفس هذه الوتيرة يقول(عليه السلام):(وَأَخِفْنِي مَقامَكَ، وَشَوِّقْنِي لِقاءَكَ)[1].

أي: اجعلني أخاف من مقامك والمراد الحساب كما قال تعالى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[2]. والأصل فيه مقام الحاكم للمحاكمة.(وشوقني لقاءك) بأن أشتاق إلى الآخرة التي فيها لقاء ثوابك[3].

ويقول(عليه السلام):(اجْعَلْ هَيْبَتِي فِي وَعِيدِكَ، وَحَذَرِي مِنْ إِعْذارِكَ وَإِنْذارِكَ)[4].

"الاعذار ابداء العذر ومحو الاساءة والانذار التخويف والمعنى انه يكون خوفي من اعذارك لي بأن لا تفعله بل لا تقبل مني الاعذار يعني اكون في مقام الخوف والحذر ولا اعتمد على انك تقبل عذري فأتجرأ على معاصيك نظرا الى ذلك الاعتماد"[5].

رابعا: تذكير الانسان بمحكمة العدل الالهي.

كما أن "الاعتقاد بالمعاد له دور كبير في شتى الشؤون الحياتية للإنسان، ولا سيما على صعيد تعيين مصيره، فهو نضير الاعتقاد بالتوحيد، والنبوة...فهو يجعل الانسان مؤمن بهدف نبيل غير محدد باطار المادة وهوية

---

[1] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

[2] سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

[3] شرح الصحيفة السجادية، الشيرازي: ص٣٨٧.

[4] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٧.

[5] نور الأنوار، السيد نعمة الله الجزائري: ص ٣٣٧.

خالدة تفوق اطر الحياة الفانية كما انه ذو تأثير لا ينكر على القيم والاصول المثلى"[١].

ذكر الامام السجاد(عليه السلام) ان يوم المعاد هو يوم فصل الخصومات وانتصارا للمظلومين وهو يوم استيفاء الحقوق حيث قال: (اللّهُمَّ وَإِنْ كانَتِ الخِيَرَةُ لي عِنْدَكَ في تَأخيرِ الأَخْذِ لي وَتَرْكِ الانْتِقامِ مِمَّنْ ظَلَمَني إلى يَوْمِ الفَصْلِ وَمَجْمَعِ الخَصْمِ؛ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَأَيِّدْني مِنْكَ بِنِيَّةٍ صادِقَةٍ وَصَبْرٍ دائِمٍ؛ وَأَعِذْني مِنْ سُوءِ الرَّغْبَةِ وَهَلَعِ أَهْلِ الحِرْصِ وَصَوِّرْ في قَلْبي مِثالَ مَا ادَّخَرْتَ لي مِنْ ثَوابِكَ؛ وَأَعْدَدْتَ لِخَصْمي مِنْ جَزائِكَ وَعِقابِكَ وَاجْعَلْ ذلِكَ سَبَباً لِقَناعَتي بِما قَضَيْتَ، وَثِقَتي بِما تَخَيَّرْتَ) [٢].

"المعنى: اجعل صورة ما أعددته لي وقت الحاجة إليه من ثوابك وجزائك على الصبر على مظلمتي، وهيّأته لظالمي من عقابك وانتقامك، حاصلة في عقلي، وصيّر ذلك سببا لحصول رضاي بالذي قضيته وحكمت به لي، واعتمادي على ما اخترته لي من تأخير الأخذ لي وترك الانتقام ممّن ظلمني، إلى يوم الفصل ومجمع الخصم"[٣].

النتيجة ان الإمام يؤكّد أن خير ما يحمله المرء إلى آخرته هو التقوى، والنية الصادقة والقناعة والثقة بأن الناس مدينون بما فعلوا، ومُرتَهنون بما كسبوا، يوم يعرضون على ربهم للحساب وذلك يمنع من انتشار الفساد والخيانة، والكذب، ويسهم في إرساء أُسس الصلاح بين الناس والصدق والاستقرار الاجتماعي.

---

[١] الكلام الاسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروپناه: ٣/ ٢٦٤.

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ١٤.

[٣] رياض السالكين، علي خان: ٣/ ٧٠.

١. تحقيق العدالة الالهية.

من المعلوم أن هذه الحياة الدنيا...ونسبتها إلى الكامل والناقص والمؤمن والكافر على السواء فمن أجاد العمل ووافقته الأسباب المادية فاز بطيب العيش ومن كان على خلاف ذلك لزمه الشقاء وضنك المعيشة. فلو كانت الحياة مقصورة على هذه الحياة الدنيوية...كان ذلك منافيا للعناية الإلهية بإيصال كل ذي حق حقه وإعطاء المقتضيات ما تقتضيه. وإن شئت فقل: تسوية بين الفريقين وإلغاء ما يقتضيه صلاح هذا وفساد ذلك خلاف عدله تعالى[١].

بعبارة اخرى: الناس على صنفين:

الاول: سلكوا طريق امتثال اوامر الله تعالى ونواهيه.

الثاني: سلكوا طريق المعصية والفساد.

فلا يخلوا الامر من أحد وجوه: فإما يهملهم المولى جل وعلا، أو يسوي بينهم، أو يفرق، والتفرقة على نحوين: إما يثيب العاصي ويعاقب الممتثل أم يثيب الممتثل ويعاقب العاصي. فالأول عبث والثاني والنحو الاول من الثالث خلاف العدل فتعين النحو الثاني من الوجه الثالث، وهو مقتضى العدل الالهي؛ لكنه غير متحقق في هذه الدنيا؛ فلا بد ان تكون نشأة اخرى[٢].

وهذا الدليل هو الآخر له ما يدعمه من القرآن الكريم حيث قال تعالى:﴿أَمْ نَجْعَلُ الذين ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات كالمفسدين في الأرض أَمْ نَجْعَلُ المتقين كالفجار﴾[٣].

---

[١] يُنظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطبطبائي، منشورات اسماعيليان، د. ط، د. ت: ١٧/ ١٨١.

[٢] يُنظر: بداية المعرفة، العاملي: ص٢٠٠.

[٣] سورة ص، الآية: ص ٢٨.

"إن من سلط الظالم على المظلوم ثم إنه لا ينتقم منه فذاك إما للعجز أو للجهل أو لكونه راضياً بذلك الظلم، وهذه الصفات الثلاث على الله تعالى محال، فوجب أن ينتقم للمظلومين من الظالمين، ولما لم يحصل هذا الانتقام في دار الدنيا وجب أن يحصل في دار الأخرى بعد دار الدنيا"[١].

إن المعاد وإثابة النفوس المطيعة وعقوبة النفوس العاصية ممَّا يعلم بالعقل كما يعلم بالسمع كما دلَّ عليه القرآن في غير موضع[٢].

وقد زخرت الصحيفة السجادية، بالمعانٍ اللطيفة، والمعارف المهمّة، تزيد القارئ قرباً إلى الله، وصلابة في الاعتقاد بالمعاد واليوم الاخر نذكر منها اهم ما تطرق اليه الامام السجاد(عليه السلام) حيث قال: (وَهَبْ لَنا يَا إلهي مِنْ لَدُنْكَ فَرَجاً بِالقُدْرَةِ الَّتِي بِها تُحْيِي أَمْوَاتَ العِبادِ، وَبِهَا تَنْشُرُ مَيْتَ البِلادِ) [٣].

"بعد اثبات ان الله عز وجل ذو قدرة مطلقة وغير متناهية على اساس اسمائه الحسنى وصفاته الجلالية بحيث تعم قدرته عالم الممكنات بمادياته ومجرداته، بطبيعة الحال يمكن اثبات كل ما يترتب على هذه العمومية من قضايا، لذا بما ان عالم الحشر والحياة بعد الممات جزء من عالم الممكنات فهو مشمول ايضا بهذه القاعدة"[٤].

ولا يخفى ان الاشارة الى مفاد هذا المضمون قد تقدم ضمنا في تناول الآيات القرآنية لأثبات المعاد من خلال قدرته تعالى، وعلى غرار فحوى هذا

---

[١] مفاتيح الغيب، الرازي: ٧/ ٧٤.

[٢] يُنظر: رفع الاستار لإبطال أدلة فناء النار، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الصنعاني(ت: ١١٨٢هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الاسلامي، بيروت، د. ط، ١٤٠٥هـ: ص١٢١.

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٨.

[٤] الكلام الاسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروپناه: ٣/ ٢٦٤.

الخطاب يقول(عليه السلام):(وَإذا انْقَضَتْ أيّامُ حَياتِنا، وَتَصَرَّمَتْ مُدَدُ أعْمارِنا؛ وَاسْتَحْضَرتْنا دَعْوَتُكَ الَّتي لا بُدَّ مِنْها وَمِنْ إجابَتِها) [1].

إن حتمية الاجابة متفرع عن قدرة الله تعالى وقاهريته، فالدعوة محسومة وكذلك الاجابة محسومة التي لا مجال فيها، لأنها سنة الله تعالى على الانسان.

وفي صورة اخرى يرسمها الامام السجاد (عليه السلام)عن المعاد بقوله:(يا رَحْمنَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهُما) [2]. وقوله(عليه السلام):(مَوْلايَ وَارْحَمْني في حَشْرِي وَنَشْرِي، وَاجْعَلْ في ذلِكَ اليَوْمِ مَعَ أَوْلِيائِكَ مَوْقِفي وَفي أحِبّائِكَ مَصْدَرِي، وَفي جِوارِكَ مَسْكَني يا رَبَّ العالَمينَ)[3].

"اختلاف العبارات باختلاف الاعتبارات فعند اعتبار الرحمن أبلغ من الرحيم لدلالة زيادة المباني على زيادة المعاني، واعتبار الأبلغيّة فيه باعتبار الكميّة نظرا إلى كثرة أفراد المرحومين، عبّر برحمن الدنيا ورحيم الآخرة لشمول رحمة الدنيا للمؤمن والكافر، واختصاص رحمة الآخرة بالمؤمن"[4].

احدى اهم مظاهر المعاد هي الرحمة الالهية. حيث استحصال الاجور من الله تعالى للممتثلين لأوامره بجزيل العطاء.

"لولا الحياة الاخروية لما تمكن الصالحون من جني ثمار اعمالهم الصالحة التي بدرت منهم في الحياة الدنيا بإرادتهم واختيارهم، لذا ان انتفت الحياة الاخرة سوف يُقدح برحمة الله التي وسعت كل شيء والتي هي من

---

[1] الصحيفة السجادية، دعاء: ١١.

[2] الصحيفة السجادية، دعاء: ٥٤.

[3] المصدر نفسه، دعاء: ٥٣.

[4] رياض السالكين، علي خان: ٧/ ٤١٩.

الصفات الكمالية، لذا يمكن اثبات تحقق المعاد على اساس مقتضى الرحمة الالهية"[1].

والى المدرك هذا المعنى يقول(عليه السلام): (وَلَوْ كافَأتَ المُطيعَ عَلى ما أَنْتَ تَوَلَّيْتَهُ لأَوْشَكَ أَنْ يَفْقِدَ ثَوابَكَ، وَأَنْ تَزُولَ عَنْهُ نِعْمَتُكَ، وَلكِنَّكَ بِكَرَمِكَ جازَيْتَهُ عَلَى المُدَّةِ القَصِيرةِ الفانِيَةِ بِالمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ الخَالِدَةِ، وَعَلى الغايَةِ القَرِيبَةِ الزَّائِلَةِ بِالغايَةِ المَدِيدَةِ الباقِيَةِ) [2].

"ما من شك ان القائم الدائم افضل واعظم من الراحل الزائل، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ الله بَاقٍ﴾[3]"[4].

وفي مقطوعة رائعة ينقلنا الامام السجاد(عليه السلام) لمعنى اخر:(ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ في الحَياةِ أَجَلاً مَوْقُوتاً، وَنَصَبَ لَهُ أَمَداً مَحْدُوداً، يَتَخَطَّى إِلَيْهِ بِأَيَّامِ عُمُرِهِ، وَيَرْهَقُهُ بِأَعْوامِ دَهْرِهِ، حَتَّى إذا بَلَغَ أَقْصى أَثَرِهِ؛ وَاسْتَوعَبَ حِسابَ عُمُرِهِ، قَبَضَهُ إلى ما نَدَبَهُ إليه مِنْ مَوْفُورِ ثَوابِهِ، أَوْ مَحْذُورِ عِقَابِهِ، لِيَجْزِيَ الَّذين أَساءُوا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذين أَحْسَنُوا بِالحُسْنى، عَدْلاً مِنْهُ تَقَدَّسَتْ أَسْماؤُهُ، وَتَظاهَرَتْ آلاؤُهُ) [5].

"كانت الحياة الدنيا للعمل، وتبقى الحياة الاخرة للجزاء، لتنطلق المسألة معها في نطاق التكامل بين المقدمة والنتيجة، ليحصل المحسنون على الثواب الجزيل من خلال احسانهم، وليُعاقب المسيئون بالعقاب الشديد جزاء أساءتهم،

---

[1] الكلام الاسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروپناه: ٣/ ٣٠٦.

[2] الصحيفة السجادية، دعاء: ٣٧.

[3] سورة النحل، الآية: ٩٦.

[4] في ظلال الصحيفة السجادية، مغنية: ص٢٢٧.

[5] الصحيفة السجادية، دعاء: ١.

فذلك هو العدل الذي يحركه في اعمال عباده، في مواجهتهم للمسؤولية العملية في كل حركة حياتهم"[١].

ويمكن من خلال التصريح بالعدل المذكور في هذه المقطوعة البرهنة على المعاد وهو ما تقدم بيانه في الاستدلال على المعاد عقلاً. بل يمكن افادت مفهوم الحكمة من هذه المقطوعة ايضاً وان المعاد له غرض، وليس عبثا، حيث ان الانسان لم يُترك سدىً؛ بل يصل الانسان الى نهاية هو رسمها من خلال اعماله.

"والعدل الحكيم يقتضي بصريح العقل أن يفرّق بين المحسن والمسيء والمظلوم والظالم... ولما كانت هذه الدّار ليست محلا لهذه التّفرقه؛ بل هي دار الاكتساب والابتلاء كما نرى أزهد النّاس وأعلمهم مبتلى بالآفات والبليّات وأفسقهم وأجهلهم في أتمّ اللّذات والمسرّات وجب بمقتضى عدله وحكمته أن تكون دار أخرى ينتقل إليها الفريقان وهي دار الجزاء فيجزي كلا بما عملوا ولا يظلم ربّك أحدا"[٢].

يقول الامام(عليه السلام): (فَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ السَّعادَةِ خَتَمْتَ لَهُ بِها، وَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقاوَةِ خَذَلْتَهُ لَها) [٣].

ونستطيع استخراج مفهوم اخر لأثبات المعاد من الصحيفة السجادية من خلال وعد الله تعالى حيث ذكر الامام السجاد(عليه السلام): (يا مَنْ وَعَدَهُمْ عَلى نَفْسِهِ بِتَفَضُّلِهِ حُسْنَ الجَزآءِ)[٤].

---

[١] افاق الروح، فضل الله: ١/ ٢٥.

[٢] رياض السالكين، علي خان: ١/ ٣٠٠.

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٦.

[٤] الصحيفة السجادية، دعاء: ١٢.

وفيه وعد للصالحين والممتثلين اوامره بالتفضل عليهم بالجزاء الحسن وفيه اشارة الى قوله تعالى: ﴿والله عِندَهُ حُسْنُ الثواب﴾[1].

"يكون ذلك الثواب في غاية الشرف لأنه تعالى لما كان قادرا على كل المقدورات، عالما بكل المعلومات، غنياً عن الحاجات، كان لا محالة في غاية الكرم والجود والاحسان، فكان عنده حسن الثواب"[2].

وقال(عليه السلام): (فَسَمَّيْتَ دُعاءَكَ عِبادَةً، وَتَرْكَهُ اسْتِكْباراً وَتَوَعَّدْتَ عَلى تَرْكِهِ دُخُولَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ) [3].

"إنّ العبادة إظهار غاية التذلّل ولا أعظم في ذلك من الدعاء والسؤال المحقّق للحاجة والافتقار والخضوع والانكسار وإنّما سمّى تركه استكبارا لما فيه من التعظّم وعدم الإذعان له بالفاقة إليه عزّ وجلّ، كان التارك له أظهر من نفسه ما ليس له وهو الغنى عن ربّه سبحانه وهذا حقيقة الاستكبار المذموم"[4].

وفيه وعد للمستكبرين والعاصين اوامره بالدخول في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[5].

---

[1] سورة ال عمران، الآية: ١٩٥.

[2] مفاتيح الغيب، الرازي: ٥/ ٢٦.

[3] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٥.

[4] رياض السالكين، علي خان: ٦/ ١٤٦، ١٤٧.

[5] سورة ابراهيم، الآية: ٤٦- ٥٠.

يقول (عليه السلام): (اللّهُمَّ وَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْني خَوْفَ غَمِّ الوَعيدِ؛ وَشَوْقَ ثَوابِ المَوعُودِ حَتّى أجِدَ لَذَّةَ ما أدْعُوكَ لَهُ) [١].

ويقول(عليه السلام): (اللّهُمَّ إنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نارٍ تَغَلَّظْتَ بِها عَلى مَنْ عَصاكَ، وَتَوَعَّدْتَ بِها مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضاكَ) [٢].

والى فحوى هذا الدليل يمكن استفادته من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وعْدَ الله حَقٌّ والساعة لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا الساعة﴾[٣].

اذن هذا الدليل مرتكز على مقدمتين:

المقدمة الاولى: ان الله تعالى وعد المطيعين بالثواب والمسيئين بالعقاب في المعاد.

المقدمة الثانية: ان الله لا يخلف الوعد ابدا

اذن المعاد متحقق لا محالة[٤].

"أن الله تعالى وعد بالثواب وتوعد بالعقاب مع مشاهدة الموت للمكلفين، فوجب القول بعودهم ليحصل الوفاء بوعده ووعيده"[٥].

٢. الموت سنّة الهية.

مما تقدم يمكن القول بأن الموت هو نهاية هذه الحياة و بداية الحياة الاخرى، وان الموت سنّة الهية شمولية، بحيث يطرأ على كل نفس في هذه

---

[١] الصحيفة السجادية، دعاء: ٢٢.

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٥.

[٣] سورة الجاثية، الآية: ٣٢.

[٤] يُنظر: بداية المعارف الالهية، السيد محسن الخرازي: ٢/ ٢٦٩.

[٥] كشف المراد، العلامة الحلي: ص٥٤٩.

الحيـاة الـدنيا، وهـو صـريح قولـه تعـالى: ﴿كُـلُّ نَفْـسٍ ذَآئِقَـةُ المـوت ثُـمَّ إِلَيْنَـا تُرْجَعُونَ﴾[١].

بـل يصـرح بعـدم وجـود أي اسـتثناء مـن هـذه السـنّة حتـى للنبـي الاكـرم (ﷺ)، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾[٢].

قَـالَ رَسُـول الله (ﷺ): (يَـا أَيهَـا النَّـاس أذكـروا الله، جَـاءَت الراجفـة، تتبعهـا الرادفة، جَاءَ الْمَوْت بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْت بِمَا فِيهِ) [٣].

وقـد أعـرب الامـام السـجاد (عليه السلام) عـن حتميـة المـوت فـي جملـة مـن أدعيتـه فـي الصـحيفة السـجادية حيـث قـال:(سُـبْحانَكَ قَضَـيْتَ عَلـى جَمِيـعِ خَلْقِكَ المَوتَ: مَـنْ وَحَّدَكَ وَمَنْ كَفَرَ بِكَ، وَكُلٌّ ذائِقُ المَوْتِ، وَكُلٌّ صائِرٌ إِلَيْكَ) [٤].

"إن الله تعـالى بسـط المـوت علـى جميـع خلقـه، فكلهـم صـائرون اليـه، ليجزي الذين احسنوا بالحسنى، ويجزي الكافرين بما كسبت أيديهم"[٥].

ويقـول(عليه السلام):(وَإذا انْقَضَـتْ أيّـامُ حَياتِنـا، وَتَصَـرَّمَتْ مُـدَدُ أعْمارِنـا؛ وَاسْتَحْضَرتْنا دَعْوَتُكَ الَّتي لا بُدَّ مِنْها وَمِنْ إجابَتِها) [٦].

---

[١] سورة العنكبوت، الآية: ٥٧.

[٢] سورة الزمر، الآية: ٣٠.

[٣] سـنن الترمـذي، الترمـذي، بـاب اذكـروا الله. (١٩)، حـديث رقـم (٢٤٥٧): ٤/ ٦٣٦. سـنن الترمـذي، محمد بـن عيسـى بـن سَـوْرة بـن موسـى بـن الضـحاك، الترمـذي، أبـو عيسـى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيـق وتعليـق: أحمـد محمد شـاكر، واخـرون، شـركة مكتبـة ومطبعـة مصـطفى البـابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

[٤] الصحيفة السجادية، دعاء: ٥٢.

[٥] عبادة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص٣٢١.

[٦] الصحيفة السجادية، دعاء: ١١.

"عندما تنقضي أيام حياتنا، وتتقطع مدد اعمارنا، وتأتي الساعة الأخيرة، وتنطلق الدعوة من الله الى ان ننتقل من دار الدنيا الى دار الاخرة... وهي الدعوة الحاسمة التي لا مجال للعباد الا من اجابتها، لأنها سنّة الله في الكون، الذي قضى على جميع عباده بالموت، وكلهم صائر اليه"[١].

وينسب إلى الشافعي: رجال أن أموت فإنْ أمت... فتلكَ سبيل لستُ فيها بأوْحَدِ[٢].

الامر الثاني: جهل الانسان بوقت ومكان موته.

وهو مقتضى الحكمة الالهية وذلك لوجهين:

١. ان الباعث الى العمل في الحياة، هو الامل فيها ولولاه لما ارضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجرة.

يقول الامام السجاد(عليه السلام):(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنا طُولَ الأَمَلِ، وَقَصِّرْهُ عَنَّا بِصِدْقِ العَمَلِ) [٣].

٢. لو علم الانسان ذلك لترك التمرد والتجري، فلا يعد ذلك كمالا روحياً، بخلاف ما لو ترك المعصية وهو يرجو العيش طويلا فأنه يكشف عن كمال روحي[٤].

القران الكريم والسنة المطهرة صرحت بهذا وان الموت يأتي مفاجئ.

قال تعالى:﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخآئضين وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدين حتى أَتَانَا اليقين﴾[١].

---

[١] افاق الروح، فضل الله: ١/ ٢٩٥.

[٢] التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٥/ ٢٣١،

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٠.

[٤] يُنظر: الإلهيات، جعفر سبحاني: ٤/ ٢٣١.

"حتى أتانا اليقين: أي الموت"[٢].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [٣].

وقال رسول الله (ﷺ):(مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [٤].

واشار الامام السجاد(عليه السلام) الى هذا المعنى بقوله:(وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ...ميتَةٍ عَلَى غَيْرِ عُدَّةٍ) [٥].

قدر لنا الموت كنهايةٍ حتميةٍ لحياتنا، وجعل لها اجلاً محدوداً لا يتقدم ولا يتأخر، ولكن اخفي عنا مما جعلنا ننتظره في كل وقت، وطلبت يا رب الينا ان نستعد له...غير انا قد نغفل فننسى الموت وننسى الاستعداد لما بعده، فيفاجئنا على غير استعداد[٦].

وفي سنى هذا السياق يقدم الامام صورة واضحة يقول:(وَهَوِّنْ بِالقُرآنِ عِنْدَ المَوْتِ عَلى أَنْفُسِنا كَرْبَ السِّياقِ وَجَهْدَ الأَنينِ، وَتَرادُفَ الحَشارِجِ إذا بَلَغَتِ النُّفُوسُ التَراقِيَ وَقيلَ مَنْ راقٍ؟ وَتَجَلّى مَلَكُ المَوْتِ لِقَبْضِها مِنْ حُجُبِ الغُيُوبِ

---

[١] سورة المدثر، الآية: ٤٥- ٤٧.

[٢] مفاتيح الغيب، الرازي: ١١/ ١٧٠.

[٣] سورة ق، الآية: ١٩.

[٤] صحيح البخارى، البخاري، كتاب تفسير القران (٦٥)، سورة الانعام: باب (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ) حديث رقم (٤٦٢٧): ١/ ٨١٦.

[٥] الصحيفة السجادية، دعاء: ٨.

[٦] يُنظر: افاق الروح، فضل الله: ١/ ٢٥٣.

وَرَماها عَنْ قَوْسِ المَنايا بِأَسْهُمِ وَحْشَةِ الفِراقِ وَدَافَ لَها مِنْ ذُعافِ المَوْتِ كَأساً مَسْمُومَةَ المَذاقِ) [١].

والحشارج: جمع حشرجة، وهي الصوت الذي يردّده المريض في حلقه عند الموت. والحجب: جمع حجاب وهو السّتر. والغيوب: جمع غيب، استعمل فيما غاب عن العلم والعقل، وفيما غاب عن الذكر أيضا. ولمّا كان ملك الموت غائبا عن أكثر الناس بجميع هذه المعاني جاء به بلفظ الجمع[٢].

٣. العفو والمغفرة.

يعد هذا الموضوع تمهيدا لموضوع التوبة والشفاعة وملخصه هو ان ينسب الى الله تعالى العفو فكانه تعالى لا يهمل العبد فيلقي ما عنده من الذنب ويتركه بلا ذنب والمغفرة متشعبة عليه وفقاً لاعتبار قوله تعالى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا﴾[٣]. وقال أيضاً: ﴿وكان الله عفوا غفورا﴾[٤].

يتبين ان العفو والمغفرة وان كانا مختلفين في الألفاظ الا انهما متقاربان المعنى وبينهما من الفرق أن العفو ترك المؤاخذة بالذنب والمغفرة تقتضي مع ذلك الستر والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام متفرعا احدهما على الاخر بحسب العناية الإلهية[٥].

---

[١] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

[٢] يُنظر: رياض السالكين، علي خان: ٥/ ٤٧١ - ٤٧٣.

[٣] سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

[٤] سورة النساء، الآية: ٩٩.

[٥] يُنظر: ماذا بعد الموت، محمد حسين الطباطبائي(ت: ١٩٨١م)، مؤسسة المحبين، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ: ص١٥٥-١٥٧.

"إن العفو أن يسقط عنه العقاب، والمغفرة أن يستر عليه جرمه صوناً له من عذاب التخجيل والفضيحة، كأن العبد يقول: أطلب منك العفو وإذا عفوت عني فاستره علي فإن الخلاص من العذاب إنما يطيب إذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة، والأول: هو العذاب الجسماني، والثاني: هو العذاب الروحاني، فلما تخلص منهما أقبل على طلب الثواب، وهو أيضاً قسمان: ثواب جسماني وهو نعيم الجنة ولذاتها وطيباتها، وثواب روحاني وغايته أن يتجلى له نور جلال الله تعالى"[١].

يرسم الامام السجاد(عليه السلام) صورة في اغلب مقاطع الصحيفة في غاية الروعة عن العفو والمغفرة فيقول عن المغفرة مستشهداً بآيةٍ من الذكر الحكيم:(اللَّهُمَّ إِنِّي وَجَدْتُ فِيما أَنْزَلْتَ مِنْ كِتابِكَ، وَبَشَّرْتَ بِهِ عِبادَكَ أَنْ قُلْتَ:﴿يَا عِبادِيَ الَّذينَ أَسْرَفُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[٢]. وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنِّي مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَيا سَوْأتا مِمَّا أَحْصاهُ عَلَيَّ كِتابُكَ، فَلَوْلا المَواقِفُ الَّتِي أُؤمِّلُ مِنْ عَفْوِكَ الَّذي شَمَلَ كُلَّ شَيْءٍ لأَلْقَيْتُ بِيَدي)[٣].

ربما يتوهم ان تشريع العفو والمغفرة اغراء بالمعصية وتحريضاً على ترك الطاعة. ولكنه توهم ساقط من اصله، فانه لو كان باب العفو والمغفرة موصداً في وجه العصاة واعتقد المجرم بان العصيان مرة واحدة، يدخله في عذاب الله، فلا شك انه سيتمادى في اقتراف السيئات، معتقداً بانه لا تأثير فيما

---

[١] مفاتيح الغيب، الرازي: ٤/ ٨٩.

[٢] سورة الزمر، الآية: ٥٣.

[٣] الصحيفة السجادية، دعاء: ٥٠.

لـو غيـر حالـه الـى الاحسـن، امـا لـو علـم بـأن بـاب العفـو والمغفـرة مفتوحـاً فهـذا يعطيه الامل بترك الذنب وفعل الطاعة[١].

بنـاءً علـى هذا فـأن العفو الالهـي هـو الـذي يقينـا مـن الوقـوع فـي حالـة اليـأس والقنـوط يقـول الامـام السـجاد (عليه السلام):(اللّهُـمَّ إنْ تَشَـأ تَعْـفُ عَنّـا فَبِفَضْـلِكَ؛ وَإنْ تَشَـأ تُعَـذِّبْنا فَبِعَـدْلِكَ، فَسَـهِّلْ لَنـا عَفْـوَكَ بِمَنِّـكَ؛ وَأجِرْنـا مِـنْ عَـذابِكَ بِتَجـاوُزِكَ؛ فإنـه لا طاقَةَ لَنا بِعَدْلِكَ، وَلا نَجاةَ لِأحَدٍ مِنا دُونَ عَفْوِكَ) [٢].

"ومـن المقطـوع بـه الـذي لـيس فيـه ادنـى شـك ان الامـام السـجاد (عليه السلام) لـم يخـالف الله طرفـة عـين، ولـم يقتـرف أي ذنـب، وانمـا كـان فـي الرعيـل الاول مـن هـذه الامـة فـي هديـه وورعـه وتقـواه، وانمـا كـان يـدعو الله تعـالى بهـذه الكلمـات وامثالهـا ليرشـد الامـة الـى طريـق الخيـر والصـواب، ويـدعوها الـى التوبـة لأنهـا تطهـر الانسـان ممـا اقترفـه فـي حياتـه مـن آثـام وذنـوب، وينـال مـن الله المغفـرة والرضوان" [٣].

أسباب العفو والمغفرة:

١. التوبة:

يقـول الامـام السـجاد(عليه السلام):(أَنْـتَ الَّـذي فَتَحْـتَ لِعِبـادِكَ بابـاً إلـى عَفْـوِكَ، وَسَـمَّيْتَهُ التَّوْبَـةَ، وَجَعَلْـتَ عَلَـى ذَلِـكَ البـابِ دَليلاً مِـنْ وَحْيِـكَ لِـئَلاّ يَضِـلُّوا عَنْـهُ، فَقُلْـتَ تَبارَكَ اسْمُكَ: تُوبوُا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) [٤].

---

[١] يُنظر: الإلهيات، جعفر سبحاني: ٤/ ٣٢٣.

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ٥٠.

[٣] عبادة الامام زين العابدين، باقر شريف القرشي: ص١٥٧.

[٤] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٥.

والتوبة لغةً: "(توب) التاء والواو والباء كلمةٌ واحدةٌ تدلُّ على الرُّجوع. يقال تابَ مِنْ ذنبه، أي رَجَعَ عنه يتوب إلى الله تَوبةً ومَتَاباً، فهو تائب. والتَّوْبُ: التَّوبة"[١].

اصطلاحاً: "إنها عبارة عن الندم مما ارتكب فيما مضى من المعاصي والعزم على تركها في الاتي، أو تقول: إنها عبارة عن تنزيه القلب عن الرذائل وما يوجب البعد عن المولى عز وجل، والرجوع إلى ما يوجب القرب وتدارك ما فات منه من الكمال"[٢].أو "هي عبارة عن ندم يورث عزماً وقصداً"[٣].

والآيات الشريفة الدالة على التوبة والتي تحث عليها كثيرة جداً في القران ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الذي يَقْبَلُ التوبة عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُواْ عَنِ السيئات﴾[٤].

وقوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [٥].

وقد اشار الامام السجاد (عليه السلام) الى الآيتين في قوله: (وَقَدْ قُلْتَ يا إلهي في مُحْكَمِ كِتابِكَ، أَنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِكَ، وَتَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ، وَتُحِبُّ التَّوّابِينَ، فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَما وَعَدْتَ، وَاعْفُ عَنْ سَيِّئاتِي كَما ضَمِنْتَ)[١]

---

[١] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ١/ ٣٥٧، باب التاء والواو وما يثلثهما؛ يُنظر: لسان العرب، ابن منظور: ١/ ٢٣٣، مادة توب.

[٢] القواعد الفقهية، محمد حسن البجنوردي (ت: ١٣٥٩)، تحقيق: مهدي المهريزي ومحمد حسين، نشر الهادي، قم، د. ط، ١٤١٩هـ: ٧/ ٣٢٦.

[٣] إحياء علوم الدين، الغزالي: ٤/ ٣٤.

[٤] سورة غافر، الآية: ٣.

[٥] سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

أركان التوبة:

تبين مما تقدم فان حد التوبة يحتوي على ركنين اساسيين:

الركن الاول: الندم ازاء ارتكاب المعاصي والذنوب والآثام.

يقول الامام(عليه السلام):(أتُوبُ إليك في مَقامي، هذا تَوْبَةَ نادِمٍ عَلَى ما فَرَطَ مِنْهُ) [٢].

الركن الثاني: العزم على ان يترك المعاصي وان لا يعود اليها، وان يتعهد على ذلك.

قال الامام(عليه السلام):(اللّهُمَّ إنّي أَتُوبُ إِلَيْكَ في مَقامِي هَذا مِنْ كَبائِرِ ذُنُوبِي وَصَغائِرِها، وَبَواطِنِ سَيِّئاتِي وَظَواهِرِها، وَسَوالِفِ زَلاّتِي وَحَوادِثِها، تَوْبَةَ مَنْ لا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ وَلا يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ... وَلَكَ يا رَبِّ شَرْطِيَ أَلاّ أَعُودَ في مَكْرُوهِكَ، وَضَمانِي أَنْ لا أَرْجِعَ في مَذْمُومِكَ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجُرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ) [٣].

وقد جمع الامام(عليه السلام) الركنين بقوله: (اللّهُمَّ إِنْ يَكُنِ النَّدَمُ تَوْبَةً إِلَيْكَ فَأَنَا أَنْدَمُ النَّادِمِينَ، وَإِنْ يَكُنِ التَّرْكُ لِمَعْصِيَتِكَ إِنابَةً فَأَنَا أَوَّلُ المُنِيبِينَ) [٤].

مجال التوبة:

"لا تقتصر التوبة على ارتكاب الذنوب والمعاصي والآثام، بل ينبغي التوبة من جميع ما يخالف ارادة الله او الانحراف عن محبته تعالى من قبيل

---

[١] الصحيفة السجادية، دعاء: ٣١. (وقد افرد هذا الدعاء لطلب التوبة) .

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ١٢.

[٣] المصدر نفسه: دعاء: ٣١.

[٤] المصدر نفسه.

خطـرات القلـب كـالأهواء والميـول والامـاني والرغبـات المذمومـة، ومـن قبيـل خائنة العين وزلات اللسان"[١].

يقـول الامـام(عليه السلام): (اللّهُمَّ وَإِنِّـي أَتُـوبُ إِلَيْـكَ مِـنْ كُـلِّ مـا خَـالَفَ إِرَادَتَـكَ، أَوْ زَالَ عَنْ مَحَبَّتِكَ مِنْ خَطَرَاتِ قَلْبِي وَلَحَظَاتِ عَيْنِي، وَحِكاياتِ لِسَانِي) [٢].

زمان التوبة:

ومن الأهمية بمكان الإجابة عن هذا السؤال وهو: متى يتوب الانسان؟

وللإجابـة عـن هـذا السـؤال يقـول رَسُـولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله): مَـنْ تَـابَ قَبْـلَ مَوْتِـهِ بِسَـنَةٍ تَـابَ اللَّهُ عَلَيْـهِ ثُـمَّ قَـالَ سَـنَةٌ كَثِيـرٌ مَـنْ تَـابَ قَبْـلَ مَوْتِـهِ بِشَـهْرٍ تَـابَ اللَّهُ عَلَيْـهِ ثُـمَّ قَـالَ شَـهْرٌ كَثِيـرٌ مَـنْ تَـابَ قَبْـلَ مَوْتِـهِ بِجُمُعَـةٍ تَـابَ اللَّهُ عَلَيْـهِ ثُـمَّ قَـالَ جُمُعَـةٌ كَثِيـرٌ مَـنْ تَـابَ قَبْـلَ مَوْتِـهِ بِيَـوْمٍ تَـابَ اللَّهُ عَلَيْـهِ ثُـمَّ قَـالَ يَـوْمٌ كَثِيـرٌ ثُـمَّ قَـالَ مَـنْ تَـابَ قَبْـلَ مَوْتِـهِ بِسَـاعَةٍ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يُغَرْغِرَ بِالْمَوْتِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ)[٣].

بيـد انـه قـد تقـدم ان المـوت مجهـول وقتـه عنـد الانسـان، ويـأتي بشـكل مفاجئ، فينبغي التعجيل بالتوبة، لخوف الفوت.

يقول الامام السجاد(عليه السلام):(وَإِنَّما يَعْجَلُ مَنْ يَخافُ الفَوْتَ) [٤].

---

[١] معارف الصحيفة السجادية، الشيخ علاء الحسون: ص٩٣.

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ٣١.(وقد افرد هذا الدعاء لطلب التوبة) .

[٣] الكـافي، الكلينـي، بـاب فيمـا اعطـى الله عـز وجـل آدم عليـه السـلام وقـت التوبـة، حـديث رقـم (٢): ٤٤٠/٢؛ بغيـة الباحـث عـن زوائـد مسـند الحـارث بـن أبـي أسـامة (ت: ٢٨٢هـ)، نـور الـدين الهيثمـي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيـق: د. حسـين أحمـد صـالح البـاكري، مركـز خدمـة السـنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، د. ط، ١٤١٣هـ: ١/ ٢٢١.

[٤] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٨.

"فـأن العجلـة إمـا مـن الخـوف أو مـن الاحتيـاج، وكلاهمـا منفيـان بالنسـبة إليه تعالى، وثابتان للإنسان"[١].

وقـال الامـام (عليه السلام):(بَـلْ أَقُـولُ: مَقـالَ العَبْـدِ... إذا رَأى مُـدَّةَ العَمَـلِ قَـدْ انْقَضَـتْ؛ وَغايَـةَ العُمْـرِ قَـدِ انْتَهَـتْ وَأَيْقَـنَ أَنَّـهُ لا محـيصَ لَـهُ مِنْـكَ، وَلا مَهْـرَبَ لَـهُ عَنْكَ؛ تَلَقّاكَ بِالإِنابَةِ؛ وَأَخْلَصَ لَكَ التَوْبَةَ) [٢].

ويقـول(عليه السلام):(وَسَـعْياً إِلَـى التَّوْبَـةِ الماحِيَـةِ وَالطَّرِيـقِ المَحْمُـودَةِ، وَقَـرِّبِ الوَقْتَ فِيهِ، وَلا تَسُمْنَا الغَفْلَةَ عَنْكَ، إِنَّا إِلَيْكَ رَاغِبُونَ، وَمِنَ الذُّنُوبِ تائِبُونَ) [٣].

نكتفـي بهـذا القـدر مـن الحـديث عـن التوبـة خوفـاً مـن الاطالـة والا فـأن الـذي يقـرأ الصـحيفة لا يكـاد يـرى دعـاء يخلـو مـن التوبـة فـي شـتى المواضـيع كآثارهـا، وموانعها ودوامها، وآدابها...وغيرها من المواضيع التي تحتاج بحثا منفصلاً.

٢. الشفاعة:

يقـول الامـام السـجاد(عليه السلام):(اللّهُـمَّ لا خَفِيـرَ لِـي مِنْـكَ فَلْيَخْفُرْنِـي عِـزُّكَ، وَلا شَفِيعَ لِي إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلُكَ، وَقَدْ أَوْجَلَتْنِي خَطَايَايَ فَلْيُؤْمِنِّي عَفْوُكَ) [٤].

والشـفاعة لغـةً: "شـفع: الشَّـفع: مـا كـان مـن العـدد أزواجـاً. تقـول: كـان وتـراً فشـفعته بـالآخْر حتـى صـار شـفعاً"[٥].والشـفاعة: "الانضـمام إلـى آخـر ناصـرا لـه

---

[١] يُنظر: شرح الصحيفة السجادية، الشيرازي: ص٤٠٣.

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ١٢.

[٣] المصدر نفسه، دعاء: ٣٤.

[٤] الصحيفة السجادية، دعاء: ٣١.

[٥] العـين، الفراهيـدي: ١/ ٦٠، مـادة شـفع؛ يُنظـر: لسـان العـرب، ابـن منظـور: ٨/ ١٨٣، مـادة شفع.

وسائلا عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى" [1].

اصطلاحاً: يكاد ينطبق المعنى الاصطلاحي مع المعنى اللغوي للشفاعة حيث عُرفت الشفاعة بانها: "من الشفع مقابل الوتر كأن الشفيع ينضم إلى الوسيلة الناقصة التي مع المستشفع فيصير به زوجا بعد ما كان فردا فيقوى على نيل ما يريده، لو لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته وضعفها وقصورها من الأمور التي نستعملها لإنجاح المقاصد"[2].

والشفاعة من الامور الثابتة في القران الكريم بحقه تعالى وحق غيره من عباده لكنها بإذنه سبحانه في آيات كثيرة في القران الكريم ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿مَن ذَا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾[4].

وقد ذكرت الشفاعة في العديد من الاحاديث النبوية المطهرة قال رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): (يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ) [5].

---

[1] المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ: ١/ ٢٤٧.

[2] الميزان في تفسير القرآن، الطبطبائي: ١/ ١٤٩.

[3] سورة السجدة، الآية: ٤.

[4] سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

[5] صحيح البخارى، كتاب الرقاق (٨١)، باب صفة الجنة والنار (٨١)، حديث رقم (٦٥٥٨): ص١١٦٣.

الشفيع:

وخير شفيع هو الله تعالى كما تقدم في الآيات. قال الامام السجاد:(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَشَفِّعْ في خَطَايَايَ كَرَمَكَ، وَعُدْ عَلى سَيِّئَاتِي بِعَفْوِكَ)[١].

"الأخبار الدالة على وقوع شفاعة النبي (ﷺ) يوم القيامة من طرق أئمة أهل البيت و كذا من طرق أهل السنة و الجماعة بالغة حد التواتر، وهي من حيث المجموع إنما تدل على معنى واحد و هو الشفاعة على المذنبين من أهل الإيمان إما بالتخليص من دخول النار و إما بالإخراج منها بعد الدخول فيها"[٢].

وقال رسول الله (ﷺ): (لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة) [٣].

وقال رسول الله (ﷺ): (تعلموا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شافعا لأصحابه) [٤].

يتضح انه ليس نبينا (ﷺ) من الشفعاء يوم القيامة فحسب، بل ان صريح الآيات تؤكد ان الشفاعة ثابته لكل من أذن الله تعالى له.

---

[١] الصحيفة السجادية، دعاء: ٣١.

[٢] الميزان، الطباطبائي: ١/ ١٨٣.

[٣] صحيح ابن حبان،، ذكر الإخبار بأن الشفاعة هي الدعوة التي أخرها ﷺ لأمته في العقبى، حديث رقم (٣٧٣): ١٤/ ٣٤٧. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

[٤] المصدر نفسه، كتاب العلم، حديث رقم (١١٦): ١/ ٣١٤.

وصرح الامام السجاد (عليه السلام) في الصحيفة السجادية ان الشفاعة ثابتة لجميع الأنبياء(عليهم السلام) ولنبينا محمد (صلى الله عليه وآله) ولأهل بيته الطيبين الطاهرين حيث قال(عليه السلام): (اللّهُمَّ اجْعَلْ نَبِيَّنا صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ يَوْمَ القِيامَةِ أقْرَبَ النَّبِيّينَ مِنْكَ مَجْلِساً، وَأَمْكَنَهُمْ مِنْكَ شَفاعَةً) [1].

وقال (عليه السلام):(فَإنّي لَمْ آتِكَ ثِقَةً مِنّي... بِشَفَاعَةِ مَخْلُوقٍ رَجَوْتُهُ إلاَّ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ سَلامُكَ)[2].

وهي ثابته للأعمال العبادية وبالأخص الصلاة على محمد وال محمد يقول(عليه السلام): (وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِه، صلاةً تَشْفَعُ لَنا يَوْمَ القِيامَةِ وَيَوْمَ الفاقَةِ إلَيْكَ) [3].

ويثبتها(عليه السلام) له ولوالديه:(وَارْضَ عَنْهُما(الوالدين) بِشَفاعَتِي لَهُما رِضىً عَزْماً وَبَلِّغْهُما بِالكَرامَةِ مَواطِنَ السَّلامَةِ، اللّهُمَّ وَإنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لَهُما فَشَفِّعْهُما فِيَّ وَإنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لي فَشَفِّعْنِي فِيهِما حَتّى نَجْتَمِعَ) [4].

مبررات الشفاعة:

ربما يقال: إذا كان المنقذ الوحيد للإنسان يوم القيامة هو عمله الصالح فلماذا جعلت الشفاعة وسيلة للعفو والمغفرة؟.

والجواب عن ذلك: أن لتشريع الشفاعة مبررات عديدة نذكر منها اثنين:

المبرر الاول: الحاجة الى رحمة الله الواسعة حتى مع العمل.

المبرر الثاني: الآثار التربوية المترتبة على الشفاعة[1].

---

[1] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٢.

[2] المصدر نفسه، دعاء: ٤٨.

[3] الصحيفة السجادية، دعاء: ٣١.

[4] الصحيفة السجدادية، دعاء: ٢٤.

واشار الامام السجاد (عليه السلام) الى هذه المبررات في الجملة من خلال ادعيته في الصحيفة السجادية اما الاشارة الى المبرر الاول يقول(عليه السلام):(فَإِنِّي لَمْ آتِكَ ثِقَةً مِنِّي بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمْتُهُ، وَلا شَفَاعَةِ مَخْلُوقٍ رَجَوْتُهُ إِلاَّ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ سَلامُكَ)[٢].

والى المبرر الثاني بقوله(عليه السلام):(فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَرْحَمُنِي لِسُوءِ مَوْقِفِي، أَوْ تُدْرِكُهُ الرِّقَّةُ عَلَيَّ لِسُوءِ حالِي فَيَنالَنِي مِنْهُ بِدَعْوَةٍ هِيَ أَسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعائِي، أَوْ شَفَاعَةٍ أَوْكَدُ عِنْدَكَ مِنْ شَفَاعَتِي تَكُونُ بِها نَجاتِي مِنْ غَضَبِكَ وَفَوْزَتِي بِرِضاكَ) [٣].

"جعل الله الشفاعة وسيلة يحظى بها الشفيع المقام والمنزلة عند الله، وينال بها المشفوع العفو والمغفرة. واما الذي لا شفيع له وهو نادم خائف ازاء ارتكابه لسوء الاعمال وذميم الافعال، فعليه ان يدعو الله تعالى" [٤].

وبالرغم مما اعترض على الشفاعة من كونها توجب الجرأة وتحيي روح التمرد في العصاة والمجرمين، فان الشفاعة تسبب في اصلاح سلوك المجرم وانابته والتخلي عن التمادي في الطغيان...فإذا اعتقد العاصي بأن اولياء الله قد يشفعون في حقه اذا لم يهتك الستر، ولم يبلغ الحد الذي لا تكون فيه الشفاعة نافعة فعند ذلك ربما يعيد النظر في مسيرة حتى لا يحرمها[٥].

---

[١] يُنظر: الإلهيات، جعفر سبحاني: ٤/ ٢٤٥- ٣٤٦.

[٢] الصحيفة السجادية، دعاء: ٤٨.

[٣] المصدر نفسه، دعاء: ٣١.

[٤] معارف الصحيفة السجادية، الشيخ علاء الحسون: ص١٩١.

[٥] يُنظر: الإلهيات، جعفر سبحاني: ٤/ ٣٤٦.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة في أدعية الصحيفة السجادية وفيوضاتها الروحانية لا بد من وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج بعد أن اكتملت صورته كما رسمناها له فأقول:

١. الإمام السجاد نمط فريد من الرجال، كيف لا وهو إمام وسليل الدوحة المحمدية وعترة بيت الرسالة؛ فالحديث عنه حديث عن كبار القلوب وأحرار النفوس والمصداق الحقيقي للعلم النافع والعمل الصالح.

٢. امتلأ العالم بالكراهية ولم يوفقوا لرفع العنوانات التي تثير تلك الكراهية فيها، وقد أسهمت بعض الرؤى والاتجاهات والأفكار في اثارة النعرات والبغضاء والأحقاد.

٣. لم تسلم بعض العلوم الدينية من التوظيف السلبي لبعض المرضى النفسيين في اثارة التنازع والتدابر والتفسيق والتكفير فضلا عن التبديع.

٤. يعد علم الكلام من أكثر العلوم والمعارف توظيفا من قبل بعضهم في الاعتداء على حريات الآخرين ومصادرة حقهم في التفكير والبحث.

٥. لم تسهم محاولات الكثيرين في التقريب بين وجهات النظر بين المذاهب والمدارس الكلامية في المسائل العلمية المتنازع عليها.

٦. عياب الرؤية الشمولية ذات البعد الروحي أسهم في دفع التصنيف الكلامي والفلسفي ليكون بعيدا وبمعزل عن واقع المسلمين وحاضرهم.

٧. أغرقت سجالات الفرقيين والمذهبيين المصنفات العقدية بما هو ليس من صميم العقيدة ولا من الممهدات لها.

٨. تضخم الجزئي على حساب الكلي والفروعي على حساب الأصولي، وبات ما يمكن أن نعده موجبا للتخطئة موجبا للتكفير.

٩. ضياع البوصلة عند كثير من المصنفين في الدرس الكلامي وابتعادهم عن الغايات الرئيسة في تطوير الخطاب العقدي وتجديد أبعاده الكلامية.

١٠. يعد الإمام السجاد مثالا يمكن الاحتذاء به لمن يريد تصحيح بوصلته في الوصول الى الله تعالى وبناء الإنسان.

١١. ركزت أدعية الصحيفة السجادية على النوع لا الكم في البناء العلمي للإنسان بعيدا عن أية ارهاصات قد تعيق العمل نحو البناء المعرفي والأخلاقي والروحاني للإنسان.

١٢. يمكن أن تنهض الصحيفة السجادية لتكون دستور عمل سهل التنفيذ وقانونا ملزما إذا صلحت النوايا لمغادرة مربع التخندق الطائفي والمذهبي.

١٣. استوفت الأدعية السجادية كل متطلبات وحاجات الإنسان قديما وحاضرا ومستقبلا فيمكن من خلالها بعد ملاحظة الكتاب والسنة والروايات الصحيحة عن أئمة أهل البيت" ع " أن تتم عملية البناء الإنساني من جوانبه كافة وبما يحقق الغذاء الروحي والعمران الجسماني.

التوصيات

١. ما يزال الحديث عن الإمام السجاد وأبعاد الصحيفة السجادية ومرامزها الأخلاقية والسياسية والاجتماعية والدينية بحاجة لمن ينبري باستخراج دررها ويواقيتها في مختلف جوانبها.

٢. ضرورة تضمين الأدعية السجادية في المناهج التربوية فهي كفيلة بإصلاح الفرد منذ طفولته فينشأ الناشئ على الأخلاق الحميدة والأفكار السديدة.

٣. ضرورة استكتاب الباحثين المجيدين لإبراز مضامين الأدعية السجادية واكتناه أسرارها الربانية.

٤. يجب اشراك الاعلام المرئي والمسموع والمقروء وجميع قنوات التواصل الاجتماعي في معركة الحفاظ على الدين والهوية اللتين تؤكد عليها مضامين الأدعية السجادية في مقاطع الريلز والتك توك لتكون محتوى نافعا راقيا بديلا عن المحتوى الهابط.

المصادر والمراجع

١. "نحو معجم شامل للمصطلحات المفتاحية لكليات رسائل النور لبديع الزمان النورسي"، د. فريد الأنصاري.

٢. (التأصيل العلمي لمصطلح الوسطية وأثره في وأد الغلو والتطرف: دراسة من منظور عقدي).

٣. الاتحاف بحب الأشراف، شيخ الازهر عبدالله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي(ت: ١١٧١هـ)، تحقيق: سامي الغريري، دار الكتاب الاسلامي، د. ط، ١٤٢٣ه.

٤. الاحتجاج، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي(٥٦٠هـ)، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، د. ط، د. ت.

٥. الإحكام في علم الكلام، السيد محمد حسين ترحيني، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

٦. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت :٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، د. ط، ١٩٨٦م.

٧. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، (ت: ٤٧٨هـ)، تحقيق: محمد يوسف وعلي عبد المنعم، مصر، مكتبة الخانجي، د. ط، ١٩٥٠م.

٨. الارشاد في معرفه حجج الله على العباد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي(ت: ٤١٣هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت.

٩. الإرهاب، د. فرج فودة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، د. ط، ١٩٩٢م.

١٠. الاسلام قوة الغد العالمية، باول شمتز، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، د. ط، ١٩٨٣م.

١١. الاسلاموفوبيا رؤية الاخر الإسلامي من منظور غربي، خلف محمد عبد السلام بيومي، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة قناة السويس، كلية الآداب والعلوم الانسانية، العدد ٢٥، ٢٠١٨م.
١٢. الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين الخسروجردي أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، د. ط، ١٤١٣هـ.
١٣. الإشارات والتنبيهات، لأبي علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الدكتور حامد ناجي اصفهاني، دار المعارف، بيروت، ط٢، ١٩٣٨هـ.
١٤. أصول الدين الإسلامي، رشدي محمد عليان وقحطان عبد الرحمن، لبنان – بيروت، طبعة دار الأمام الأعظم النعمان بن ثابت، ط٢، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.
١٥. اصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨ – ٣٢٩هـ)، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٦. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، أحمد بن الحسين الخسروجردي أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د. ط، ١٤٠١هـ.
١٧. اعلام الهداية، الامام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)، لجنة تأليف، المعاونية الثقافية في المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، لبنان، د. ط، ١٤٣٠هـ.
١٨. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٦٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.
١٩. أعيان الشيعة، محسن عبد الكريم الأمين العاملي (ت: ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الامين، مطبعة الانصاف، بيروت، د. ط، ١٩٥٩م.

٢٠. افاق الروح في أدعية الصحيفة السجادية، السيد محمد حسين فضل الله (ت: ٢٠١٠م)، دار الملاك، بيروت، د. ط، ١٤٢٠هـ.
٢١. الإفصاح في الإمامة، للشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان البغدادي المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار المفيد، قم، د. ط، ١٤٣١هـ.
٢٢. الإلهيات، الشيخ جعفر سبحاني، ط١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
٢٣. الامام علي بن الحسين (عليه السلام) دراسة تحليلية، مختار الاسدي (معاصر)، مركز الرسالة، د. ط، د. ت.
٢٤. الإمامة الإلهية، الشيخ محمد السند، دار الأمير، د. ط، ١٤٣٣هـ
٢٥. أنوار الحكمة، المحقق والعلامة محمد بن المرتضى محسن المُلَقَب بالفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، دار الأميرة ودار القارئ، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
٢٦. أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تحقيق: الشيخ ابراهيم الانصاري، دار المفيد، قم، د. ط، ١٤٣١هـ.
٢٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، د. ط، ١٤٠٣هـ.
٢٨. بحثنا الموسوم بـ (مِنطقةُ العقل ومَنطِقُهُ في المنظور القرآني ودوره في تأسيس الاجتماع الانساني) بحث منشور مجلة كلية العلوم الاسلامية/ الجامعة العراقية، العدد ٢٨، المجلد ٣، ٢٠٢١م
٢٩. بداية المعرفة منهجية حديثة في علم الكلام، الشيخ حسن مكي العاملي، الدار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

٣٠. البداية والنهاية، ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤ هـ)، طبعة مؤسسة التاريخ العربي، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ.
٣١. البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة، محمد جعفر الأسترآبادي (ت: ١٢٦٣هـ)، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، قسم إحياء التراث الإسلامي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٣٨٢هـ.
٣٢. البرهان المؤيد، أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني (ت: ٥٧٨هـ)، تحقيق: عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ.
٣٣. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة (ت: ٢٨٢هـ)، نور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، د. ط، ١٤١٣هـ.
٣٤. بين "الاسلاموفيليا" و"الاسلاموفوبيا"، مقال للكاتب: سلام الكواكبي، منشور على شبكة الانترنيت على الرابط: https: //www.alaraby.co.، ١٠،٥٥ مساء، الأحد: ٢٠٢٣/٣/١٢م
٣٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، د. ط، د. ت.
٣٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.
٣٧. تاريخ الامم والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٤، ١٤٠٤هـ.

٣٨. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خانبداية، د. ط، د. ت.
٣٩. تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٤٠. تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: مجدي باسلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٥م.
٤١. التجديد في النظام المعرفي للفكر الكلامي المعاصر عند الإمامية، د. رزاق حسين فرهود.
٤٢. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٤ هـ.
٤٣. التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت: ٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت.
٤٤. التعريفات، علي محمد علي الجرجاني الحنفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ١٤٢٤هـ.
٤٥. التعليقات، ابن سينا، تحقيق وتقديم: د. حسن مجيد العبيدي، دار الفرقد، سوريا – دمشق، د. ط، ٢٠٠٩.

٤٦. تفسير الشعراوي، الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، د. ط، د. ت.
٤٧. تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت:١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٤٨. تفسير مجمع البيان، لأبي على الفضل بن الحسن الطبرسي(ت: ١١٥٤هـ)، المجمع العالمي لأهل البيت، د. ط، د. ت.
٤٩. التقِييدُ والإيضَاح لقولهم لا مُشاحّة في الاصطلاح، لأبي عبد الرحمن محمد الثاني بن عمر بن موسى، قام بنشره: أبو مهند النجدي، د. ط، د. ت.
٥٠. تلخيص المحصل المعروف بنقد المحصل، الخواجة نصير الدين الطوسي (ت: ٦٧٢هـ)، دار الأضواء، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
٥١. التلويث الفكري والإعلامي في العالم الإسلامي، عايد الشعراوي، دار النهضة الإسلامية، بيروت، د. ط، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
٥٢. تهافت الفلاسفة، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط٦، د. ت.
٥٣. تهذيب شرح السنوسية أم البراهين، للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني، تصنيف: العلامة سعيد عبد اللطيف فودة، نشر ومراجعة: دار الرازي للطباعة والنشر- عمان – الأردن، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٥٤. التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، د. ط، د. ت.
٥٥. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٤١٠.

٥٦. الثقافة والهوية، نحو معاينة نقدية للتعدد الثقافي، محمد علي تسخيري
٥٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١،
٥٨. الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (ت: ٥٢١هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.
٥٩. حق اليقين في معرفة اصول الدين، السيد العلامة عبد الله شُبَّر (ت: ١٢٤٢هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٦٠. الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين الشيرازي، دار احياء التراث، بيروت، د. ط، ١٤١٩.
٦١. خلاصة علم الكلام.
٦٢. الخوف من الإسلام، مجلة المعرفة، وزارة التربية والتعليم، السعودية: www. Marefa.org-lindex.php// http
٦٣. الدلائل المكية في عقائد الإمامية، السيد محمد علي بن أحمد بن علي العاملي المكي (كان حياً قبل ١١٠٨هـ)، تحقيق: الشيخ عد الحليم عوض الحلي، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء – العراق، ط١، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٤م.
٦٤. دليل العناية في إثبات وجود الله (تعالى)، لمحمد خليل محمد النويهي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الحادي والعشرون، العدد الأول، عمان - الأردن، كلية الشريعة – قسم أصول الدين- العقيدة.

٦٥. الذريعة في تصانيف الشيعة، الشيخ محمد محسن أغا بزرك الطهراني (ت: ١٣٨٩ هـ)، مطبعة الغري، النجف، د. ط، ١٣٥٥هـ.
٦٦. ربيع الأبرار في نصوص الاخيار، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨)، تحقيق عبد الامير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ط، ١٤١٢هـ.
٦٧. رجال النجاشي.
٦٨. رسائل الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت: ٨٦٨هـ)، جمع ونشر حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية، مصر، د. ط، ١٣٥٢هـ.
٦٩. رفع الاستار لإبطال أدلة فناء النار، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الصنعاني (ت: ١١٨٢هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الاسلامي، بيروت، د. ط، ١٤٠٥هـ.
٧٠. رياض العارفين في شرح صحيفة سيد الساجدين، محمد بن محمد الدارابي، دار الاسوة، طهران، د. ط، ١٤٢٩هـ.
٧١. سلوا زين العابدين عن حقوق العالمين، هشام ال قطيط (معاصر)، منشورات الفجر، بيروت، د. ط، ١٤٣٢هـ.
٧٢. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، واخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
٧٣. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٧٤. سير أعلام النبلاء، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد الذهبي (٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة محققين، بأشراف: الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ.
٧٥. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي(ت: ١٠٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت.
٧٦. شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني (ت: ١٠٨١هـ)، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، ط١، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م.
٧٧. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، (ت: ٤١٥هـ)، تحقيق: احمد بن الحسين بن أبي هاشم، دار احياء التراث العربي، لبنان - بيروت، ط٢، ١٤٣٣هـ
٧٨. شرح الباب الحادي عشر للعلامة الحلي، تقديم وتعليق: د. مهدي محقق، نشر مطبوعات الإستانة الرضوية، قم، د. ط، ١٣٦٨هـ.
٧٩. شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، لبنان، د. ط، ٢٠٠٨م.
٨٠. شرح العقائد النسفية، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت: ٧٩١هـ)، تحقيق: علي كمال، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، د. ط، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٤م.
٨١. شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، د. ط، د. ت.
٨٢. شرح معالم أصول الدين لعبد الله بن محمد بن علي التلمساني (ت: ٦٤٤هـ)، تحقيق: نزار حمادي، دار مكتبة المعارف، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠١١م.

٨٣. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ١٤١٠.
٨٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٨٥. صحيح مسلم بشرح النووي.
٨٦. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٨٧. الصواعق المحرقة على اهل الرفض والضلال والزندقة، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي(ت: ٩٧٤هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ١٤١٧هـ.
٨٨. الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.
٨٩. ضوء اللآلي شرح بدأ الامالي، اسماعيل بن عبد الباقي اليازجي (ت: ١١٢١هـ)، تحقيق: جميل عبد الله عويضة، د. ط، ٢٠١١م.
٩٠. طبقات الصوفية، لمحمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، السلمي (ت: ٤١٢هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٩١. عبادة الامام زين العابدين وشرح الصحيفة السجادية، باقر شريف القرشي (ت: ٢٠١٢م)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، دار المعروف، مؤسسة الامام الحسن (عليه السلام)، النجف الاشرف، د. ط، ١٤٣٥هـ.

٩٢. عصرة المنجود في علم الكلام، العلامة زين الدين بن علي بن محمد بن يونس العاملي البياضي (ت: ٨٧٧هـ)، تحقيق: حسين التنكابيني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ط١، ١٤٢٨هـ.
٩٣. عقائد الإمامية، الشيخ محمّد رضا المظفر (ت: ١٩٦٤هـ)، إعداد: مركز الأبحاث العقائدية.
٩٤. العقائد، العلَّامة الشيخ محمود رضا المظفر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.
٩٥. العقد الثمين في معرفة رب العالمين، الامير الحسين بن بدر الدين.
٩٦. العقيدة الاسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ المحقق العلّامة جعفر السبحاني، نقله الى العربية: جعفر الهادي.
٩٧. عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب، جمال الدين احمد بن علي بن مهنا بن عنبة الداوودي الحسني (ت: ٨٢٨هـ)، تحقيق: محمد حسن آل طالقاني، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ط٢، ١٣٨٠هـ.
٩٨. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت.
٩٩. الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
١٠٠. الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت: ٦٨٤هـ)، عالم الكتب، د. ط، د. ت.

١٠١. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، د. ط، ١٤١٢هـ.
١٠٢. الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة (عليهم السلام)، علي بن محمد بن أحمد المالكي، الشهير بابن الصباغ (ت: ٨٥٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ.
١٠٣. في ضلال الصحيفة السجادية، شرح: الشيخ محمد جواد مغنية، حققها: سامي الغريري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط١، د. ط.
١٠٤. في كتابه الفكر الاسلامي.
١٠٥. قاموس اللسانيات، د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، د. ط، د. ت.
١٠٦. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت: ٨١٧ هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ.
١٠٧. القواعد الفقهية، محمد حسن البجنوردي (ت: ١٣٥٩)، تحقيق: مهدي المهريزي ومحمد حسين، نشر الهادي، قم، د. ط، ١٤١٩هـ.
١٠٨. القيادة في ضوء القران الكريم، أ. م. د. عبد الوهاب أسماعيل الاعظمي بحث مقدم الى كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، قسم الشريعة.
١٠٩. الكافي، لأبي جعفر بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، نشر دار الكتب الاسلامية، مطبعة الحيدري، ط٣، ١٣٨٨هـ.
١١٠. كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد البوطي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٦٩م.
١١١. كتاب الأموال، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.

١١٢. كتابنا الفائز بمسابقة شبكة الألوكة: حياتنا توسط واعتدال، ٢٠١٧،1203/ 26.
https: //www.alukah.net/publications_competitions/٠/
١١٣. كشف الغمة في معرفة الأئمة، المحقق أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت: ٦٩٢هـ)، دار الاضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
١١٤. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد.
١١٥. الكلام الاسلامي المعاصر، د. عبد الحسين خسروويناه، ترجمة: محمد حسين الواسطي، الأخراج الفني: نصير شكر، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٦م.
١١٦. كنز الفوائد، للإمام أبو الفتح الشيخ محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: العلامة الشيخ عبد الله نعمة، دار الأضواء، بيروت – لبنان، د. ط، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
١١٧. الكواكب الدرّية في تراجم السادة الصوفية (ت: ١٠٣١هـ)، محمد عبد الرؤوف المناوي، وورسة تجليد الأنوار، مصر، د. ط، ١٣٥٧هـ.
١١٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١١٩. لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة، أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت: ٤٧٨هـ)، تحقيق: فوقيه حسين محمود، عالم الكتب، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م٠
١٢٠. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني

الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ)، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
١٢١. ماذا بعد الموت، محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٩٨١م)، مؤسسة المحبين، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ.
١٢٢. المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، المحقق والعلامة: محمد بن المرتضى محسن المُلَقَب بالفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
١٢٣. مختار الصحاح، لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ.
١٢٤. مختصر تاريخ دمشق، محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت: ٧١١هـ)، تحقيق: أحمد راتب حموش ومحمد ناجي العمر، دار الفكر، دمشق، د. ط، ١٤٠٩هـ.
١٢٥. المسامرة بشرح المسايرة في علم الكلام، للعلامة كمال الدين بن همام (ت: ٩٠٦هـ)، الكبرى الأميرية، بولاق مصر، ط١، ١٣١٧هـ.
١٢٦. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م.
١٢٧. المستصفى، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
١٢٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الحموي (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، د. ت.

١٢٩. مصر تراجع نفسها، سعد الدين إبراهيم، مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر والدراسات، ط١، ١٩٩٨م.
١٣٠. معارج الفهم في شرح النظم، العلامة الحلي أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة الرضوية المقدسة، ط١، ١٤٣٠هـ.
١٣١. معارج اليقين في اصول الدين، الشيخ محمد بن محمد السبزواري (من أعلام القرن السابع الهجري)، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
١٣٢. معارف الصحيفة السجادية، الدكتور الشيخ علاء الحسون (معاصر)، مركز الهادي (عليه السلام)، د. ط، ١٤٣٦ه.
١٣٣. معالم أصول الدين، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
١٣٤. معالم العلماء، لابن شهر آشوب المازندراني (ت: ١١٩٢هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، د. ط، ١٣٨٠هـ.
١٣٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٣٦. معرفة الله تعالى بالله لا بالأوهام الفلسفية والعرفانية، الشيخ حسن الميلاني، مكتبة الإمام الحسين عليه السلام، مشهد – إيران، ط٢، ١٤٣٧هـ – ٢٠١٤م.
١٣٧. المغني لابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠ هـ)، على مختصر: أبي القاسم عمر بن حسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي

(ت: ٣٣٤ هـ)، تحقيق: طه الزيني - ومحمود عبد الوهاب فايد - وعبد القادر عطا ومحمود غانم غيث، مكتبة القاهرة، ط١، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

١٣٨. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

١٣٩. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

١٤٠. مقاربات الإسلاموفيليا في خطاب الصحيفة السَّجادية وأثرُهَا في تعزيزِ القُوة النَّاعمةِ في الدَّرسِ الكلامي.

١٤١. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٤٢. مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك (ت: ٣٠٦هـ) الأصبهاني، تحقيق: أحمد السايح، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦م.

١٤٣. مقدمة ترجمته في كتابه الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد للعلَّامة نصير الدين الطوسي شرح العلَّامة جمال الدين حسن بن يوسف الحلي (ت: ٧٢٦هـ)، نشر مكتب الإعلام الإسلامي ومطبعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قم، د. ط، ١٣٦٣هـ.

١٤٤. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي، قبرص، د. ط، ١٩٨٧م.
١٤٥. الملخص في اصول الدين، الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بن محمد الموسوي (ت: ٤٣٦هـ)، تحقيق: محمد رضا أنصاري، مطبعة مجلس الشورى الإسلامي، طهران – إيران، ط١، ١٣٨١هـ.
١٤٦. الملل والنحل، الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، مؤسسة الحلبي، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، بيروت، د. ط، ١٤٠٤هـ.
١٤٧. مناهج الأدلة في عقائد الملة، ابن رشد (ت: ٥٩٥ه)، تقديم وتحقيق: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٩م٠
١٤٨. المواقف في علم الكلام، عضد الدين عبد الرحمن بن احمد الأيجي (ت: ٧٥٦ه)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
١٤٩. الموجز أصول الدين، السيد محمد باقر الصدر، تحقيق: عبد الجبار الرفاعي، دار سعيد ابن الجبير، د. ط، د. ت.
١٥٠. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطبطبائي، منشورات اسماعيليان، د. ط، د. ت.
١٥١. النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، المقداد السيوري (ت: ٨٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ مشتاق الزيدي، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ٢٠١٠م.
١٥٢. نهاية الحكمة، محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٩٨١م)، تعليق الشيخ عباس علي الزراعي، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط٥، ١٤٣٠هـ.

١٥٣. نـور الأفهـام فـي علـم الكـلام، العلامـة السـيد حسـن الحسـيني اللواسـاني، تحقيـق وتقـديم: السـيد ابـراهيم اللواسـاني، مؤسسـة النشـر الإسـلامي، قـم – إيـران، ط١، ١٤٢٥ه.
١٥٤. نــور الأنــوار فــي شــرح الصــحيفة الســجادية، الســيد نعمــة الله الجزائــري، أميران، إيران، د. ط، ١٤٢٧ه.